السبت 16 آذار 2024
العدد 5158 السنة الثامنة عشرة
Samedi 16 Mars 2024 no 5158 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

غسان كنفاني
الفدائي الخالد

اتفاقان عسكريان «يقوننان» الابتزاز الأميركي للبنان [13]

ردّ «رفع عتب» لبناني على الورقة الفرنسية [12]

عودة المفاوضات
المقاومة تثبّت شروطها

(أ ف ب)

اليمن

المحيط الهندي في دائرة النار
صنعاء تطبق الحصار على العدو

4

الحدث

روسيا تتوّج بوتين «قيصراً» على ظهر الحرب

6

قضية

الساحل الأفريقي
بكاء فرنسي على الأطلال

8

طوفان الأقصى

جولة تفاوض جديدة في الدوحة

«حماس» تسلّم ردّها: وقف النار أولويّة

«البيت الأبيض»: مقترح حماس يقع بالتأكيد ضمن إطار الصفقة التي عملنا عليها

إلى شمال قطاع غزة، وضمان حرية التنقّل. كما عرضت أن الإفراج عن 50 أسيراً فلسطينياً مقابل كل مجنّدة إسرائيلية حيّة، 30 منهم (الـ50) يكونون من أصحاب المؤبّدات، إضافة إلى الإفراج عن النساء والأطفال وكبار السن والمرضى من الإسرائيليين. ومع رد فلسطينيا مقابل كل مجنّدة إسرائيلية حيّة، 30 منهم (الـ50) يكونون من أصحاب المؤبّدات، إضافة إلى الإفراج عن النساء والأطفال وكبار السن والمرضى من الإسرائيليين. ومع بدء المرحلة الثانية، تشترط «حماس» إعلان وقف دائم لإطلاق النار، قبل أي تبادل للجنود الأسرى الذين يكونون قد تبقّوا لديها. أما في المرحلة الثالثة، فيتضمّن المقترح إطلاق عملية الإعمار الشاملة للقطاع، وإنهاء الحصار.

وأكّد القيادي في «حماس»، أسامة حمدان، في تصريحات إعلامية، أن «الاحتلال يحاول الذهاب إلى قضية الأسرى للالتفاف على ملف إنهاء العدوان»، معتبراً الورقة التي قدّمتها الحركة «واقعية وذات مرونة عالية». وشدّد حمدان على أن «تبادل الأسرى يجب أن يتم، لكن ليس على حساب القضايا الأساسية وأولاها وقف العدوان». وفي المقابل، وصف مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، مقترح «حماس» بأنه «غير واقعي»، لكنه أعلن أن وفداً سيتوجّه إلى قطر لمناقشة اتفاق محتمل، في حين أشارت التقارير الإعلامية إلى أن الوفد سيصل إلى الدوحة غداً. وفي البيان نفسه، أضاف مكتب نتنياهو أن الأخير «وافق على خطط العملية العسكرية في مدينة رفح»، لافتاً إلى أن «الجيش يستعدّ للمسائل العملياتية ولإجلاء السكان المدنيين». وكان عُقد اجتماع للمجلس الوزاري الإسرائيلي المصغّر، بعد آخر لـ«كابينت الحرب»، لمناقشة رد «حماس»، فيما من المتوقّع أن يناقش المجلس الوزاري للشؤون السياسية والأمنية، مساء اليوم، أو صباح الغد، القضية نفسها أيضاً، ليقرّر ما إذا كان سيتمّ توسيع تفويض فريق التفاوض الإسرائيلي، وكيفية ذلك، قبل مغادرته إلى قطر.

وبحسب تقرير أعدّه باراك رافيد، في موقع «أكسيوس»، فإن «كبار المسؤولين الإسرائيليين يعتقدون أنه نظراً إلى وجود فجوات كبيرة بين الطرفين، فإن هناك حاجة أيضاً إلى مرونة إضافية من جانب إسرائيل». ويرى هؤلاء أن «المفاوضات يمكن أن تسدّ الفجوة بين الطرفين بشأن أعداد الأسرى الفلسطينيين الذين سيتم الإفراج عنهم». ويشير كبار المسؤولين إلى أن «الخلاف الأصعب مرتبط بمطالبة حماس بانسحاب الجيش الإسرائيلي من الممرّ الذي أنشأه جنوب مدينة غزة، والذي يمنع عودة الفلسطينيين إلى شمال القطاع، وكذلك مطالبة حماس ببدء المرحلة الثانية من الاتفاق والتي تتضمّن وقفاً دائماً لإطلاق النار».

أما الأميركيون، فرسعان ما تلقّفوا ردّ الحركة، وخرجوا ليؤكّدوا تفاؤلهم ولو كان «حذراً». لكن ما بدا لافتاً في حديثهم، هو أنهم اعتبروا أن «مقترح حماس يقع بالتأكيد ضمن إطار الصفقة التي عملنا عليها خلال الأشهر الماضية»، بحسب تصريحات أدلى بها منسّق «مجلس الأمن القومي» في «البيت الأبيض»، جون كيربي، أمس. وأمل كيربي أن تتحرك «محادثات وقف إطلاق النار في غزة في الاتجاه الصحيح»، مضيفاً «(أننا) نشارك عن كثب في المفاوضات في الدوحة ونعتقد أننا يمكن أن نحرز تقدماً (...) وهناك جولة جديدة تشارك فيها الأطراف الأخرى».

وبالنسبة إلى مصر، فإن مسؤوليها يعتقدون أن «الانتقادات العلنية لسياسة نتنياهو والنقاشات التي أجراها مسؤولون إسرائيليين مع نظرائهم الأميركيين في الأيام الماضية، ستلعب دوراً إيجابياً في المفاوضات». وستشارك القاهرة في اجتماعات الدوحة التي قد تستمرّ لأيام ثلاثة، بمشاركة وفدَي إسرائيل والولايات المتحدة. وتوضح المصادر المصرية أن ما سيجري النظر فيه أوّلياً، هو «مدى إمكانية تنفيذ المطالب الفلسطينية بخصوص الإماكن المطلوب انسحاب الجيش الإسرائيلي منها في المرحلة الأولى»، إضافة إلى الدخول في تفاصيل أعداد الأسرى وأسمائهم. وتفيد بأن ما تلقّته القاهرة من اتصالات بعد تسلّم رد «حماس»، تمحور حول «أسماء المجنّدات اللاتي سيتمّ الإفراج عنهنّ، في وقت ظهر فيه تحفّظ إسرائيلي واضح على وضع المقاومة شروطاً في ما يتعلّق بالأسرى الفلسطينيين الذين سيتمّ الإفراج عنهم». وفي المقابل، فإن ما نقلته القاهرة بشكل مباشر إلى محدّثيها، هو أن «نجاح الصفقة هذه المرة سيرتبط بمدى جدية الطرفين في تنفيذها»، وأن «ما سيجري الاتفاق عليه في الدوحة، يجب أن يكون ملزماً، وأنه ليس من المنطقي أن يكون هناك استئناف للقتال». ويرى المصريون أن «جدّية ردّ حماس ستشكّل ضغطاً على الإدارة الأميركية التي سبق أن ألقت الكرة في ملعب المقاومة، واتهمتها بتأخير الوصول إلى اتفاق».

على خط موازٍ، بدأت، أمس، أول سفينة تحمل مساعدات إنسانية إلى قطاع غزة عبر ممرّ بحري من قبرص، تفريغ حمولتها البالغة 200 طن، والتي تمثّل حوالى 300 ألف وجبة من الأرز والدقيق والسلع المعلبة، على ساحل القطاع. وأظهرت الصور الجوّية، والصور التي وزّعها الجيش الإسرائيلي، أن القاطرة التي جرّتها السفينة، يجري تفريغها عبر شاحنات في ميناء تمّ استحداثه خلال الأيام الماضية، في منطقة وسط غزة. وقال جيش العدو إن قواته «انتشرت لتأمين المنطقة»، مضيفاً أن «السفينة خضعت لفحص أمني كامل».

(الأخبار)

(أ ف ب)

إسرائيل مصدومة: «حارس الشعب المختار» يخذلنا

بيروت حمود

منذ كان عضواً في مجلس النواب في نيويورك، دأب السيناتور، تشاك شومر، على أن يفتتح كل محاضرة أو كلمة أمام الجمهور اليهودي، بالتوضيح أن اسمه شومر مشتق من الكلمة العبرية «شومر» (حارس)، وأنه مخلص لمعنى الاسم، ومهمته الرئيسة المتمثلة في «حماية شعب إسرائيل ودولة إسرائيل»، على خلفية ما تقدّم، اعتبر القنصل الإسرائيلي العام في نيويورك سابقاً، ألون بنكاس، أن خطاب زعيم الغالبية الديموقراطية في مجلس الشيوخ، مساء أول من أمس، يعبّر عمّا تعهّد شومر بفعله لسنوات عديدة خلت؛ حيث «حمى إسرائيل وحافظ عليها، ليس من أعدائها وإنما من نفسها. ليس من العالم، بل من رئيس وزرائها»، مشيراً إلى أنه بالنسبة إلى إسرائيل «خسارة تشارلز تشاك شومر، تعادل خسارة أميركا».

ومن هنا، يتقدّم السؤال حول ما إذا كان شومر نسّق كلامه مع البيت الأبيض، أم اكتفى بإطلاع مجلس الأمن القومي عليه، علماً أن الرئيس الأميركي جو بايدن قال، أمس، إن «شومر تواصل مع فريقي بشأن خطابه فيما يخص إسرائيل»، مشيراً إلى أن «الخطاب كان جيداً وأعرب خلاله عن قلق جدي لدى العديد من الأميركيين». لكن هذا السؤال «ليس مهماً، رغم أنه مثير للاهتمام على المستوى السياسي»، والسبب أنه عندما يقول زعيم الغالبية الديموقراطية في مجلس الشيوخ - وهو أول يهودي في هذا المنصب، وسياسي يقع في مركز نقطة الوسط في الحزب، ويعدّ من الصقور الثابتين في دعمهم لإسرائيل - إن «رئيس الوزراء ضل طريقه، ويضلل جمهوره، ويسوّق رؤية قديمة وغير واقعية، ويعزل إسرائيل ويعرضها للخطر»، وإن «هذا هو السبب وراء حاجة إسرائيل إلى «اتجاه جديد» لا يمكن التوصل إليه إلا عبر الانتخابات»، فإن «كل ما سبق يشكّل ثقلاً سياسياً هائلاً». ومع أن خطاب شومر «لا يمثّل السياسة العملية للرئيس بايدن، فإن كلماته، بقوتها ووضوحها، تشكل خطوة لتغيير قواعد اللعبة في علاقة الولايات المتحدة بإسرائيل»، وفقاً لبنكاس.

أما السؤال عن الدافع وراء الخطاب غير المألوف، الذي قيل في «عقر دار» مجلس الشيوخ، وليس كتصريح عابر، أو حديث مسرّب، فهو أيضاً «غير ذي أهمية»، أمام حقيقة أن أقوال شومر تعدّ «حلقة أخرى في منظومة علاقات غير مستقرة»؛ إذ وفقاً للديبلوماسي الإسرائيلي السابق، فإن «إدارة بايدن لا ترى في نتنياهو حليفاً للولايات المتحدة»، بل تقول: «إسرائيل نعم. نتنياهو لا». وبالنتيجة، فإن خطاب شومر الذي أثار عاصفة غير مسبوقة من ردود الفعل في إسرائيل، هو «عملية تدريجية، ولكن متسارعة، من انعدام الثقة وتراكم عدم المصداقية»، يعود تاريخها إلى سنوات خلت، حيث «تعزّزت بسبب خطاب نتنياهو المتحدي والعقيم في عام 2015 أمام الكونغرس ضد الرئيس أوباما بشأن الاتفاق النووي مع إيران، قبل أن تتخذ منعطفاً آسوأ في محاولة الانقلاب القضائي عام 2023، لتصل إلى أدنى مستوى في ما تعتبره الإدارة الأميركية ليس فقط عدم امتنان نتنياهو للمساعدة والدعم منذ 7 تشرين الأول، إنما مواجهة متعمّدة مع الولايات المتحدة يخطط لها رئيس الوزراء الإسرائيلي منذ تشرين الثاني». ومع أن الخطاب لا

«خسارة تشارلز تشاك شومر، تعادل خسارة أميركا»

يعكس تغيراً عملياً في السياسة من جانب إدارة بايدن»، إلا أنه يعكس إلى حد كبير «خيبة أمل» بايدن إزاء ثلاث فرضيات أساسية تبيّن أنها «خاطئة».

الأولى، بحسب بنكاس، هي أن الأميركيين افترضوا أنهم يعرفون نتنياهو وكيفيّة التعامل معه باعتبار أنه «يتحدث لغتنا، ونعرف ملفه النفسي - السياسي، فميله إلى التلاعب والاحتيال والازدواجية والأكاذيب هو سلعة معروفة». ونظراً إلى «المحنة» التي تعيشها إسرائيل منذ السابع من أكتوبر، والاعتماد الكبير على المساعدات العسكرية والدعم السياسي الأميركي، «سوف نعرف كيف نتعامل معه». لكن هذه الفرضية سقطت، لأن «موهبة نتنياهو في الخداع، وافتراضه أن المواجهة ستفيده سياسياً، تغذّيا أساساً من التصوّر الأميركي الخاطئ حوله». أمّا الفرضية الثانية، فهي أن دعم بايدن لإسرائيل، سيجعله محصناً من المواجهة، باعتبار أن الأخيرة ستشكره لذلك وستتجنب مناقشة المصالح الأميركية. غير أنه تبيّن أن هذا الدعم لا يهم نتنياهو؛ إذ حوّل السابع من أكتوبر إلى «قصة الدولة الفلسطينية التي ستفرض علينا». وبالنسبة إلى الفرضية الثالثة، فهي أنه على بايدن تجنّب المواجهة المباشرة مع إسرائيل بسبب اليهود الأميركيين، باعتبار أن 70% من هؤلاء يصوّتون تقليدياً لمصلحة الديموقراطيين، إلا أن ما تبيّن هو أن إسرائيل ليست من بين القضايا الخمس التي تشغل هؤلاء الناخبين. هكذا، دُحضت الافتراضات الثلاثة الخاطئة «من قبل تشاك شومر في خطاب واحد»؛ حيث كانت رسالته بسيطة: «إذا خسرتمونني، فستخسرون جو بايدن. وإذا خسرتم جو بايدن، فأنتم في حالة سيئة جداً، بنيامين نتنياهو هو المسؤول عن كل هذا، فلتتصرفوا». وفي وقت لاحق لما اعتُبر «هزة أرضية سياسية»، قال شومر، في منشور على منصة «إكس»، إنه «ليس بإمكان الولايات المتحدة التقرير في نتائج الانتخابات. فهذا عائد إلى قرار الجمهور الإسرائيلي. كدولة ديموقراطية، لإسرائيل كل الحق في اختيار قادتها، ولكن الأمر الأهم هو أن يُمنح الإسرائيليون الخيار، يجب القيام بنقاش جديد بشأن المستقبل».

واشنطن - «تل أبيب»: «الإحباط» في ذروته

تحوّل التفاؤل الذي كان المسؤولون الأميركيون يحاولون «بثّه» خلال الأسابيع الماضية، حول أنّ التوصل إلى هدنة جديدة في غزة بات قاب قوسين أو أدنى، إلى انقسام أكثر حدّة بين إدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، وحكومة بنيامين نتنياهو، بلغ، أخيراً، مستوى غير مسبوق منذ بداية الحرب في أكتوبر الماضي، بسبب عدم استجابة الأخيرة لأيّ من المطالب الأميركية، بالرغم ممّا تتكبّده واشنطن من خسائر «في الداخل والخارج»، جراء دعمها المستمر للعدوان الإسرائيلي على القطاع. وإلى جانب الانتقادات التي تستمر في الخروج إلى العلن بشكل غير اعتيادي، فقد باتت التهديدات الأميركية - والمدفوعة جزئياً بضغط من عدد ليس بقليل من المشرّعين الأميركيين -، تطاول أخيراً ملفات أكثر حساسية، بعدما بدأت بعض المصادر الأميركية تلوّح بإمكانية تخلّي واشنطن عن دعمها لإسرائيل في «الأمم المتحدة»، و«منع» القوات الإسرائيلية من استخدام الأسلحة الأميركية في حال قرّرت الأخيرة غزو رفح، وصولاً حتى إلى إصدار جهات استخباراتية أميركية تقارير تفيد بأنّ حكومة نتنياهو قد «لا تستمر» طويلاً.

وإذ شكّلت تصريحات زعيم الأغلبية الديموقراطية في «مجلس الشيوخ» الأميركي، تشاك شومر، آخر مظاهر الانقسام المشار إليه، فإنّ جملة من المعطيات التي دأبت وسائل الإعلام الغربية على نشرها، خلال الأيام التي سبقت إعلان المسؤول الأميركي، كانت تدل على الهوة التي تزداد اتساعاً بين واشنطن وحليفتها. وفي السياق، أورد موقع «أكسيوس»، هذا الأسبوع، تقريراً جاء فيه أنّ وكالة استخبارات أميركية «كبيرة» خلصت في تقييمها السنوي حول التهديدات، الذي صدر في آذار، إلى أنّ «عدم الثقة في قدرة نتنياهو على الحكم» يتعمّق منذ بدء الحرب. وتابع تقرير مكتب «مدير الاستخبارات الوطنية» أنّ «استمرارية نتنياهو كزعيم، وكذلك ائتلافه الحاكم المؤلف من الأحزاب اليمينية المتطرفة، التي تنتهج سياسات متشددة بشأن القضايا الفلسطينية والأمنية»، أصبحت على الأرجح معرّضة لـ«الخطر»، مشيراً إلى أنّ «أجهزة المخابرات الأميركية تتوقع اندلاع احتجاجات كبيرة تطالب باستقالة نتنياهو، وإجراء انتخابات جديدة في الأسابيع والأشهر المقبلة». وأردف أنّ هناك احتمالاً لوصول حكومة مختلفة «وأكثر اعتدالاً»، علماً أنّه بحسب موقع «أكسيوس»، فإنّه «من النادر جداً أن يتم إخراج مثل هذا التقييم للوضع السياسي الداخلي لزعيم حليف لواشنطن إلى العلن»، فيما يعتقد مسؤولون إسرائيليون أنّ مثل هذه الخطوة ما كانت لتحصل من دون إذن من البيت الأبيض.

وسرعان ما تصاعد الصدام العلني بين بايدن ونتنياهو في أعقاب صدور التقييم؛ إذ اتهم مسؤول إسرائيلي كبير، إدارة بايدن، بمحاولة «تقويض» الحكومة الإسرائيلية. وفي تقرير منفصل، تحدّث الموقع الأميركي نفسه عن «حديث مسرّب» لبايدن مع أحد المشرّعين الديموقراطيين، في أعقاب «خطاب الاتحاد» الذي ألقاه منذ نحو أسبوع، يقول فيه إنه سيتوجب على نتنياهو القدوم لحضور «لقاء بالغ الأهمية» لبحث الحرب في غزة. وفي وقت سابق، قال مسؤولون أميركيون إنّ أي عملية عسكرية إسرائيلية محتملة في رفح ستؤدي على الأرجح إلى تحول كبير في السياسة الأميركية، بما يشمل امتناع واشنطن عن الدفاع عن إسرائيل في «الأمم المتحدة»، أي بالتالي السماح لأي قرار بوقف فوري لإطلاق النار بالمرور، وفرض قيود على استخدام القوات الإسرائيلية للأسلحة الأميركية. كما أنّ ساكن البيت الأبيض كان قد حدّد، هذا الشهر أيضاً، أول «الخطوط الحمر» للعدوان الإسرائيلي، والمتمثل في شن هجوم على رفح، مشيراً إلى أنّه لا يمكن قتل «30 ألف فلسطيني آخرين خلال عملية مطاردة (حماس)»،

> **يحذّر مراقبون من حدوث أزمة غير مسبوقة في العلاقات الأميركية - الإسرائيلية، قد تطاول ملف إمدادات الأسلحة**

في إقرار علني نادر بعد الشهداء الفلسطينيين الذين سقطوا منذ بداية العدوان.

من جهتهم، أثار أكثر من ثلاثين عضواً من «الحزب الديمقراطي» في «مجلس النواب»، بداية الشهر الجاري، في رسالة إلى بايدن، قضية مذكّرة كان قد وقّعها الأخير، الشهر الماضي، تجبر أي متلقّ للمساعدة الأميركية على تقديم «ضمانات مكتوبة وموثوقة» بأنه سيمتثل للقانون الدولي، لافتين إلى أنّ أي «غزو محتمل لرفح سيتعارض على الأرجح مع المذكّرة»، حاثّين بايدن على استخدام «كل أداة في يده لضمان أنّ جميع المستفيدين من المساعدات الأميركية يخضعون للمساءلة». وكردّ على ذلك، وقّع وزير الدفاع الإسرائيلي، يوآف غالانت، أمس، رسالة موجهة إلى إدارة بايدن، يزعم فيها أن «إسرائيل ستستخدم الأسلحة الأميركية وفقاً للقانون الدولي، وستسمح بدخول المساعدات الإنسانية التي تدعمها الولايات المتحدة إلى غزة». لكن صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية نقلت عن مارتن إنديك، سفير الولايات المتحدة السابق لدى إسرائيل، قوله إنّه يجب على الأخيرة أن تفهم أن مستوى الإحباط لدى إدارة بايدن بشأن قد وصل إلى «حده الأقصى»، وأنّه «إذا شنت إسرائيل هجوماً على رفح من دون توفير الحماية الكافية للسكان والنازحين، فقد يؤدي ذلك إلى حدوث أزمة غير مسبوقة في العلاقات الأميركية - الإسرائيلية، قد تطاول ملف إمدادات الأسلحة».

(الأخبار)

شراسة القتال تنتقل إلى وسط غزة

غزة - يوسف فارس

إذا لم تعلن الأذرع العسكرية لفصائل المقاومة تنفيذ عمليات ضد قوات الاحتلال في قطاع غزة في أحد الأيام، فهذا لا يعني أن ذلك اليوم لم يشهد أي عمليات على الأرض، وإنما هو الفاصل الذي تحتاج إليه عودة المقاتلين من خطوط التماس والعُقد القتالية، ليبلغوا قياداتهم عما قاموا به، ويسلّموا ما يمتلكونه من مقاطع مصوّرة. وعليه، شهد، أمس، زخماً في بلاغات المقاومة، عوض الجفاف الذي شهده اليوم السابق.

محور القتال الذي برز في المشهد من حيث شراسة القتال، كان «مدينة الزهراء»، المحاذية للمحافظة الوسطى، وهي أقرب المعالم العمرانية من وادي غزة الذي يفصل بين شمال القطاع وجنوبه. هناك، أعلنت كل من «كتائب القسام» و«سرايا القدس» و«كتائب شهداء الأقصى»، عن عدد كبير من المهمّات الميدانية، كان أبرزها تمكّن مقاومي «كتائب القسام» من استهداف قوة راجلة مكوّنة من 4 جنود أثناء قيامها بنقل عدد من العبوات الناسفة إلى داخل أحد المنازل. وجرى الاستهداف بقذيفة «تي بي جي» مضادة للتحصينات، ما تسبّب بمقتل الجنود الأربعة وتمزّقهم إلى أشلاء، بفعل انفجار العبوات الناسفة. كذلك، أبلغ «الإعلام العسكري لكتائب القسام» عن تفجير خمس دبابات من نوع «ميركافا» بقذائف «الياسين 105». أما «سرايا القدس» فأعلنت أن مقاوميها فجّروا عدداً من الدبابات، وخاضوا مواجهات ضارية من مسافة صفر مع جنود الاحتلال، أدّت إلى مقتل وإصابة عدد منهم. أيضاً، أعلنت «كتائب شهداء الأقصى» أن مقاوميها تمكّنوا من تفجير دبابة بقذيفة «آر بي جي» شمال «مدينة الزهراء»، كما قالت «السرايا» إن مقاوميها قصفوا تجمّعات العدو في المدينة المذكورة، بوابل مكثّف من قذائف الهاون.

وفي خانيونس جنوب القطاع، بدأ المقاومون بملاحقة دبابات العدو التي تراجعت إلى الأطراف الخارجية لـ«مدينة حمد»، التي أكّد مصدر في جيش الاحتلال أن القتال الذي دار فيها، كان من أشد وأشرس نقاط المعارك منذ بداية الحرب، قائلاً إن المقاتلين «انتحروا» وهم يدافعون عن كل شبر من الأرض فيها. وعند تلك الأطراف، أعلنت «كتائب القسام» أن مقاتليها تمكّنوا من تفجير ناقلة جند ودبابة «ميركافا» بقذيفتين، إحداهما من نوع «الياسين 105» والأخرى من نوع «تاندوم». كذلك، تمكّن مقاتلو «كتائب القسام» من استهداف ناقلة جند بعبوة «شواظ»، ثم أطلقوا قذيفة من نوع «تي بي جي» في محيط الناقلة المستهدفة.

وكانت «سرايا القدس» قد نشرت مقطعاً مصوّراً أظهر وحدة المدفعية التابعة لها، وهي تدكّ، أول من أمس، تحشّدات العدو في خانيونس بوابل من قذائف الهاون النظامية.

العدوّ يعترف: المقاتلون دافعوا عن كل شبر من الأرض في «مدينة حمد» (أ ف ب)

طوفان الأقصى

المحيط الهندي في دائرة النار: صنعاء تُطبق الحصار على العدو

لقمان عبد الله

لا تزال تداعيات حرب غزة تفضي إلى تحوّلات كبيرة في الخارطة الجيوسياسية وموازين القوى في منطقة غرب آسيا والشرق الأوسط، فيما تؤدي وتيرة الصراع المتصاعد في بؤرتيه الحيويّتين الأكثر اشتعالاً، أي البحرين الأحمر والعربي، إلى انزياحه إلى المحيط الهندي. وأدخل قائد حركة «أنصار الله»، السيد عبد الملك الحوثي، في خطابه أول من أمس، هذا المحيط، وصولاً إلى رأس الرجاء الصالح، ضمن معادلة نصرة قطاع غزة. ويأتي ذلك بعد أن كانت التقديرات الإستراتيجية تفضي إلى استبعاد إمكانية تحوّل المنافسة في المحيط الهندي إلى صراع مسلّح، واعتبار مثل هذا السيناريو احتمالاً ضعيفاً، لأن مصلحة جميع الأطراف الدولية والإقليمية قائمة على الحلول التوافقية وتجنّب الصدام، أي على خليط من التعاون والمنافسة في آن.

لكن اليمن لم يكتفِ بالإنجاز المتحقّق حتى الآن بالحصار الجزئي الذي يفرضه على الكيان الإسرائيلي، وفضّح عجز واشنطن ولندن وقلّة حيلتهما في مساعاهما إلى منع صنعاء من تحقيق أهدافها في البحرين الأحمر والعربي، بل قرر توسعة العمليات إلى المحيط الهندي، ليعمّق من المأزق الأميركي ويعقّد على الولايات المتحدة حساباتها، خصوصاً أن المنطقة المذكورة تشهد حضوراً متزايداً للقوى الكبرى، ولا سيما الصاعدة منها، من مثل الصين والهند وإيران. غير أن الحوثي لم يشمل في خطابه السفن والبوارج الأميركية والبريطانية، وإنما حصر الأمر بالسفن الإسرائيلية، وهذا ما يتيح لواشنطن ولندن التفكير مرة أخرى، وعدم المجازفة في مواجهة اليمن هنا أيضاً، حتى لا تتعرّضا للاستهداف.

وتنبع أهمية القرار من أنه يوفّر مجالاً واسعاً للمناورة والقدرة على الإضرار بالاقتصاد الإسرائيلي عبر إمساكه بثلاثة ممرّات تستفيد منها السفن الإسرائيلية أو المرتبطة بالعدو:

- الممر الأول، هو رأس الرجاء الصالح، إذ يمكّن القرار اليمن من منع الصادرات إلى إسرائيل من الصين والهند ودول الخليج. ويمكن أن يؤدي، عبر تراكم الاستهدافات، إلى وضع الاقتصاد الإسرائيلي في وضع حرج جداً.

- الممر الثاني، من المحيط الهندي إلى بحر العرب وخليج عدن، عبر باب المندب في البحر الأحمر، والذي يُعتبر حالياً متوقفاً بسبب الاستهدافات اليمنية.

> القرار اليمني بتوسعة العمليات إلى المحيط الهندي، يعمّق مأزق واشنطن ويعقّد عليها حساباتها

- الممر الثالث، من المحيط الهندي إلى دول الخليج، ولا سيما الإمارات والبحرين، عبر مضيق هرمز. وبناء عليه، فإن المعبر البري البديل من البحر الأحمر المحفوفة بالمخاطر.

بالإمارات ومملكة البحرين عبر السعودية والأردن، يُصبح معرّضاً للاستهداف في المجال الرحب الذي تفتحه اليمن، ابتداء من المحيط الهندي أو في مضيق هرمز أو أثناء الوصول إلى كلّ من دبي والمنامة.

وفي تقرير لها، ذكرت مجلة «ماريان» الفرنسية، أنه يتم إنزال شحنات السفن من الصين والهند على وجه الخصوص، في موانئ مملكة البحرين وإمارة دبي، ما يجنّبها الاضطرار إلى المرور عبر مياه البحر الأحمر المحفوفة بالمخاطر.

وبمجرّد وصول هذه السفن إلى الموانئ، يتم تحميل الحاويات على شاحنات تعبر الأراضي السعودية والأردنية، وصولاً إلى الحدود الأردنية – الفلسطينية. وبعد ذلك، يتم نقل الشاحنات الإسرائيلية إلى جنوب فلسطين المحتلة ومنها يُنقل بعضها إلى حيفا. ولأن السعودية لا تقيم علاقات علنية مع الكيان الإسرائيلي، فيما خفّض الأردن من مستوى علاقاته مع إسرائيل بسبب الحرب على غزة، ابتدعت سلطات البلدين، وفقاً لتقرير «ماريان»، لرفع الحرج عنهما، حلاً يقضي بتوصيف الحاويات على أنها «قيد العبور»، ما يسمح بعدم ذكر إسرائيل، كوجهة نهائية. وكشفت المجلة أن شركة «ترنك إنترباريز» الإسرائيلية ذهبت إلى حد إبرام اتفاقية مع شركة مصرية لنقل البضائع عبر إسرائيل بشاحنات متّجهة ليس فقط إلى مصر، ولكن أيضاً إلى السوق الأوروبية، من ميناء دبي. وكانت وزيرة النقل الإسرائيلية، ميري ريغيف، قد أجرت مفاوضات مع أبو ظبي، الشهر الماضي، لتأمين عبور بري للحاويات من الهند.

وفي المقابل، سبق أن شهدت منطقة الخليج، أثناء الغزو الإماراتي لمحافظة شبوة جنوب اليمن، أوائل عام 2022، وتشكيله تهديداً لخاصرة قوات «أنصار الله» في محافظة مأرب، تشابكاً بين مكوّنات محور المقاومة؛ إذ استهدفت صنعاء منشآت في كل من أبو ظبي ودبي، في حين تبنّت «الوية الوعد الحق» في العراق عملية استهداف الإمارات بطائرات مسيّرة.

ويُذكر أن مساحة المحيط الهندي تمتد بين ثلاث قارات هي آسيا وأفريقيا وأوقيانيا، وهو ثالث أكبر كتلة مائية بعد المحيطين الهادئ والأطلسي، كما يشكل شرياناً رئيسياً من شرايين شبكة المواصلات العالمية؛ فعبر مياهه ومضائقه الدولية يمرّ نحو 80% من منتجات العالم من الطاقة والنفط والسلع المختلفة، و50% من حركة النقل البحري بالحاويات، ونصف إجمالي البترول المنقول في العالم أجمع. كما تحوي أعماقه وكتل اليابس من حوله، ما يقدّر بثلثي الاحتياطي العالمي من النفط و40% من احتياطي الذهب، ونحو 60% من اليورانيوم، و90% من الماس. والأهم من هذا كله، أن المسالك البترولية في المحيط الهندي تُعتبر شرايين الحياة الإستراتيجية لعدد من الدول المتطوّرة والنامية، خاصة دول شرق آسيا التي لا مفرّ لأساطيلها من المرور عبر شبه القارة الهندية عند نقلها بترول الشرق الأوسط وأفريقيا، وعودتها إلى بلدانها.

استهداف السفن في المحيط الهندي قد يضع الاقتصاد الإسرائيلي في وضع حرج جدا (أ ف ب)

حكومة «أبو مازن» الجديدة: ديكور إصلاحي... للعودة إلى غزة

رام الله ـ احمد العبد

كما كان متوقعاً، كلّف الرئيس محمود عباس، الخميس، عضو اللجنة التنفيذية لـ«منظمة التحرير»، محمد مصطفى، بتشكيل حكومة «التكنوقراط» الجديدة، التي نالت «رضا» الولايات المتحدة، بعدما جاءت «طبخة» السلطة الفلسطينية، مطابقة لـ«وصفة» إدارة جو بايدن وبعض الأطراف العربية، لمرحلة «ما بعد الحرب». ولم يتأخر ترحيب «البيت الأبيض» في هذا الإطار، إذ حضّت المتحدثة باسم مجلس الأمن القومي الأميركي، أدريان واتسون، في بيان، على تشكيل الحكومة «في أقرب وقت ممكن»، مشيرة إلى تطلّع الولايات المتحدة إلى إجراء الأخيرة «إصلاحات ذات مصداقية وفي العمق»، على اعتبار أن «إصلاح السلطة ضروري لتحقيق النتائج للشعب الفلسطيني وتهيئة الظروف اللازمة للاستقرار في الضفة وقطاع غزة»، على حدّ قولها.

وفيما تتركّز أجندة الحكومة الجديدة على الجانب الاقتصادي، وفقاً لما ورد في كتاب التكليف الصادر عن الرئيس، يبدو أن سلطة رام الله تعوّل على قدرة مصطفى (69 عاماً)، الذي عمل في «البنك الدولي» في واشنطن لمدة 15 عاماً وشغل مناصب في مؤسّسات تابعة للسلطة، أبرزها رئيس «مجلس إدارة صندوق الاستثمار»، على تجنيد التمويل الدولي لمصلحتها، وإخراجها من الأزمة المالية التي تعصف بها، ولا سيما أن عدداً من الدول تعهّدت باستئناف الدعم عقب إجراء «الإصلاحات»، من بينها دول عربية مثل السعودية. وتصدّرت الكتاب المذكور مهمة «قيادة وتعظيم وتنسيق جهود الإغاثة في قطاع غزة، والانتقال السريع والفعال من الإغاثة الإنسانية المطلوبة إلى الانتعاش الاقتصادي، ثم تنظيم ملف إعادة الإعمار وإعادة بناء ما دُمّر في غزة والضفة». وهذه المهمة كفيلة، وحدها، بإفشال الحكومة، وخاصة أنها رهن الدعم والتمويل الخارجي، والذي طالما لم يفِ أصحابه بالتزاماتهم. كما أن الحكومة لا تملك أي أدوات فاعلة من أجل إنجاز مهمة «إعادة توحيد المؤسسات الفلسطينية، ومواصلة الإصلاح بما يفضي إلى نظام قائم على الحوكمة والشفافية ومكافحة الفساد، والتحضير لإجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية في كل المحافظات الفلسطينية بما فيها القدس المحتلة».

وبعيداً من المهمات الثقيلة والفضفاضة التي تتكرر مع كل تشكيل حكومي من دون أن تبصر النور فعلاً، يبدو أن حظوظ الحكومة في النجاح لن تكون أكبر من سابقاتها، نظراً إلى جملة حقائق ووقائع باتت متلازمة مع النظام السياسي الفلسطيني، وبالتالي تمثل أزمات مستعصية بلا حل جذري لها. إذ ثمة، أولاً، تركة ثقيلة من الحكومة السابقة، وتحديداً على الصعيد الاقتصادي المتدهور في الضفة، بفعل سياسات الاحتلال على الأرض، من تدمير للمقوّمات الاقتصادية جراء الاجتياحات والاقتحامات، واستيلاء على إيرادات الحكومة المتمثلة في المقاصة، والذي يُعجز الأخيرة عن سداد التزاماتها المالية تجاه الموظفين أو القطاعات المختلفة، فضلاً عن ارتفاع نسبة البطالة، جرّاء تعطل أكثر من 200 ألف عامل كانوا يعملون داخل الخط الأخضر، وأضحوا اليوم غير قادرين على تأمين قوت عيالهم.

وفيما سيرى الجمهور، للمرة الأولى، وجوهاً جديدة في وزارات كانت تحوّلت إلى قلاع لبعض الشخصيات منذ سنوات، من مثل الخارجية والمالية، يستهدف هذا «التغيير»، وفقاً للتسريبات، تعيين ما بين 7 إلى 8 وزراء من قطاع غزة، وهو ما سيظلّ مشكوكاً في القدرة على تنفيذه. وبحسب التسريبات، فإنّ مصطفى «أعد خطة لإعادة إعمار قطاع غزة تقوم

يبدو أن حظوظ الحكومة في النجاح لن تكون أكبر من سابقاتها (أ ف ب)

> أقدم عباس على ملء الشواغر وتعيين محافظين جدد، بعد 7 أشهر من إحالة 12 محافظاً إلى التقاعد

على تأسيس هيئة مستقلة تشرف عليها لجنة استشارية دولية تضم خبراء وشخصيات دولية معروفة، وتخضع حساباتها لمراقبة البنك الدولي، وإن تلتي أعضاء هيئة إعادة الإعمار سيكونون من القطاع». وتعقيباً على تكليف مصطفى، قالت حركة «حماس» والفصائل المقاومة في غزة إن «الأولوية لمواجهة العدوان وحرب الإبادة والتجويع»، مشيرة إلى أن «اتخاذ قرارات فردية كتشكيل حكومة جديدة دون توافق وطني، تعزيزٌ لسياسة التفرد وتعميق للانقسام». وإذ أكدت الفصائل أن «الخطوة تدل على عمق أزمة قيادة السلطة والفجوة الكبيرة بينها وبين شعبنا وتطلعاته»، دعت «كل القوى الوطنية وخصوصاً الإخوة في فتح إلى التوافق على إدارة هذه المرحلة المفصلية». وستتضح آلية التعامل مع الحكومة الجديدة، لاحقاً، خاصة إذا ما شرعت الحكومة، وفقاً للتصورات الموضوعة، في مباشرة مهامها المكلفة بها، دون تلبية لمطلب «التوافق» الذي طالبت به الفصائل.

على أن الحكومة الجديدة لا تمتلك حلولاً سحرية، ولن تجترح المعجزات لإحداث تغيير كبير ومطلوب، وخصوصاً أنها لن تلعب أي أدوار سياسية في المرحلة المقبلة. أما عملها، فسيكون مقيداً بضوابط السلطة الفلسطينية والتزاماتها واتفاقياتها مع إسرائيل وإملاءات «المجتمع الدولي». لا بل قد تكون مكبلة أكثر من غيرها، من داخل النظام السياسي القائم نفسه، نظراً إلى تسريبات عن معارضة واسعة في «المجلس الثوري لحركة فتح» لتعيين مصطفى. والواقع أن السلطة ورئيسها لا يكترثان كثيراً لنجاح الحكومة المقبلة، كونها خرجت من رحم ضغوط دولية وعربية، يهدف «أبو مازن» إلى التخفّف منها، على أن تكون هذه الخطوة بوابة لاستعادة السيطرة على غزة بعد انتهاء الحرب، وفقاً للوعود الغربية.

وضمن هذا السياق، أقدم عباس على ملء الشواغر وتعيين محافظين جدد، بعد 7 أشهر من إحالة 12 محافظاً إلى التقاعد، وأيضاً بعد أسابيع من إعلان رئيس الوزراء السابق، محمد اشتية، البدء بتنفيذ برنامج «الإصلاح الحكومي» بتوجيه من عباس، علماً أن تعيينات المحافظين الجدد لم تحمل أي «دماء جديدة»، كون معظمهم كانوا «نواب المحافظين السابقين»، وجلّهم من حركة «فتح»، لكن هذه المرة من فئة الشباب، وليسوا ذوي خلفية أمنية واضحة، إذ لا يحملون رتباً عالية من مثل لواء وعميد وعقيد، على غرار سابقيهم منذ نشوء السلطة. وإلى جانب ذلك، لم يغفل الرئيس إجراء «تغيير» شكلي في السلطة القضائية، بعد انتقادات واتهامات لأزمتها لسنوات بالتبعية والتخلي عن استقلاليتها، فأقدم على قبول استقالة رئيس مجلس القضاء الأعلى، عيسى أبو شرار، الذي عينه الرئيس بنفسه.

مسار تصعيد جديد: اليمن يُخرج مفاجآته

صنعاء - رشيد الحداد

دعت صنعاء، رسمياً، الشركات الملاحية الدولية المرتبطة بالكيان الإسرائيلي إلى وقف الإبحار في المحيط الهندي، بما يشمل رأس الرجاء الصالح، الذي تحوّلت كثير من الشركات إليه بعد إغلاق مضيق باب المندب في وجهها، معلنةً نيّتها استهداف كل السفن المتجهة إلى الموانئ الفلسطينية المحتلة أثناء عبورها بمحاذاة جنوب قارة إفريقيا. وأوضح مصدر عسكري مطّلع، في حديث إلى «الأخبار»، أن اقتصار الإعلان على منع السفن المتّجهة إلى موانئ الكيان بُعدَ مرحلة أولى ستليها مراحل أخرى تشمل منع السفن الأميركية والبريطانية من المرور هناك.

وأكد عضو المكتب السياسي لحركة «أنصار الله»، علي القحوم، بدوره، لـ«الأخبار»، أنّ نقل صنعاء عملياتها من البحر الأحمر وخليج عدن، إلى البحر العربي والمحيط الهندي، يأتي في إطار المسار التصاعدي لمعركة «الفتح الموعود والجهاد المقدّس» التي أعلنتها الحركة، مطلع العام الجاري، مشيراً إلى أن القوات البحرية اليمنية تتّجه إلى فرض معادلة عسكرية جديدة خارج البحر الأحمر وخليج عدن، بعدما نجحت في تثبيت معادلة الحصار بالحصار في هذا المجال البحري الحيوي، وهذا ما يُعدّ بمنزلة إطباق كلي على الكيان، في إطار مساندة الشعب الفلسطيني ومقاومته في قطاع غزة. وأكد القحوم أنّ قوات بلاده عبورها بمحاذاة جنوب قارة أفريقيا. وأوضح مصدر عسكري مطّلع، في حديث إلى «الأخبار»، أن اقتصار الإعلان على منع السفن المتّجهة إلى موانئ الكيان يُعدّ مرحلة أولى ستليها مراحل أخرى تشمل منع السفن الأميركية والبريطانية من المرور هناك.

وأكد عضو المكتب السياسي لحركة «أنصار الله»، علي القحوم، بدوره، لـ«الأخبار»، أنّ نقل صنعاء عملياتها من البحر الأحمر وخليج عدن، إلى البحر العربي والمحيط الهندي، يأتي في إطار المسار التصاعدي لمعركة «الفتح الموعود والجهاد المقدّس» التي أعلنتها الحركة، مطلع العام الجاري، مشيراً إلى أن القوات البحرية اليمنية تتّجه إلى فرض معادلة عسكرية جديدة خارج البحر الأحمر وخليج عدن، بعدما نجحت في تثبيت معادلة الحصار بالحصار في هذا المجال البحري الحيوي، وهذا ما يُعدّ بمنزلة إطباق كلي على الكيان، في إطار مساندة الشعب الفلسطيني ومقاومته في قطاع غزة. وأكد القحوم أنّ قوات بلاده ترجمت تهديد القيادة على أرض الواقع بتنفيذها عدداً من العمليات التي صدمت العدوّ في المحيط الهندي، وأن في جعبتها الكثير من المفاجآت التي ستُنفّذ في المدّة القادمة. والجدير ذكره، هنا، أنّ سواحل جزيرة سقطرى الجنوبية تطلّ على المحيط الهندي، ما يضمن لليمن حدوداً بحرية مع ذلك المحيط في عمق المنطقة المحاذية لجنوب إفريقيا، حيث أقرب نقطة تمرّ عبرها السفن بمحاذاة رأس الرجاء الصالح.

وفي التطورات اليومية، أمس، أعلن الناطق باسم قوات صنعاء، العميد يحيى سريع، أن القوات البحرية نفّذت عملية استهداف لسفينة «pacific 01» الإسرائيلية في البحر الأحمر بعد من الصواريخ البحرية المناسبة، فيما نفّذ سلاح الجو المسيّر عملية استهداف لمدمّرة أميركية في البحر الأحمر بعدد من الطائرات المسيّرة، مضيفاً أنه «تنفيذاً لتوجيهات السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي، بدأت القوات المسلحة اليمنية توسيع نطاق عملياتها العسكرية

> أقيمت مناورات عسكرية ردّاً على زيارة غير معلنة للسفير الأميركي إلى مأرب

ضد السفن الإسرائيلية أو المتجهة إلى موانئ فلسطين المحتلة لتشمل المحيط الهندي وطريق رأس الرجاء الصالح».

وأفادت «هيئة عمليات التجارة البحرية البريطانية» أن سفينة تجارية تعرّضت لأضرار جراء إصابتها بصاروخ قبالة سواحل اليمن غرب مدينة الحديدة، مضيفة أن «السفينة أبلغت عن إصابتها بصاروخ»، ومشيرة إلى أن طاقمها بخير، وأنها تواصل الإبحار نحو مقصدها. وكانت القوات اليمنية قد أجبرت سفينة شحن بريطانية على تغيير مسارها في خليج عدن، مساء أول من أمس. وقالت مصادر ملاحية، لـ«الأخبار»، إن السفينة استجابت لعملية تحذيرية، علماً أنها هي نفسها التي أعلنت «هيئة عمليات التجارة البحرية البريطانية» تعرّضها لهجوم على بعد 50 ميلاً بحرياً جنوبيّ شرقيّ عدن، من دون أن تتحدّث عن امتثالها للتحذيرات النارية وتغييرها مسارها.

وجاءت عمليات الاستهداف تلك في أعقاب قيام الطيران الأميركي والبريطاني بشنّ سلسلة غارات على المناطق الساحلية في محافظتَي الحديدة وحجّة، بلغت 13 غارة بين ليل أول من أمس، وفجر أمس.

من جهتها، أعلنت القيادة المركزية الأميركية، في بيان فجر أمس، أنّ قوات صنعاء أطلقت صاروخين باليستيين مضادّين للسفن نحو خليج عدن، وصاروخَي كروز نحو البحر الأحمر، فيما لم يتمّ الإبلاغ عن وقوع إصابات أو أضرار في السفن الأميركية أو أي سفن أخرى عاملة ضمن تحالف «حارس الازدهار». كما أكدت أنها اشتبكت مع تسعة صواريخ مضادة للسفن وطائرتين من دون طيار في مناطق سيطرة «أنصار الله»، وزعمت أنها دمّرتها جميعاً.

وكانت قوات صنعاء قد نفّذت 12 عملية بحرية ضد سفن تجارية وعسكرية معادية في البحر الأحمر وخليج عدن، منذ السبت الماضي وحتى فجر أمس، استخدمت فيها 58 صاروخاً بحرياً ومسيّرة، ليرتفع إجمالي السفن المستهدفة منذ منتصف تشرين الثاني الماضي في تلك المنطقة، إلى 73 سفينة إسرائيلية وأميركية وبريطانية.

من ناحية ثانية، ردّت وزارة الدفاع في صنعاء على التحركات الأميركية والبريطانية لتفجير الأوضاع في الجبهات الداخلية، بمناورات عسكرية جرت خلال الأسبوع، أخرها مناورة «اليوم الموعود» التي نفّذتها قيادة المنطقة العسكرية المركزية التي يقودها اللواء عبد الخالق الحوثي، شقيق قائد «أنصار الله». وقالت مصادر عسكرية، لـ«الأخبار»، إن المناورة التي نُفّذت في محافظة مأرب بحضور قيادات عسكرية رفيعة، ومشاركة ألف مقاتل والطيران الحربي وقوات متعدّدة المهمات، جاءت رداً على تحرّكات يقوم بها السفير الأميركي لدى حكومة عدن، ستيفن فاجن، وأخرى بريطانية إزاء الفصائل الموالية للإمارات لتفجير الأوضاع في أكثر من جبهة.

وفي تعليقة على المناورة التي حاكت التصدي لقوات معادية، اعتبرها عضو «المجلس السياسي الأعلى»، محمد علي الحوثي، رسالة نارية ردّاً على أخرى سياسية وجّهها فاجن قبل أيام، عبر زيارة غير معلنة قام بها إلى محافظة مأرب للترتيب لتصعيد عسكري محتمل. وأكد الحوثي، في منشور على «إكس»، أن قوات بلاده في جهوزية عالية لمواجهة الأميركي والبريطاني، مضيفاً أن صنعاء أعدّت العدّة لمواجهة مصيرية مع الأميركي أو «مع أدواته من المليشيات».

مجازر الطحين تستحيل «روتيناً» أسبوعياً

غزة - يوسف فارس

تحوّلت المجازر التي يرتكبها جيش العدو على مفترقَي الكويت والنابلسي، إلى روتين أسبوعي، صار مفهوماً معه، أنه من المحال أن يدخل كيس طحين واحد إلى المنطقة المحاصرة منذ أكثر من ثلاثة أشهر، من دون أن يُعثَس بالدم. ليل الخميس - الجمعة، شاعت أجواء احتفالية في شوارع الأحياء المحاصرة، حيث كان يكفي أن يشقّ حلكة الليل صوت منادٍ: «شاحنات الطحين على الكويت»، حتى يهرع الرجال والشباب بالآلاف، مشياً على الأقدام، أو عبر السيارات المتهالكة، أو على العربات التي تجرّها الدواب، إلى المفترق الذي يقع جنوبي حي الزيتون شرقي مدينة غزة. «يا بترجع حاملين أو محمولين»، بهذه العبارة اختصر جارنا حديثه إلى والدته التي جفّت دموعها وهي ترجوه عدم الذهاب، قائلة له إن حياته أغلى من كل طعام هذا العالم. على مفترق الكويت، احتشد نحو 30 ألف جائع، وانتظروا لساعات دخول شاحنات الطحين. يُفهم من يغازلون الموت بشكل أسبوعي، البروتوكول العسكري المتّبع: «تخرج دبابة الميركافا من خلف الساتر، تطلق عدّة مئات من الطلقات، تمشّط المنطقة، ثم تتراجع، حينها تتقدّم شاحنات الطحين، ويندفع الشبان للحصول على حصتهم (...) وحده جيش العدو مَن يقرّر قدر الدماء التي سيسفكها في كل ليلة، واحد أو عشرة أو مئة. المهم، أن تُعَدّ كل أكياس الطحين بالدم».

براء البحري واحد من هؤلاء الشبان الذين نجوا بأعجوبة من المجزرة. التقيناه وهو مسجًى على أحد أسرّة مستشفى «الشهيد كمال عدوان». يقول لـ«الأخبار»: «حين وصلت شاحنة الطحين الأولى، بدأت دبابة الميركافا بإطلاق قذائف تجاه الشبان، أطلقوا قذيفتين في اتّجاهنا، وبعدها، بدأت طائرات الكواد كابتر والطائرات المروحية، بإطلاق الرصاص تجاه الشبان الذين اندفعوا ليحصلوا على الطحين». يتابع الشاب المصاب بطلق ناري في الكتف، وشظايا في كلّ أنحاء جسده: «غبت عن الوعي، ولمّا صُحيت، لقيت حولية سبعين شاب منهم مستشهد وغارق بدمه، ومنهم لسا الروح ما طلعت منه، بعضهم حاملين كياس مستشهدين وهما حاضنينها، ومنهم بيزحف ورجله مبتورة بحاول يطلع من المكان». بدوره، يؤكد ضابط الإسعاف، نبيل صقر، أن عدداً من سيارات الإسعاف حاولت الوصول إلى مكان المجزرة لإنقاذ المصابين، فعاجلتهم دبابات الاحتلال بإطلاق زخات من الرصاص الكثيف والقذائف، ما تسبّب بإصابة عدد من المرضين والمسعفين. ويتابع حديثه إلى «الأخبار»: «فور وصولنا، مع ساعات الفجر الأولى، حاولنا الدخول لانتشال المصابين والشهداء، فبدأت الدبابات وطائرات الكواد كابتر بإطلاق الرصاص الكثيف، أكثر من 150 بين شهيد وجريح حصيلة المجزرة، انتشلنا 20 شهيداً والعشرات من المصابين إلى مستشفيات الشفاء والمعمداني في مدينة غزة. والعودة وكمال عدوان في شمال غزة. غالبية الإصابات صعبة جداً، طلقات نارية من العيار الثقيل، وشظايا قذائف، ورصاص في المناطق العلوية من الجسم».

وكان المكتب الإعلامي الحكومي أعلن أن جيش العدو ارتكب، في خلال الساعات الـ48 الماضية، خمس مجازر في مراكز توزيع المساعدات، راح ضحيتها 56 شهيداً وأكثر من 300 جريح. كذلك، ارتكب جيش العدو 13 مجزرة بحقّ العائلات في خلال 24 ساعة، راح ضحيتها 149 شهيداً و300 مصاب، ما يرفع عدد الشهداء، في اليوم الـ161 من الحرب إلى 31490 و73439 جريحاً.

روسيا

بوتين «قيصراً» على ظهر الحرب

خضر خروبي

في أول انتخابات رئاسية تشهدها روسيا منذ بدء حرب أوكرانيا، والمقرّرة على مدى ثلاثة أيام (17 - 19 آذار)، يكاد المشهد السياسي والإعلامي في «الإمبراطورية» التي تتقاسمها جغرافياً قارّتان، في 11 منطقة زمنية، والبالغ عدد سكانها قرابة 147 مليون نسمة، يخلو من أيّ عراقيل على طريق تتويج فلاديمير بوتين لولاية جديدة، مدّتها ست سنوات، ليصبح، في حال فوزه وإتمامه كامل ولايته الخامسة، الأطول عهداً في تاريخ البلاد، ولتتجاوز مدة حكمه عدد السنوات التي قضاها جوزيف ستالين في الحكم.

بعد ما أشيع، في المدة الماضية، من تكهّنات حول إمكانية إجراء الانتخابات الرئاسية من عدمها، بسبب ظروف الحرب التي تعيشها البلاد، إضافة إلى الوضع الاقتصادي والمعيشي الصعب، يبدو الكرملين أكثر إصراراً على إتمام الاستحقاق، بقصد توجيه رسائل سياسية إلى الداخل والخارج. ولهذا، فضّل بوتين الإعلان عن ترشّحه للانتخابات الرئاسية لدى لقائه حشداً من قدامى المحاربين على الجبهة الأوكرانية، خلال حفل أقيم في الكرملين، وليس في خطاب جماهيري في مناسبة سياسية تقليدية، كما كان يفضّل مستشاروه. ومع بدء التصويت المبكر في الـ26 من شباط الماضي، في الدوائر الانتخابية النائية شرقي البلاد، يراهن الرئيس الروسي على مجموعة عوامل، أبرزها سياسي، ويتمثّل في خروج المعارض الأكثر إثارة لقلق بوتين، أليكسي نافالني، من المشهد السياسي، بعد وفاته في سجنه، الواقع في أقصى شرق البلاد؛ وآخر ميداني يتّصل بجانب أساسي، وربّما وحيد في حملته الانتخابية، كان قد أكده في خطاب «حال الأمة»، في الـ29 من شباط الماضي، وهو ما يصفه بـ«النظام النازي» في كييف، وخصوصاً بعد استعادة زخم عملياته العسكرية داخل حدود جارته غرباً، مع نجاح القوات الروسية، في الأسابيع الماضية، في السيطرة على عدة مناطق، كمدينة أفدييفكا، وقرية نيفيلسكي بالقرب من مدينة دونيتسك.

أيضاً، يتسلّح البرنامج الانتخابي لبوتين، والقائم على إذكاء «البعد الوطني» و«الوجودي» لتلك الحرب، و«متعلّقاتها الإستراتيجية والقيمية» في المعركة مع الغرب، بنجاح اقتصاد البلاد في الصمود في وجه العقوبات الغربية، علماً أن الاقتصاد الروسي الذي انكمش بنسبة 1,2% فقط في عام 2022، حقّق، وخلافاً للتوقعات، نمواً بنسبة 3,6% في عام 2023، وفقاً لأرقام «صندوق النقد الدولي». ومع هذا، لم يغفل بوتين عن «تطعيم» ترشيحه للرئاسة، بالإشادة بما وصفه بـ«خامس أكبر اقتصاد في العالم»، وبإشارات واعدة حيال الهموم الحيوية للمواطنين الروس، وذلك نزولاً عند نصيحة فريقه الاستشاري.

وبالحديث عن المناخ العام، تلعب القنوات التلفزيونية الحكومية والصحف الرسمية المهيمنة على المشهد الإعلامي في روسيا، دوراً مهماً في ترجيح كفّة «المرشّح الرئيس»، مع توسيع صلاحيات السلطات الرقابية على وسائل الإعلام في الأعوام الماضية، والتي أفضت إلى إقفال عدد منها، كموقع «Meduza» الإخباري، وقناة «Dozhd»، تحت ذرائع تتّصل بتهديد النظام الدستوري والسلطتَين الأمنية والعسكرية. وخلال السنوات الأخيرة، أُقرّت قوانين عدّة، يمكن إدراجها في إطار الأجندة السياسية والاجتماعية «المحافِظة» للكرملين، على رأسها التعديلات الدستورية التي أُقرّت عام 2020، والتي منحت مؤسّسة الرئاسة صلاحيات واسعة، وسمحت لبوتين بالترشح لولايتَين رئاسيتَين إضافيتَين، فضلاً عن إقرار سلسلة تشريعات أخرى تصب في خانة تضييق الهامش المتاح أمام التحركات الاحتجاجية، بخاصة تلك المعارضة للحرب.

وتشير تقارير غربية، إلى أن الكرملين خصّص ميزانية تفوق المليار دولار، من ضمنها نحو 700 مليون، لأغراض القيام بـ«حملة حرب معلوماتية»، من أجل استمالة الرأي العام، والتأثير في اتجاهاته. وفي هذا السياق، تنقل صحيفة «غارديان» عن مدير إحدى الجمعيات المشاركة في حملة الدعاية الانتخابية لبوتين، تأكيده مضاعفة مستويات الإنفاق على الحملة عبر شبكة الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي، خلال الولاية الحالية للرئيس الروسي، بمقدار عشرين ضعفاً، وحديثه عن أن منظمته اضطلعت وحدها بنحو 40% من النشاطات الرامية إلى «تحقيق ما تطلبه الدولة». كما تكشف الصحيفة البريطانية، بالاستناد إلى ما قالت إنها وثائق روسية مسرّبة خاصة بالكرملين، عن وجود تمويل حكومي بملايين الدولارات لشبكة واسعة من المنظمات غير الحكومية والشركات المتخصصة في صناعة المحتوى الدعائي والإعلاني، سواء عن طريق إنتاج فعاليات وأعمال فنية تركّز على «تمجيد الحرب في أوكرانيا»، كالمهرجانات الشبابية، والأفلام السينمائية؛ أو عن طريق أنشطة تعنى بمخاطبة الرأي العام للغرض نفسه من قبيل تأسيس سلسلة قنوات عبر موقع «تلغرام»، وإجراء استطلاعات للرأي، ولا سيما في المقاطعات الأربع المنضمّة حديثاً إلى روسيا. وتُعدّ شركة «IRI»، التي يديرها الإعلامي المقرّب من الرئيس الروسي، أليكسي غورسلافسكي، إحدى أبرز تلك الشركات، ولا سيما أنّ حصّتها السوقية في صناعة المحتوى الإعلامي والسينمائي في روسيا تقارب نحو 40%، علماً أنها حصلت على تمويل من الدولة خلال عام 2023 بلغ 22 مليار روبل، رُصد حوالى 18 مليارا منها للقيام بنشاطات لحساب الحملة الانتخابية للرئيس.

> **83% من المستطلعين الروس، يؤيّدون تركيز السياسات العامة على القضايا الداخلية، بدلاً من الانشغال بملفّات السياسة الخارجية**

في المقابل، يواجه «المرشّح الرئيس»، رغم أرجحية فوزه، تحدّيات على غرار وجود شريحة كبيرة من الشارع الروسي لا تؤيّد الحرب في أوكرانيا، في وقت يتطلّع فيه بوتين إلى أوسع مشاركة انتخابية ممكنة في الانتخابات الرئاسية، بوصفها فرصة لاستفتاء الشعب الروسي حول مدى شرعية نظامه، وخصوصاً أن الفعاليات الانتخابية غالباً ما تشكّل منصة سياسية للمعارضين لتحشيد الرأي العام ضدّ السلطات، تماماً كما حدث بعد انتخابات عام 2021. وهذا بالضبط ما تشير إليه الباحثة في «مركز كارنيغي روسيا أوراسيا» للدراسات السياسية والإستراتيجية، تاتيانا ستانوفايا، حين تقول إن «تنظيم الانتخابات يحظى بأهمية بالغة بالنسبة إلى بوتين، لكونها تشكّل أحد المداخل الأساسية (لتعزيز حكمه)». وخلافاً لاستطلاعات الرأي، حتى الغربية، التي تشير إلى تأييد غالبية الروس، سياسات بوتين، وفي طليعتها الحرب على أوكرانيا، يستعرض المحلّل السياسي الروسي وأحد مؤسّسي منظّمة «Chronicles» لبحوث الرأي العام، أليكسي مينيايلو، نتائج استطلاع أجرته منظمته في كانون الثاني الفائت، أظهر أن 83% من المستطلعين الروس، يؤيّدون تركيز السياسات العامة على القضايا الداخلية، بدلاً من الانشغال بملفّات السياسة الخارجية، في حين أيّد نحو 58% منهم التوصّل إلى اتفاق هدنة مع الجانب الأوكراني. وتابع أن «ما يتوجّب علينا أن نلتفت إليه، ليس نتائج انتخابات السابع عشر من آذار، بحدّ ذاتها، بقدْر ما يتعيّن علينا الالتفات إلى ما ستظهره في شأن ما يتطلّع إليه الروس»، شارحاً أن نسبة كبيرة من المستطلعين تفضّل انتخاب رئيس «قادر على حلّ القضايا الدولية عبر الديبلوماسية، وليس عبر الحرب، على أن يتفرّغ لحلّ المشكلات الاجتماعية والاقتصادية في البلاد، وخاصة في المناطق النائية».

يتسلّح البرنامج الانتخابي لبوتين، بنجاح اقتصاد البلاد في الصمود في وجه العقوبات الغربية (أ ف ب)

مقالة

فلاديمير الخامس

جمال غصن

مع بدء عمليّة الاقتراع في الانتخابات الروسية، شنّ الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، هجوماً كلاميّاً (شرساً) على الرئيس الروسي، المرشّح لولايةٍ خامسة مؤكّدة، فلاديمير بوتين. استحضر ماكرون لغة غابت عن الشأن الأوكراني منذ اتّضح أن هزيمة الجيش الأوكراني وكتائبه المجاهرة بنازيّتها باتت وشيكة. ماكرون، الذي شهدت ولايته أفول الهيمنة الفرنسية عن الساحل الأفريقي، والذي فقد خلالها وزراء وسفراء وقادة مخابرات بلاده «المَونة» على سياسيّي بلد متوسطي صغير كان يرى في فرنسا أمّاً حنوناً، تحدّث بكلامٍ كبيرٍ عن ضرورة هزيمة بوتين عسكرياً، ولو تطلّب ذلك إرسال جيوش أوروبية للقتال على الجبهات «لأن أمن أوروبا على المحكّ». طبعاً عندما يتحدّث ماكرون عن أوروبا، فهو يعني غرب القارة، وفرنسا هي أقصى هذا الغرب؛ إذ تحدّها من الغرب مياه شمال الأطلسي. الحماسة الماكرونية لتوسيع الحرب على روسيا تضمحلّ

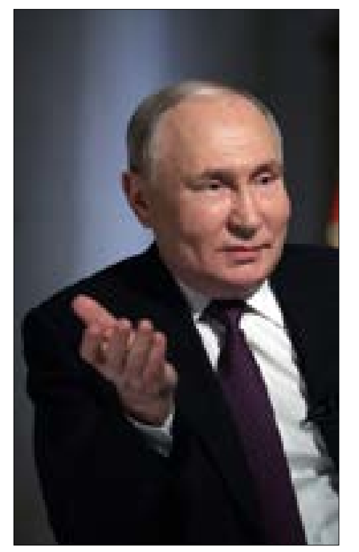

كلما اقتربت نحو الحدود الشرقية لـ«حلف شمال الأطلسي». وبالمناسبة، يجتمع ماكرون عشية انتخابات الكرملين بقادة الدول «الأطلسية» الأقرب إلى جبهات القتال. المستشار الألماني، أولاف شولتز، على خلاف علنيّ مع ماكرون منذ أسابيع في ما يخصّ حرب أوكرانيا، ورئيس الوزراء البولندي، دونالد تاسك، «فايت بالصلحة». عتب الألماني على الفرنسي هو أن الأخير يكثر الكلام لتأجيج الصراع، ولا يُتبع هذا الضجيج بأي مساهمة فعلية على أرض الميدان. الميدان متروك للمحكومين به جغرافيّاً، وتبعد باريس أضعاف ما تبعده وارسو عن كييف.

في الولايات المتحدة، ترامب راجع. لا داعي لقول المزيد.

هذا هو مشهد أعداء بوتين الخارجيين عشيّة تجديد البيعة. أمّا داخليّاً، فخصوم بوتين، لسبب أو لآخر، لا يعمِّرون كثيراً. القدر يتدخّل عبر موت مفاجئ هنا أو أعطال طارئة في طائرة هناك، ويحيّد أي احتمال لزعزعة العرش. فماذا يعني أن يبدأ بوتين رئاسته الخامسة مرتاحاً نسبياً مقارنة بولاياته الأربع السابقة؟ هذا إذا ما سلّمنا جدلاً بأنه لم يكن الآمر الناهي خلال ولاية ديمتري ميدفيديف، حين شغل منصب رئيس الوزراء كون الدستور يومها كان يحدّ ولايات الرئيس باثنتين. لكن الدستور تكيّف وتأقلم مع الواقع، أو بالأحرى ذاك الدستور أيضاً صادفته أعطال طارئة مميتة أدّت إلى استبداله.

يُجمِع إعلام حلف «الناتو» على أن بوتين المتجدّد سيكون أكثر «جنوناً» و«تهوّراً» و«إجراماً»، وهذا ليس مستغرباً ممّن أمضوا السنتين الماضيتين في محاولة إقناع شعوبهم بأن أدولف هتلر ليس بسوء فلاديمير بوتين. طبعاً، هؤلاء ينعتون أبطال المقاومة بالإرهابيين، فتصنيفاتهم لا تعني شيئاً. تاريخ بوتين الطويل في الحكم لا يعكس جنوناً أو تهوّراً. في مقابلته الشهيرة قبل شهر مع الإعلامي الأميركي «الترامبي» الهوى، تاكر كارلسون، سرد بوتين بتأنٍّ تاريخ روسيا منذ القرن التاسع للميلاد حتى اليوم ليشرح أسباب الغزو لأوكرانيا، والذي أثبت أنه كان وليد سنين من التخطيط والتحضير. إن كان هناك من متهوّرين في اتّخاذ قرارات الحرب، فلا أحد يتفوّق على دول «الناتو» ومن يدور في فلكها. قد لا يوقف بوتين الحرب قبل انصياع كييف، لكنه حتماً لن يزحف إلى باريس، فالطريق إلى باريس فيها أكثر من باخموت التي عانى الجيش الروسي، وقوات «فاغنر» بقيادة المرحوم يفغيني بريغوجين، الأمرّين لإسقاطها. أمّا مصالح باريس في المستعمرات فهذا أمرٌ آخر، وهذا ما يخيف ماكرون ويدفعه إلى التضحية بأوكرانيا أخرى لإضعاف «نظام بوتين الذي هو غريم لفرنسا» حسب قوله. لن يشعل الرئيس الروسي حرباً على أراضي (غرب) أوروبا، لكنه لن ينسى ما فعله «الناتو» ضده في أوكرانيا، والردّ قادم في ولايته الخامسة، والسادسة، والسابعة، في حال حالفه الحظ في صناديق الاقتراع الديموقراطية، طبعاً.

«سباق بين ضعفاء»!

مع خروج أبرز الوجوه المعارضة الشرسة لبوتين، والمحسوبة على التيار الليبرالي المؤيّد للغرب، من مشهد السباق الرئاسي، وفي طليعتهم أليكسي نافالني، الذي توفي منتصف الشهر الماضي، في سجنه، إلى جانب كل من بوريس ناديغدين من حزب «المبادرة المدنية»، الذي رفضت لجنة الانتخابات قبول طلب ترشيحه، بزعم عدم نيله ما يكفي من التوقيعات الشرعية اللازمة لذلك، وإيليا ياشين الذي تم اعتقاله لانتقاده الحرب في أوكرانيا، اقتصرت قائمة المرشّحين ضدّ بوتين، بعد استبعاد قرابة 29 مرشّحاً محتملاً، على شخصيات تابعة لأحزاب ممثَّلة في البرلمان، وتتقاطع جميعها على تأييد حرب أوكرانيا، وهي: نيكولاي خاريتونوف المرشّح عن «الحزب الشيوعي الروسي»، وفلاديسلاف دافانكوف عن حزب «الناس الجدد»، وليونيد سلوتسكي الذي يرأس «الحزب الليبرالي الديموقراطي»، فضلاً عن شغله رئاسة «لجنة العلاقات الدولية» في مجلس الدوما (البرلمان).

وينطلق البعض من الدلالات التي حملها اختيار خاريتونوف، بدلاً من القيادي التاريخي غينادي زيوغانوف، الذي سبق بدوره وأن نافس الرئيس الروسي بصورة جدّية في استحقاقات رئاسية سابقة، بفارق قارب الـ20% عن بوتين، كما حدث في عام 2000، وهي مؤشرات توحي بقرب القضاء على فرص الشيوعيين في البقاء كـ«ثاني أكبر قوّة سياسية» في البلاد، وذلك في موازاة ضعف المرشّح الآخر عن «الحزب الليبرالي الديموقراطي»، سلوتسكي، غير المعروف على نطاق واسع، والذي اشتهر بحماسته لضمّ المقاطعات الأوكرانية الأربع (لوغانسك، دونيتسك، زابوروجيا وخيرسون) إلى روسيا. وكان خلف سلوتسكي، مؤسّس الحزب و«الزعيم القومي المتطرّف»، فلاديمير جيرينوفسكي، قبل نحو عامين، في خضمّ موجة انشقاقات طالت الحزب، ثم أتى ببرنامج انتخابي يكاد يقتصر على عناوين تنموية محلية، تنسجم مع مطالب الحاضنة الشعبية لـ«الليبراليين»، والتي تتمركز في شرق البلاد، كالإصلاح الضريبي وإنماء الأرياف، وتحمل تأييداً شبه مطلق لأجندة بوتين الخارجية، ليبدو الاستحقاق الانتخابي في المحصلة، أشبه بـ«سباق بين ضعفاء» على انتزاع لقب الوصافة، وليس الرئاسة، وفقاً لمحللين.

أما بالنسبة إلى نائب رئيس مجلس الدوما، فلاديسلاف دافانكوف، المرشّح عن حزب «الناس الجدد»، الذي ينظر إليه كواجهة للتيار الليبرالي المعتدل، والمدعوم من قِبَل الكرملين وطبقة رجال الأعمال، وصاحب برنامج انتخابي يزاوج ما بين عدم معارضة الحرب على أوكرانيا، وبين الدعوة إلى تطوير النظام السياسي، بخاصة على صعيد حماية الحريات العامة، فضلاً عن تعهدات بتخصيص نحو 20% من موازنة البلاد لبنود السياسة الاجتماعية، وفي طليعتها الرعاية الصحية والتعليم، فهو يُعتبر الأعلى كعباً في ما بينهم، حيث تُظهر استطلاعات الرأي، حصوله على ثاني أعلى نسبة تأييد بعد بوتين، بما يوازي 6% من الأصوات.

منافسو بوتين جميعهم من أحزاب ممثَّلة في البرلمان (أ ف ب)

مقالة

أوكرانيا تقسم الحلفاء الأوروبيين
باريس - برلين: «الجرح» يتعمّق

لندن - **سعيد محمد**

فيما تتوسّع مخاوف النخب الأوروبية من تحوّل في السياسة الأميركية تجاه أوكرانيا، في حال نجح دونالد ترامب في العودة إلى البيت الأبيض، وفي وقت تتّجه فيه كييف إلى فرض قانون جديد يفتقد إلى الشعبية بغرض تجنيد فئات جديدة من المواطنين لتدعيم الخطوط الدفاعية المنهكة على طول الجبهة مع روسيا، فإن الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، بدا أكثر إصراراً على توجّهه القاضي بعدم وضع قيود تحدّد صيغ الرّد الغربي الممكن على موسكو، بما في ذلك إرسال قوات غربية للقتال في أوكرانيا، وهو ما أثار خلافات مع بقية الحلفاء، ولا سيما برلين.

واستقصد ماكرون الظهور في مقابلة تلفزيونية، الخميس الماضي، للترويج محلّياً لتوجّهه الجديد باعتبار العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا بمثابة «تهديد وجودي» للأوروبيين، ما قلّص الآمال التي علّقها البعض - ولا سيما في بروكسل - على جَسر الخلاف الفرنسي - الألماني في هذا الشأن خلال القمّة الثلاثية التي عُقدت في برلين، يوم أمس، وجمعت إلى الزعيم الفرنسي كلاً من المستشار الألماني أولاف شولتس، ورئيس الوزراء البولندي الجديد دونالد تاسك. وقال ماكرون في المقابلة التي استمرّت لنصف ساعة وبُثّت في وقت الذروة على قناتَين تلفزيونيتَين رئيسيتَين: «إذا انتصرت روسيا (في أوكرانيا)، فإن حياة الشعب الفرنسي ستتغيّر، ولن تكون أوروبا آمنة بعد اليوم».

وكان ماكرون أثار عاصفة في الأجواء الغربية بعدما أدلى بتصريحات، الشهر الماضي، طالب فيها باعتماد سياسة «الغموض الاستراتيجي» مع موسكو، رافضاً استبعاد مبدأ إرسال قوات برية غربية لتدعيم قوات نظام كييف التي توشك على الانهيار. وقد أثارت تلك التصريحات ضجّة في الداخل الفرنسي، وصخباً في الخارج، واضطرّ عدد من العواصم، بما فيها واشنطن ولندن، إلى النأي بنفسها عن هذا الموقف، والتأكيد أنها لن ترسل قوات لمواجهة الجيش الروسي على الأراضي الأوكرانية، كما تسبّبت بمزيد من التباعد بين باريس وبرلين حيث يتبنّى شولتس لهجة أكثر تحفّظاً تجاه التورّط في الحرب مع روسيا. وندّد ماكرون بالسلوك «المتخاذل» لحلفائه من خلال الإشارة إلى أن وضع أيّ قيود على كيفية الردّ على «عدوان» موسكو المستمرّ، يعني «الإقرار بالهزيمة»، مصرّاً على موقفه حول «الغموض الاستراتيجي»، وإنْ قال إن بلاده لن «تقود الهجوم أو تأخذ المبادرة» في هذا الخصوص. أيضاً، لجأ الرئيس الفرنسي، في وقت سابق من الأسبوع، إلى معارضيه في أقصى اليمين الفرنسي للتمكّن من تمرير تشريع في البرلمان يفوّض الحكومة بعقد اتفاق أمني مع أوكرانيا يتضمّن تأييد طلبها الالتحاق بحلف «الناتو»، وتعهدات بتقديم دعم مالي وعسكري لها. لكنّ استطلاعات الرأي تقول إن أكثر من ثلثي الفرنسيين لا يدعمون موقف رئيسهم، ويعتبرون أن تبنّي عداوة موسكو، القوّة النووية، توجّه خاطئ جملةً وتفصيلاً.

ويلقي تباعد المواقف الفرنسية والألمانية بظلال ثقيلة على قدرة بروكسل على الاستمرار في حشد الأمم الأوروبية وراء واشنطن في منازلتها غير المباشرة مع موسكو. وبخروج بريطانيا من عضوية الاتحاد الأوروبي، أصبح التجمّع لا يستقيم من دون توافق برلين وباريس تحديداً، على الخطوط العريضة. ويعلّق بيروقراطيو الاتحاد آمالاً كبيرة على دور محتمل لرئيس وزراء بولندا في رأب الصدع بين العاصمتَين حول الشأن الأوكراني، وذلك في إطار قمّة تحالف «فايمار» الثلاثي الذي يجمع ألمانيا وفرنسا وبولندا. ومن المعروف أن تاسك، الذي نجح في إقصاء اليمين المتطرّف عن السلطة في وارسو، وأعاد موضعة بلاده كشريك فاعل لبروكسل، يتمتّع بخبرة ممتازة في عقد الصفقات في كواليس الاتحاد، وكان دوره محوريّاً في صيانة وحدة منطقة اليورو عندما أفلست اليونان وكادت أن تخرج من العملة الأوروبية الموحّدة.

لكنّ مراقبين للعلاقات الفرنسية - الألمانية يقولون إن قمّة اليوم لن تكون كافية لجَسر الهوة التي توسّعت بين ماكرون وشولتس على الصعيدَين السياسي والشخصي، والتوتّر الملحوظ للعلاقة بينهما في الأسابيع الأخيرة. وكان المستشار الألماني رفض بشكل مقتضب لكن حاسم، دعوة ماكرون إلى الاحتفاظ بخيار إرسال قوات برية أوروبية إلى أوكرانيا، وعلّق الرئيس الفرنسي بعدها بأن على الأوروبيين ألّا يكونوا جبناء في هذه اللحظة التاريخية، ما اعتبرته برلين موجّهاً إليها، وهذراً «غير مفيد».

على أن جذور الخلاف الفرنسي - الألماني تذهب أبعد من هذه المشاحنات، وترتبط أساساً بالرؤية الاستراتيجية للبلدين في ما يتعلّق بالأمن الأوروبي، واختلاف المقاربات بينهما حول عدد من القضايا الشائكة الأخرى بما في ذلك تحسّس ألماني من محاولة فرنسا مدّ نفوذها إلى شرق أوروبا ودول البلطيق التي تُعدّ تقليدياً ضمن مساحات نفوذ برلين الإقليمي. وتعتمد ألمانيا التي تستضيف قواعد عسكرية أميركية في طول البلاد وعرضها، على واشنطن لضمان أمن واستقرار القارة، فيما تدفع باريس منذ بعض الوقت تجاه فكرة بناء جيش أوروبي يجنّب دول الاتحاد الوقوع رهينة لتغيّر مزاج الإدارات في واشنطن مع كل انتخابات رئاسية جديدة. وبالإضافة إلى ما تقدّم، فإن خلافات باريس وبرلين تشمل مسائل حول أوجه الإنفاق الأوروبي على الدفاع وتمويل الديون المرتبطة بذلك، وامتناع ألمانيا عن إرسال صواريخ بعيدة المدى إلى أوكرانيا مقابل الجعجعة الفرنسية حول ضرورة دعم المجهود الحربي الأوكراني من دون تقديم مساهمة فعلية تُذكر - أقلّه مقارنة مع ما تتحمّله كل من برلين ووارسو -. كما ويتبنّى الزعيمان سياسات انتخابية متعارضة في الانتخابات الأوروبية المقبلة (حزيران)، إذ يروّج شولتس لنفسه كمستشار للسلام والاستقرار، فيما اختار ماكرون لعب دور الصقر ضدّ روسيا لتقليص هامش الانتصار المتوقّع لليمين الفرنسي المتطرّف، على رغم أنه كان حتى وقت قريب الوسيط الوحيد المخوّل من واشنطن لمخاطبة موسكو.

ونقلت صحف لندن عن دبلوماسيين بريطانيين تصوّرهم بأن وارسو مع تاسك قد تكون أقرب الآن إلى الموقف الفرنسي منها إلى الألماني، وأن بولندا تخشى بالفعل انعكاسات وصول ترامب إلى البيت الأبيض، وأصبحت أكثر إقناعاً بضرورة الاحتفاظ بخطّ ثان للأمن سوى «الناتو». وتدعم بولندا وفرنسا مبدأ تزويد كييف بصواريخ طويلة المدى، إذ هناك تبادل أدوار بين رئيس الوزراء البولندي ووزير خارجيته في شأن الموقف من إرسال قوات غربية إلى أوكرانيا، حيث لكلّ مقام مقال.

السيناريو الأكثر واقعية الآن هو أن القمّة قد تساعد في توافق برلين وباريس على تجنّب المشاحنات العلنية بينهما خلال الأسابيع القليلة المقبلة للسماح للزعيمَين بتجاوز استحقاق انتخابات البرلمان الأوروبي، لكنهما ستكونان، اعتباراً من هذا الصيف، بحاجة ماسّة إلى البحث عن صيغة تفاهم لتوحيد المواقف الرسمية الأوروبية في ظلّ الهيمنة المحتملة لليمين المتطرّف على برلمان بروكسل الجديد، وتراجع فرص التجديد للرئيس الأميركي، جو بايدن، في منصبه لمصلحة سطوع نجم دونالد ترامب مجدّداً - ما قد يترك الأوروبيين وحيدين في اللعبة الخطيرة مع روسيا -، فضلاً عن الأوضاع السيئة على الأرض على الجبهة الأوكرانية، والتي أجبرت كييف على تجنيد المزيد من الشبان للدفع بهم إلى المحرقة مجاناً.

قضية

آخر «القلاع» مهدَّدة بالسقوط

فرنسا في الساحل الأفريقي: بكاء على الأطلال

محمد عبد الكريم أحمد

وصلت، بحلول منتصف الشهر الجاري، مظاهر أزمة خروج فرنسا المنتظم من إقليم الساحل، إلى ذروة جديدة، وذلك مع ظهور تقارير تشادية عن نهاية وشيكة لنظام محمد إدريس ديبي، بعد سلسلة من الاغتيالات السياسية التي طاولت مناوئين له، أبرزهم: زعيم المعارضة، يحيى ديلو (اغتيل نهاية شباط الفائت)، الذي كشف عن عزمه على خوض الانتخابات الرئاسية المقرّرة في البلاد في أيار المقبل، وسيمثّل سقوط نظام ديبي المحتمل، ضربة قاضية للنفوذ الفرنسي في الإقليم، آخذاً في الحسبان أن تشاد تُعدّ القاعدة العسكرية الرئيسيّة للاستعمار الفرنسي في «أفريقيا جنوب الصحراء»، منذ نهاية القرن الـ 19 لغاية اليوم. وفيما خسرت باريس حربها للبقاء في الإقليم، فإنها تواصل تعميق خساراتها «الإعلامية» لاستمالة سكانه، وفق ما بيّنته أخيراً منتجات آلة الدعاية الفرنسية، وآخرها تقرير «France 24» المنشور في الـ 12 من الشهر الجاري، والذي تداولته وأعادت نشره منافذ إعلامية دولية وعربية، حول مخاوف إزاء تمدّد نفوذ تركيا وإيران والمغرب في الإقليم لملء «الفراغ الفرنسي»، على نحو يعزّز فرضية كون الإقليم فناءً خلفيّاً لفرنسا، ويتجاهل بشكل كامل طبيعة المتغيّرات السريعة التي يشهدها، والتي ربّما تطاول آخر موطئ قدم لفرنسا فيه: تشاد.

تركيا والساحل: خطوات محسوبة

تجنح السياسة التركية الحالية في أجزاء متفرّقة من القارة، إلى خلط الأوراق وإبداء قدْر مذهل من المرونة، من قبيل التقارب مع مصر في ملفّات البحر الأحمر والقرن الأفريقي، والتعاون غير المسبوق مع إيطاليا في الملفّ الليبي. كذلك، لم يغب إقليم الساحل عن اهتمامات الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، الأفريقية، ولا سيما الأوضاع في تشاد الواقعة جنوبي ليبيا. ويمكن ملاحظة أن القاعدة العسكرية التركية النشطة في طرابلس، والتي تضمّ قوات برّية وبحرية مدرّبة تدريباً متقدّماً، والحضور التركي المتزايد في السودان عبر التقارب مع رئيس «مجلس السيادة»، عبد الفتاح البرهان، يمثّلان رافعة قوية لنفوذ أنقرة المتصاعد في تشاد، منذ منتصف العام الماضي. وذلك بعد إتمام تركيا صفقات سلاح مهمّة مع الجيش التشادي، من بينها صفقة طائرات هجومية خفيفة ومن دون طيار، تفعيلاً لاتفاق شامل للتعاون العسكري بين البلدَين، موقّع في عام 2022. وتبدو خطوات تركيا محسوبة بدقّة بالغة في الساحل، ومكمّلة لخطواتها في مصر ودولتَي جوار تشاد العربيتَين (ليبيا والسودان).

وفي النيجر، بادرت تركيا، منذ الانقلاب الذي شهده هذا البلد (تموز 2023)، إلى تقديم دعم مفتوح تمثّل بدايةً في إعلان إردوغان نفسه دعمه الكامل للانقلاب، وتوجيهه نقداً مباشراً إلى فرنسا التي قال إنها قمعت شعب النيجر طوال سنوات، وإن وقف الأخيرة «صادرات البورانيوم» إلى الفرنسيين، «ردّ مناسب» على ذلك القمع، والذي امتدّ إلى «الجزائر ورواندا ومالي».

ويمكن رصد مقاربات مماثلة في سياسة تركيا، العضو المهمّ في «حلف شمال الأطلسي»، تجاه مالي وبوركينا فاسو، على نحو يدفع إلى تقدير اندفاع أنقرة لشغل الفراغ الذي خلفته باريس بشكل تدريجي، ويؤشّر إلى فرص نجاح كبيرة في هذا المسار، يعزّزها توظيف تركيا قوّتها الناعمة كمقابل لسياسات فرنسا الاستعمارية والاستغلالية في العقود الماضية.

إيران والساحل: خيال الظل أفريقيًا؟

تظلّ مسألة الوجود الإيراني في أفريقيا عالقة في تصوّرات «أيديولوجية» وشعبوية تواصل النظر إلى علاقات الجمهورية الإسلامية بالقارّة من منظور التهديد المذهبي، أو «نشر الثورة الإيرانية»، وهو تصوّر انسحب على علاقات طهران بإقليم الساحل. فعلى سبيل المثال، كرّرت إسرائيل، قبل أعوام قليلة، تحذيراتها لأنجامينا من «مغبّة أنشطة إيران وحزب الله» في الساحل، ثمّ خلال زيارة محمد دبيي للأراضي المحتلّة قبل أكثر من عام (شباط 2023)، حين طالب وزير الأمن الإسرائيلي، يوآف غالانت، بضرورة «تضييق نفوذ إيران وحزب الله في الساحل كركيزة لضمان الاستقرار ومنع تصدير الإرهاب». لكن خطوات إيران الأخيرة تجاه الساحل تظلّ محدودة التأثير، على رغم مبادرتها (تشرين الأول 2023) إلى توقيع العديد من مذكّرات التفاهم مع واغادوغو خلال انعقاد «اللجنة الاقتصادية المشتركة» للبلدَين، في مجالات الطاقة وتخطيط المدن والتعليم العالي والتشييد. ويعود ذلك إلى الضالة الفعلية لحجم العلاقات الاقتصادية بين إيران ودول القارة (لم تتجاوز التجارة بينهما حاجز 1,5 مليار دولار في عام 2023)، وعلى وجه الخصوص دول الساحل، على رغم إرجاع مسؤولين إيرانيين هذا التراجع المستمرّ إلى عدم تسجيل جزء كبير من صادرات التجارة في الإحصاءات وذلك على خلفية تعقيدات تتعلّق بخطوط الملاحة وانتظامها وإرسال أغلب هذه الصادرات عبر عمان والإمارات وتركيا.

> تسعى دول الساحل، ولا سيما مالي والنيجر وبوركينا فاسو، إلى تجاوز التداعيات السلبية للفكاك من نفوذ القوى الغربية

وكان لافتاً أيضاً، عدم شمول جولة الرئيس الإيراني، إبراهيم رئيسي، الأفريقية (تموز 2023) أيّ محطة في غرب أفريقيا، واقتصارها على كينيا وأوغندا وزيمبابوي، في ما يؤكد اهتمام إيران التقليدي بمنطقة شرق أفريقيا، أي أن إقليم الساحل يأتي في مرتبة تالية اقتصادياً واستراتيجياً، ولا سيما أنه لا يوفّر فرصاً آنية مهمّة للصادرات الإيرانية، باستثناء الصناعات العسكرية التي ترتبط صادراتها بدورها باعتبارات سياسية بالغة التعقيد (مثل التنافس الروسي - التركي في الساحل)، وقبلها بمقدرات مالية لحكومات دول الإقليم بالغة الهشاشة في واقع الأمر. وهكذا، فإن الإشارة إلى مساعٍ إيرانية - تركية (ومغربية) منفردة أو مشتركة لتحقيق النفوذ في إقليم الساحل، تهدف، في المقام الأول، إلى خلط الأوراق، وإثارة المخاوف، إزاء مستقبل دول الإقليم، وتكريس النظرة الفرنسية المعهودة له كساحة نفوذ ونهب استعماري منهجي حصراً لباريس.

فرنسا... خروج منتظم من إقليم الساحل الافريقي (أ ف ب)

الولايات المتحدة في المشهد: فيل في الغرفة

تواصل واشنطن اتباع خطوات منفردة وحثيثة لإعادة الزخم إلى حضورها العسكري والسياسي في الساحل، وآخرها إرسال الإدارة الأميركية وفداً بقيادة مولي في، مساعدة وزير الخارجية للشؤون الأفريقية، إلى نيامي لمقابلة رئيس وزراء النيجر، علي لامين الزين، وعدد من كبار المسؤولين العسكريين (12 آذار). وفيما لم يكشف التلفزيون الوطني التشادي تفاصيل الاجتماع، فإن طبيعة تكوين الوفد الأميركي وشموله قائد القيادة العسكرية الأميركية في أفريقيا، «أفريكوم»، مايكل لانغلي، دلّ على مناقشة ملفات عسكرية وأمنية ثنائية، وربّما مصير ألف جندي أميركي موجودين حتى الآن على أرض النيجر، على رغم قرار واشنطن، منتصف العام الماضي، تعليق التعاون العسكري مع نيامي، فيما يُتوقّع أن تدفع واشنطن ونيامي بقوّة نحو إعادة ترتيب مهامّ القوة الأميركية ضمن عملية أوسع لصياغة إطار جديد للتعاون العسكري بين البلدين. ويلاحظ أن التحرّك الأميركي جاء بعد أقلّ من أسبوع من إعلان قائد القوات المسلّحة في النيجر، موسى بارمو (6 مارس)، عقب اجتماع مع نظيريه في مالي وبوركينا فاسو، عن تشكيل «قوّة جديدة» من قوات من الدول الثلاث، تقرّر أن تعمل في أقرب وقت ممكن بغية «مواجهة التحديات الأمنية»، ولا سيما في بوركينا فاسو التي شهدت أحداث عنف «منهجية» في شباط الفائت، دفعت واشنطن إلى إعلان قلقها من هذه التطوّرات في بيان رسمي صادر عن خارجيتها.

على أيّ حال، فإن حضور واشنطن في الإقليم، في الأشهر الأخيرة من ولاية إدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، ربّما يكون رمزياً في المقام الأول، أو مجرّد محاولة أخيرة منها لتجميد الوضع الراهن ومنْع التحوّل الراديكالي الذي يشهده إقليم الساحل، وبمَا تتمكّن من إعادة ضبط ترتيبات عمل حلفائها، سواء في الإقليم أو في غرب أوروبا، وفق رؤى جديدة تتم صياغتها وتضع - في الغالب - الأولوية لمقاربة قائمة على دعم التنمية و«الديموقراطية» في دول الساحل بدلاً من الاكتفاء بسياسات أمنية ثبت فشلها في حماية المصالح الغربية. ومن جانب آخر، ربّما يبرز التحرّك الأميركي «المنفرد»، والذي يتحسّس من تكرار أيّ فشل جديد، تراجعاً مستمرّاً في اقتناع الولايات المتحدة بقدرة فرنسا على القيام بأدوار مؤثّرة في الساحل على الأقلّ على المدى المتوسط، وهو ما يمكن أن يوازنه (أو يعوّضه) النفوذ التركي الناجح إلى الآن في تشاد والنيجر على أقلّ تقدير.

استراحة

إعداد **نعوم مسعود**

كلمات متقاطعة 4551

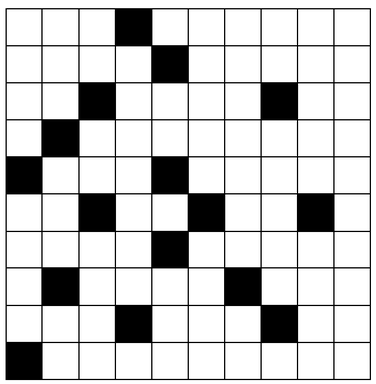

أفقيا

1- دولة عربية – ساحة حول الدار – 2- مصيف لبناني – جبل لبناني – 3- بحر – خلاف راسب – مكروه – 4- معْدية وممثلة أميركية راحلة – 5- اتراجع – ظنّ بالشيء – 6- حرف نصب – إلى – متشابهان – 7- نبات يورق في آخر الصيف – مواطن من بلد آسيوي – 8- علامة تُرسم على العملات المعدنية – عاصمة أوروبية – 9- إله مصري – بحيرة بالأجنبية – من الأشجار – 10- أديب فرنسي من زعماء الرومنطيقية

عمودياً

1- فنان مصري راحل – 2- من الفاكهة – مدينة سورية – 3- حيّة زعم العرب أنها تطير – مكتوب – 4- فنان لبناني – للتمنّي – 5- يوافق ويُلائم – ما يُشاهد نصفَ النهار من إشتداد الحرّ كأنه ماء – 6- أبو الأب أو الأم – عش الطائر – 7- ندفع لهم الحساب – 8- عائش – من أعضاء الجسم – وكالة الفضاء الأميركية – 9- حيوان البر – ضرب بالسوط – حرف نصب – 10- طريق نافذ – مدينة فرنسية

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- التيراني – 2- فيسكونتي – 3- يحلّ – الحجال – 4- وج – فمه – حجة – 5- نرهن – ما – را – 6- ابوجا – لم – 7- ن ن – اللقلاق – 8- عدن – يم – رد – 9- بدن – تايد – 10- رياض الصلح

عمودياً

1- اليونان – بر – 2- حُجر بن عديّ – 3- تفل – هو – دنا – 4- ي ي – فنجان – 5- رسّام – ال – تا – 6- أكلهم – ليال – 7- نوح – القميص – 8- ينجح – ملّ – دلّ – 9- تاجر – آر – 10- ليلة القدر

sudoku 4551

	9	4		8				
6			3				8	5
			1		9	6		
	8	9		4			7	
	5	6				3	9	
	1			9		8	2	
1	4		9		2			
		2			7	1	5	
				5				2

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4550

2	7	8	4	9	6	3	5	1
1	9	6	3	7	5	2	8	4
3	5	4	8	2	1	6	9	7
5	8	7	1	3	4	9	6	2
9	4	1	6	8	2	5	7	3
6	2	3	7	5	9	4	1	8
7	3	5	2	6	8	1	4	9
4	6	2	9	1	7	8	3	5
8	1	9	5	4	3	7	2	6

مشاهير 4551

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

صناعي إيطالي شهير (1921- 2003). المساهم الرئيسي في شركة فيات للسيارات

10+8+9+1 = مدينة بلجيكية ■ 3+4+2+7 = صوت الوجع ■ 6+5+10+11 = نهر في آسيا الوسطى

حل الشبكة الماضية: **خليل النعيمي**

تقرير

إردوغان في بغداد الشهر المقبل: تفاهم على منطقة أمنية عازلة

بغداد ـ فقار قاضد

يقترب العراق وتركيا من تسوية جملة من القضايا الشائكة بينهما، بعد زيارة رسمية قام بها مسؤولون أتراك رفيعو المستوى، إلى بغداد لمناقشتها، ومن بينها ملفات المياه واستئناف تصدير النفط والاقتصاد ومشروع «طريق التنمية»، وبناء منطقة أمنية عازلة بعمق قد يصل إلى 40 كيلومتراً لتقييد حركة «حزب العمال الكردستاني»، من جهة، وتنسيق الهجمات العسكرية التي تنفّذها قوات أنقرة على بلدات في شمال البلاد، من جهة أخرى. وناقش الوفد التركي برئاسة وزير الخارجية، هاكان فيدان، وعضوية وزير الدفاع، يشار غولر، ورئيس جهاز الاستخبارات، إبراهيم كالين، ونائب وزير الداخلية، منير كارال أوغلو، مع وزير الخارجية العراقي، فؤاد حسين، ومسؤولين أمنيين عراقيين، العمليات العسكرية ضدّ «العمال الكردستاني»، وكيفية بناء منطقة عازلة بعمق يراوح بين 30 و40 كيلومتراً لقطع الطريق على معارضي أنقرة الذين يتواجدون في شمال العراق وسوريا.

> بغداد تسعى في المقابل إلى المضي في مشروع «طريق التنمية» وزيادة الإطلالات المائية

وتقرّر، خلال الاجتماع، وفقاً للبيان المشترك، اعتبار «العمال الكردستاني» المصنّف من أنقرة إرهابياً، تنظيماً محظوراً في العراق، ويشكّل تهديداً أمنياً للبلدين، ويمثّل وجوده على الأراضي العراقية، خرقاً للدستور العراقي. وتفيد مصادر عراقية، «الأخبار»، بأنّ الوفد التركي بدأ يستخدم ورقة تنفيذ مشروع «طريق التنمية» للضغط على بغداد كي تضع الحزب المذكور على لائحة الإرهاب. وتشير المصادر إلى أنّ الحكومة العراقية برئاسة محمد شياع السوداني وقوى «الإطار التنسيقي» تدعم المباحثات الحالية بين البلدين، وتبدي حماسة لوضع الأمور في نصابها في ملفات كالقصف التركي والعمليات العسكرية والتعاون الاستخباري المشترك بين الأجهزة الأمنية العراقية والتركية، وكذلك الموجودة في إقليم كردستان». والجدير ذكره، هنا، أن نواباً في البرلمان العراقي ومسؤولين في الحكومة

تقدم في المحادثات العراقية - التركية حول الملفات العالقة (أ ف ب)

لزيارة الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، المقرّرة، الشهر المقبل، إلى العراق، بهدف إنجاح مشروع «طريق التنمية» البري، وكذلك مشاريع الطاقة وزيادة الإطلاقات المائية إلى العراق من الأنهر المشتركة، والتي تُعتبر من أبرز التحديات الصعبة أمام الحكومات العراقية السابقة والحالية.

وفي هذا الخصوص، يقول القيادي في «الإطار التنسيقي»، علي حسين، إن «زيارة الوفد التركي للعراق مهمّة جداً، للاتفاق على قضايا أمنية ومخاطر الانتهاكات التركية، وكذلك نشاط حزب العمال الكردستاني في إقليم كردستان، وأيضاً مناقشة ملّف المياه الذي تبدو الحكومة جادة في معالجته مع قدوم فصل الصيف». ويرى حسين، في تصريح إلى «الأخبار»، أنّ من مصلحة البلدين أن يتعاونا على إنجاز مشروع «طريق التنمية»، لما فيه من عوائد اقتصادية وأرباح قد تجعل كل بلدان المنطقة مستفيدة، ولا سيما، تركيا كونه يمرّ بأراضيها. ويوضح أنّ «المباحثات جاءت بعد تداعيات حكم تحكيم دولي صدر لمصلحة بغداد، ما أثّر بشكل كبير على اقتصاد البلاد».

أما الخبير الأمني المقيم في أربيل، معتز النجم، فيرى أنّ «قرار بناء المنطقة العازلة ستكون له تبعات كبيرة على صميم عمل حزب العمال الكردستاني ونشاطاته من جهة، وكذلك سيؤثر على أكراد سوريا وإقليم كردستان ما دام بينهما مشتركات، من جهة ثانية». ويقول النجم، لـ«الأخبار»، إن «على تركيا أن تدرك أن المنطقة العازلة سوف تؤثّر على الجميع، باعتبار أن نشاط حزب العمال الكردستاني، وإن اختلفت عليه بعض الجماعات والدول، فهو نشاط يجب أن يُعالج سياسياً وليس عسكرياً؛ لأن التحرّكات التركية أصبحت تشكل خطراً أمنياً على المدنيين في الإقليم». ويتابع أن «تأثيرات المنطقة العازلة ليست فقط أمنية وإنما اقتصادية، وربما مستقبلاً سنشهد تداعياته أكثر ليس فقط على العراق، وإنما على سوريا وباقي دول المنطقة».

الاتحادية رفضوا الردّ على أسئلة حول معلومات تفيد بأن اتفاقاً جرى بين بغداد وأنقرة، يقضي بتزويد الجيش التركي بمعلومات شاملة عن «العمال الكردستاني» وتحرّكاته، بهدف تحييده وتنفيذ غارات جوية على عناصره.

ومن جانبه، يرى المحلل السياسي، إبراهيم السراج، أنّ المباحثات التي أجريت في بغداد تمهّد لزيارة مهمة لإردوغان في الشهر المقبل. ويضيف السراج، في تصريح إلى «الأخبار»، أنّ «الملفات التي تمت مناقشتها مهمة على الصعيدين العراقي والإقليمي، كونها قضايا أمنية واقتصادية، ولكنّ الأبرز هو بحث وجود العمال الكردستاني في شمال العراق والية منح الشرعية لوزارة الدفاع التركية لقصفه». ويلفت المحلل السياسي إلى أن «تركيا تحاول استغلال طبيعة الخلافات بين بغداد وأربيل لتنفيذ خططها عبر الضغط في ملف المياه، وأيضاً النفط وتوقُّف تصديره من أراضي إقليم كردستان عبر ميناء جيهان التركي بفعل

سلسلة الاقتصاد والسياسة [4]

الكويت والدولة الريعيّة الجميلة

عامر محسن

في وقتٍ كانت فيه دولٌ خليجيّة أخرى لا ترتاح لأيّ صنفٍ من الكتابة والسياسة وما حولها، أصبحت الكويت، بمؤسّساتها الثقافية وإعلامها، وجوّها ورخائها، مكاناً «مناسباً» لفئة المثقفين لفترةٍ امتدّت حتى أواخر الثمانينيات

منذ بضع سنوات، حين انخفضت أسعار النفط نسبياً، سجّلت الموازنة الكويتية عجزاً يفوق الـ 44 مليار دولار، ويتوقع أن يكون العجز هذه السنة بحدود العشرين ملياراً. هذا في بلدٍ فيه أقلّ من مليون ونصف مليون مواطن

المفارقة في حالة الكويت هي أنّه، من جهة «المؤهّلات» التاريخيّة والاستعدادات الطبيعية، فإنّ هذه الدولة، هي وليس دبي، من كان مرشّحاً في الخليج للقيام بدور القطب التجاري والمالي - entrepot - على طريقة سنغافورة أو هونغ كونغ. يشرح لك المؤرّخون أن موقع الكويت كان دوماً، ومهما عدت في التاريخ، بالغ الأهمية واستراتيجياً للغاية. وحتى بالمعنى التجاري، ففي الكويت تتقاطع الطرق الآتية من نجد والعراق والداخل العربي والخليج والمحيط الهندي في آن. إضافة الى ذلك، دخلت الكويت القرن العشرين وفيها تراثٌ حضريّ وعائلات تجارية وجاليات من المحيط قد تمرّست في أنشطة وأعمال عابرة للحدود. في وسعنا هنا بسهولة أن نُلعب «تجربة ذهنية» نتخيّل فيها تاريخاً موازياً يقرّر فيه الكويتيون - في الستينيات مثلاً - أن «يتخصّصوا» في هذا الدّور الخدمي: يدفعون بأولادهم الى اختصاصات مثل الهندسة البحرية والإدارة والتمويل، شركاتهم تنتشر في الإقليم ومعها شبكة مرافئ ولوجستيات، الخ. في هذا الواقع البديل، كانت ربّما ستروج عن «الكويتي» الصورة النمطية للتاجر الحذق حلو اللسان الذي يجب، كاللبناني، أن تأخذ حذرك منه على الدوام.

بالطبع، سلكت طريقاً مختلفاً بالكامل، حتّى أصبحت هي المثال المحلّي لـ«الدولة الريعية» ومشاكلها: عددٌ صغيرٌ من السكان، ثروة نفطية كبيرة، شبكة هائلة للتوزيع والدعم الاجتماعي، ونظام سياسي تمثيلي يحضّن هذه المكتسبات (من هو النائب الذي سيطالب بتخفيض رواتب ناخبيه؟). في الثمانينيات، أطلق أكاديمي فرنسي على الكويت لقب «الدولة الريعية الكاملة»، حين فاق دخلها من الاستثمارات الخارجية، أي من فوائض النفط، دخلها من تصدير النفط الخام في إحدى السنوات - الرّيع من الرّيع. من هنا أيضاً يشير البعض في الخليج، حين يروّج لإصلاحات أو خطّة جديدة أو تقشّف في بلده، الى الكويت كمثالٍ عن «الانفلات الريعي» الذي يجدر تجنّبه. ولكنّ جزءاً مما نحاول قوله في هذه السلسلة هو أنّ هذه الحال ليست نتاج خيارات «خاطئة» في الماضي، ذهبت يميناً هنا بدلاً من أن تأخذ اليسار. ولا هي عوارض لـ«مرض هولندي»، أو أنّ الرّيع في ذاته يولّد الكسل والخمول. والذنب بالطبع لا يقع على «فائض من الديموقراطية». في الحقيقة، فإنّ السيناريو الذي رسمناه أعلاه عن الكويت - سنغافورة كان يمكنه - نظرياً، ربّما - أن يتحقّق لو ظلّت الكويت كما كانت عليه في القرن التاسع عشر: مدينة - إمارة تحاول موازنة دورها بين جيرانها والقوى الدولية، ولا يمكنها أن تعيش وتكتفي من غير التبادل مع الخارج، وهي بالتالي تحتاج إلى أن يحتاج إليها محيطها، وإلى أن تستخدم كلّ ما لديها من موارد وعلاقات ومزايا، وأن تكون لها علاقة مع الصحراء وعلاقة مع البحر. ولكن هذا الاحتمال يصبح شبه مستحيل حين تندمج في السوق الدولية كمصدّر كبير للنفط الخام، فيتغيّر كامل بنية علاقاتك وإنتاجك وحوافزك، وتصبح أدوات «العالم القديم» (القوافل وسفن التجارة وصيد اللؤلؤ) تراثاً وفولكلوراً قد انقطع.

ولكنّ قبل هذا كلّه، لديّ اهتمامٌ خاصّ بالكويت، بمعنى أنّه لو كان عليّ أن أقضي زمناً في بلدٍ خليجيّ لاختَرت الكويت على الأرجح. وهذا، بالمناسبة، لا علاقة له بالمدائحيات السائدة في الخطاب الإعلامي العربي عن «كويت الثّقافة» و«المجتمع الحيّ» وما شابه ذلك. أريدكم أن تلاحظوا هنا عادةً سيّئة عند العرب حين يودّون التزلّف للخليجيّين. هم كثيراً ما يستخدمون هذه الصفات والألقاب التي تُربط باسم البلد (على طريقة «لبنان الأخضر»). وهذه قد تبدو من الخارج وللوهلة الأولى أنها مديح ولكنّك، إن دقّقت بها، تكتشف أنها تنقلب الى عكسها. ما معنى أن تقول، مثلاً، «عمان الأصالة والعراقة»؟ ما تقصده هنا فعلياً هو «لستم بلداً خنفشارياً مختلقاً كبقية البلدان من حولكم»؛ وما معنى كليشيه على طريقة «إمارات الخير»؟ ترجمة: «لم نجد شيئاً جيّداً نقوله عنكم، ولكن لديكم مال». والحالة ذاتها تنطبق على أولئك الذين يصدمهم أن يكون في بلدٍ خليجيّ ثقافة ونواةٍ وصحافة ورواية وشعر ومجالس سياسة. ما هذا الإعجاز؟ كأنك في مدينة صغيرة؛ ونحن هنا لا نتعامل بالتعميمات والصور النمطية (إلا مع اللبنانيين، وهذا حقّي).

ثمار الرخاء

ما يهمّني حقّاً في هذا البلد الخليجي هو أنهم قد شرحوا لي أنّ الكويت هي «عاصمة الأكل في العالم» (لدينا صديقٌ سعودي كان يقود سيارته لسبع ساعات، يقطع الحدود، حتى يأكل سمكاً في الكويت ثم يرجع). وهذا ليس موضوعاً منفصلاً عن الدولة الريعية: على ما يبدو، فإنّ الكويت كانت من أوائل المجتمعات الخليجية التي عرفت رخاء منتشراً، وفي سياقٍ مدينيّ منفتح، فاصبح البلد الصغير - بتغيير أحد الأصدقاء - يتخصّص في تصدير «أسلوب الحياة» والعادات الجديدة والصيحات الشبابية الى الدول المجاورة، بالتوازي، أصبح قطاع المطاعم في الكويت مزدحماً وتنافسياً الى درجة أنه يصعب أن يقوم مطعمٌ ويستمرّ من دون أن يكون عالي المستوى في الجودة والخدمة والأسعار. والميزة الإضافية هنا تتعلّق بطبيعة البلد وتعدّد جالياته والخيارات فيه: لبناني، هندي، إيراني، عراقي، دولي، الخ، وكلّها متقنة تنافس الأصل (كنت أتابع في الماضي على يوتيوب برنامجاً لمَقدمة كويتية ماهرة تترحل بين مطاعم البلد ومحالّه، وهو قد أكّد لي هذه الانطباعات). هذه حالة معروفة تاريخياً: المطبخ يحبّ الرّيع. الكثير من الأطباق الشهيرة في فلسطين اليوم هي نتاج مرحلة ازدهار عرفها الساحل وجبل نابلس خلال القرن التاسع عشر، خرجت منه طبقة بورجوازية معتبرة تفنّنت في إتقان الطعام وابتداع أصنافٍ جديدة منه. «المطبخ اللبناني» ما هو إلا اختراعٌ حديث كان تلبية لحاجة سياحيّة وطفرة اقتصاديّة. والطبقات العليا في إقليمنا في القرون الماضية، سواء كانت في الموصل أو القاهرة أو طرابلس، كانت تشترك في مطبخ «عثماني» متشابه في ما بينها - وأصدقائي يعرفون أنهم لو وجدوني قد فسدت يوماً وانتقلت للعيش في الخليج، فسيكون للهامور والروبيان عندهم دورٌ أساسيّ في ذلك (على الهامش مجدّداً: هناك شيءٌ يجب أن يقال عن اللبناني الذي تجده مهووساً بأسماك بحره الفقير ويصرّ على أنّه الأرفع في العالم: هل أنت حقّاً جرّبت الماهي - ماهي والسلمون الإيسلندي والزبيدي الخليجي، ثمّ قرّرت أن دودة البحر اللبنانية هي أفضلهم طرّا؟)

الأمر ذاته انسحب، لفترة طويلة، على الثقافة حتّى أصبحت الكويت مقصداً أثيراً للمثقفين والإعلاميين والنّخب الفكرية والسياسية في المشرق ومصر. في وقتٍ كانت فيه دولٌ خليجيّة أخرى لا ترتاح لأيّ صنفٍ من الكتابة والسياسة وما حولها، أصبحت الكويت - بمؤسساتها الثقافية وإعلامها وجوّها ورخائها - مكاناً «مناسباً» للغاية لهذه الفئات لفترة امتدّت حتى أواخر الثمانينيات، فوق ذلك، هي لم تكن تفرض عليك قيوداً إيديولوجية صارمة، أو تطلب تجنيدك سياسياً في خدمة الأمير حتى تعمل في البلد. أنت مع تحرير فلسطين؟ اكتب وطالب ونحن معك؛ تريد مهاجمة الإمبريالية والاستغلال؟ لدينا صحيفة مخصصة لذلك؛ تبغي الوحدة العربية؟ نحن مثلك تماماً، وقد أصبح للكويت، في مرحلةٍ ما، عن حقّ مكانةٌ مهمّة في الإنتاج الثقافي العربي: بعض أفضل المجلات الفكرية والترجمات والمنشورات البحثية تخرج من الكويت، واكثرها مدعومٌ من الدولة ويباع بأسعار زهيدة للقرّاء العرب. حتى في مجال الإنتاج التلفزيوني وكتب ومجلّات الأطفال (هل من لا يزال يذكر «العربي الصغير» في بداياتها، ومستوى الإنتاج والمواضيع والرسومات فيها؟). يصعب أن تجد مثقفاً عربياً من السبعينيات والثمانينيات، أو كاتب أو إعلامي أو رسّام، لم يعمل في الكويت أو يكتب في صحافتها أو ينشر في مؤسساتها. ناجي العلي قضى سنوات هناك، وحتّى شخصية مثل الروائي السوري هاني الراهب، الذي لا تتوقعه في مثل ذاك المكان، قد جرّب «دورة» في الكويت في التعليم الجامعي (وكان حظّه - بالطبع - أن يترافق وصوله تقريباً مع الغزو وحرب الخليج، ثمّ طرده بعد ذلك بتهمة إفساد أفكار الناشئة أو شيء من هذا القبيل). وقد استفاد جيلٌ كامل من المثقفين في لبنان وفلسطين وغيرها من هذه العلاقة العروبيّة المثمرة حتى حصل ما حصل وكرهونا جميعاً بعد فعلة صدّام.

الأجيال المقبلة

ما المشكلة، إذاً، مع هذه الدولة الريعية «الجميلة»؟ في أيّ بلدٍ يعتمد على تصدير المواد الأوّليّة هناك عاملان جوهريّان في تقرير بنية الدولة وتوزّع الريع ومستوى حياة المواطنين: حجم الثروة الطبيعية نسبة الى عدد السكان، وقيمة المواد الأولية في السوق الدولية. يقول المفكر الماركسي وعالم الاجتماع الروسي بوريس كاغارليتسكي إنّ الفارق الفعلي بين روسيا في التسعينيات وروسيا اليوم هو ليس في أنّ بوتين قد اعتمد نمطاً اقتصادياً يختلف عن ذاك أيّام يلتسين، بل هو أساساً في أنّ أسعار النفط ارتفعت بشكلٍ كبير في عهده، ما أتاح توسيع الخدمات ورفع الرواتب وتحسين حياة الناس عبر التوزيع، ولكن دور روسيا في السوق العالمية لم يتغيّر. بالمعنى نفسه، الفارق بين روسيا والسعودية والكويت هو أساساً فارقٌ في حصة المواطن من الثروة الطبيعيّة. وفي دول مثل الكويت والسعودية، فإنّ العاملين يلعبان ضدّهما على المدى البعيد: عدد السكّان يزداد بسرعةٍ وليس ثابتاً، وأسعار النفط في المستقبل ليست مضمونة مع انتشار سياسات تعادي الكربون وتستبدله حول العالم. بتعابير أخرى، عليك أن تتحضّر على الدّوام لأيّام أقلّ رخاءً في المستقبل.

سنعطي مثالاً بسيطاً: منذ بضع سنوات، حين انخفضت أسعار النفط نسبيّاً، سجّلت الموازنة الكويتية عجزاً يفوق الـ 44 مليار دولار (هذه السنة والسنة القادمة، يتوقّع عجزٌ بحوالي العشرين ملياراً). هذا في بلدٍ فيه أقلّ من مليون ونصف مليون مواطن. مجدّداً، نحن لا نقول إن الموازنة العامة تفوق الأربعين مليار دولار، نحن نقول إنّ هذا كان العجز فحسب، في سنةٍ واحدة. أنا حقّاً أريد أن أعرف: ما الذي تفعلونه هناك بالضبط؟ هل لديكم مشكلة قمار؟ بطبيعة الحال، نحن هنا لا نعرض إلا أرقاماً عامّةً علنيّة، قد لا تعني الكثير في ذاتها؛ ولا نعرف شيئاً مهمّاً عن الدورة الفعلية لرأس المال في الكويت، ومن يملك ماذا، وما هي التسويات التي تدير مختلف القطاعات، وهي أوّل ما تحتاج إليه لكي تقارب الاقتصاد السياسي الحقيقي لبلدٍ ما. ولكنّ أرقام الموازنة، التي تبدو هائلة للوهلة الأولى، قابلة على الأقلّ للتفسير من خلال تفاصيلها وبنودها. أكثر الموازنة يذهب رواتب ودعماً ومنحاً: كهرباء، تعليم، صحّة، سكن، الخ. بل إنّ من اللافت قلّة الإنفاق الاستثماري مقارنة بالإنفاق الاجتماعي الضخم في الموازنة. هذا، بالمناسبة، له تفسيرٌ معروف تطرّقنا إليه: حين تكون مصدراً للمواد الأوليّة وليس لديك قطاع إنتاجي كبير يحتاج الى استثمار دائم وأبحاثٍ وتكنولوجيا معقّدة، لا يعود لديك مجالٌ كبير للاستثمار في الداخل (بعد أن تدفع الرواتب وتصلح الطرقات، علامَ ستنفق ما تبقّى من عائدات النفط؟ ليس أمامك سوى وضعها في الخارج).

الشكل الأهمّ لتوزيع عائدات النفط، بالطبع، هو غالباً عبر التوظيف الحكومي. يصعب أن تصدّق أن بلداً بحجم الكويت، مثلاً، يحتاج الى قرابة نصف مليون موظّف لإدارة شؤونه. ولكنّ مربط الفرس هو في أنّ ثلث المواطنين تقريباً (رجالاً ونساءً وأطفالاً) هم موظّفون حكوميّون، وبمتوسّط رواتب مرتفع للغاية - أعتقد أنه يقارب الخمسين ألف دولار سنوياً (سوف يدهشك عدد معلّمي التربية البدنية والتربية الدينية في هذا البلد الصغير). والموظّفون لديهم، إضافة الى الراتب، أشكالٌ من البدلات والإعانات والعلاوات أنت لم تسمع بها في حياتك ولن تصدّق أنها موجودة. من هنا، قد تخدعك أرقام الميزانية حين تنظر إليها من بعيد. إن قرأت حجم الإنفاق على الجامعة الوطنية، مثلاً، تقول: لا بد أنها «هارفارد» أو «يال»، إن رأيت أرقام الدفاع والداخلية تقول هذه اسبرطة، وهكذا. ولكنّك سرعان ما تكتشف أنّ هناك أكثر من مئة ألف وافدٍ أجنبي يعملون أيضاً في الإدارة العامّة، الى جانب كلّ المواطنين الذين وظّفتهم الدولة، (بتعابير أخرى، هنا نجد المعنى الحقيقي للدولة الريعية: لا تكتفي بأن تعطيك وظيفة، وراتباً عالياً، بل هي أيضاً تجلب أجنبياً لكي يقوم بعملك).

الفكرة اليوم ليست أن نطرح حلّاً، بل أن نوطّئ لبعض ما سنفصّله في الأيّام القادمة. نحن نستخدم تعبير «المرض الهولندي» باستسهال في بلادنا، وهو تعبيرٌ ولد ليوصف تأثير الريع على تنافسية اقتصادٍ حديثٍ منتج، كهولندا في الستينيات، ونحن في مكانٍ مختلفٍ تماماً. المشكلة لا تقتصر على المقارنة التي يعقدها البعض بين عائدات شركة أرامكو السعودية (أي كامل مبيعات النفط) وكيف أنها لا تفوق عائدات شركات كبيرة مفردة في الغرب، مثل أبل أو أمازون. المشكلة هو أن عائدات هذه الشركات تصنع ملايين الوظائف، واستثمارات هائلة، وملكية فكرية خلفها عقود من الأبحاث وتضمن دخلاً وقيمة لعقودٍ قادمة. فلا يجوز أن تقارنه بتحويلاتٍ مالية تصلك من السوق الدولية مقابل تصدير البترول. والأمر نفسه ينطبق على الصناديق السيادية التي تراكم في الخارج، والبعض يفاخر بحجمها وأرصدتها. في الحقيقة، إنّ امتلاك أصولٍ أجنبية - خارج حاجتك لتغطية الاستيراد - ليس في المبدأ أمراً حسناً أو محموداً. أنت هنا تأخذ مردود عمل قام به شعبك، أو ثروة باعها وتخلّى عنها، وتقوم بإخراجها من البلد وإعارتها للغير بدلاً من استثمارها أو استهلاكها. الاقتصاد الكلّي لا يمكن مقاربته على طريقة مالية الأفراد، حيث تعتبر أنك تضمن مستقبل أولادك والأجيال القادمة عبر أن تترك لهم حساباً في المصرف.

خاتمة

يكتب الكثير من الكويتيين هذه الأيام بنفَس تشاؤمي حول المستقبل واستمرارية النمط القائم، وهو ما المسه أيضاً من معارفي الكويتيين. وهناك اليوم قيادة «تنفيذية» جديدة في البلد، يبدو أنها تستوحي الحلول من الكتاب النيوليبرالي (والمشكلة هي، طبعاً، في مكان آخر تماماً). سنوضح أكثر في المستقبل، ولكنني، كلما حضر موضوع الدولة الريعية ومستقبلها، أتذكّر أستاذاً من زمن مضى. كان عندنا في جامعة جورجتاون أكاديمي من أصل تركي، هو من تلامذة إيمانويل وولرستين ومدرسة النظام - العالم وكان، بحسب من درس معه، يطبّق أفكاره ونظرياته في حياته ومساره المهني. على سبيل المثال، كان يقول لطلابه ما معناه: افهموا سياقكم، أنتم تعيشون في لحظة الذروة لعصر الهيمنة الأميركية (نتحدّث عن عام 2002)، وأنتم في قلب عاصمة هذه الإمبراطورية، ويتمّ تحضيركم لكي تصبحوا نخبتها. بمعنى آخر، سوف تحصلون جميعاً على حياةٍ جيّدة ومترفة، في الوقت نفسه، كان يضيف، ليس من مكان لهذه الإمبراطورية الأميركية بعدما تسلّقت القمّة إلّا الانحدار. هو قد يكون بطيئاً وقد يكون سريعاً، لكنّه سيكون لأسباب بنيوية لا يمتلك أيّ منكم القدرة على عكسها أو تغييرها. لهذا السّبب، استمتعوا بالإرث الذي تركه لكم أجدادكم ولا تنهمّوا كثيراً بالمستقبل، ولا داعي لأن تعملوا عشر ساعاتٍ في اليوم وتستشرسوا وتفنوا حياتكم في محاولة تغيير ما سيأتي، فهذا لن يصنع فارقاً. استرخ قليلاً واترك التعامل مع المستقبل لمن سيأتي في المستقبل، ففي نهاية الأمر، لا يوجد ضحايا هنا.

(من الويب)

الأميركي، «وسيط» أم عدوّ؟!

سعد الله مزرعاني *

بوتيرة تساوي وتيرةَ تدفق أبرز قادة دول الأطلسي إلى الكيان الصهيوني، لإعلان دعم شامل وغير مسبوق لعدوانه على غزّة (بذريعة «حق الدفاع عن النفس»)، تدفقت وفود غربية، من مسؤولين في تلك الدول، إلى بيروت، ولا تزال. أمّا الهدف فمزدوج: الأول، الحؤول دون إقدام المقاومة اللبنانية على فتح جبهة لبنان تضامناً مع غزّة. الثاني، إحكام الحصار على القطاع وتصوير مقاومته ومواطنيه مرتكبين ومعزولين، ويستحقّون أقصى وأقسى عقاب على يد آلة التدمير والإبادة الصهيونية. من شعار عدم «توسيع الحرب» (والمقصود استفراد غزّة ومقاومتها وشعبها) إلى تعطيل مجلس الأمن والأمم المتحدة ووكالاتها الإغاثية العاملة وذات الصلة، وخصوصاً «الأونروا»، انخرطت واشنطن في حماية العدوّ وتوفير كل أشكال ووسائل الدعم له على أمل أن يتمكن جيشه من تحقيق إنجاز، عزّ، حتى بعد أكثر من خمسة أشهر، بسبب تضحيات وبطولات مدنيّي القطاع ومقاوميه، ما منع العدوّ من تحقيق أيّ من أهدافه رغم هول ما ارتكبه من مجازر وما توسّله من أساليب همجية.

بعد تبرير العدوان والمشاركة في قيادته وتنفيذه (إلى حدٍّ كبير)، واكبت واشنطن خطواته ومراحله، بتمثيل دور «الوسيط»: من أجل تكريس نجاحاته في حال انتصاره، وتدارك خسائره وتقليصها، في حال انكساره! السياسة الأميركية ذات خبرة مديدة وتقاليد عريقة في هذا السياق: على مستوى المنطقة عموماً، وعلى صعيد الصراع الفلسطيني الإسرائيلي خصوصاً. أسّست واشنطن لهذا الدور، منذ العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 (بعد تأميم قناة السويس) الذي استغلّته واشنطن من أجل تحجيم ووراثة نفوذ الاستعمارَين الإنكليزي والفرنسي... بعد ذلك، وإثر فشلها في «تحييد» القائد التحرري الكبير جمال عبد الناصر، بالاحتواء أو بالتصفية، أنجزت اختراقها الكبير (بعد وفاته المبكرة والمثيرة للتساؤل!) عبر خليفته أنور السادات الذي استبدل حرب التحرير بحرب «التحريك»، متحوّلاً إلى الحضن الأميركي بوصف واشنطن حاملة الـ99% من أوراق» لعبة الصراع في المنطقة: فكان «كامب ديفيد» وكانت المعاهدة المصرية الإسرائيلية (26 آذار 1979):

> **سمحت واشنطن، بمواقفها وعلاقاتها وضغوطها، بأن يكون الصهاينة حاضرين على طرفي الحدود والجبهات: سياسياً، وحتى عسكرياً أحياناً!**

منذ ذاك، استأثرت واشنطن، تقريباً، برعاية العدوّ الصهيوني وتوجيهه ودعمه، وتأمين تفوّقه العسكري الذي بات ركناً محورياً في سياستها الشرق أوسطية. واكب ذلك، دائماً، عمل سياسي ودبلوماسي وإعلامي، مقترناً بضغوط متنوّعة، لتحقيق الجوهري من أهداف الصهاينة في فلسطين والمنطقة: (1) تكريس الاحتلال والتوسّع فيه إلى كامل الأراضي الفلسطينية (2) إدماج «إسرائيل» في المنطقة، قوة محورية في نطاق خطة الهيمنة الأميركية الشاملة عليها (3) مناهضة وتشتيت كل جهد فلسطيني أو عربي يذهب في غير اتجاه تصفية القضية الفلسطينية وإخضاع المنطقة العربية والشرق أوسطية عموماً للنفوذ الصهيو - أميركي. وقع دور «الوساطة» الأميركية، دائماً، في خدمة تلك السياسات والتوجهات. سهّل ذلك التواطؤ الرسمي العربي، ما عزّز الاستفراد الأميركي وإبعاد كل الفرقاء الآخرين: الأمم المتحدة وهيئاتها - الاتحاد الأوروبي – روسيا... نجم عن ذلك اتفاقيات «السلام» مع دول الطوق و. ت. ف، واستفراد الأطراف وتشتيتها، وتحقيق إنجازات صافية لمصلحة العدوّ مع «دول الطوق»، والتراجع عن وعود وبنود في الاتفاقيات لمصلحة القضم والضمّ وتوسيع الاستيطان... وصولاً إلى حلقات التطبيع (خصوصاً مع دول الخليج) التي تمّت كلها بـ«وساطة» واشنطن وضغوطها. ثم إن واشنطن، وفي مجرى محاولات بعض رؤسائها وإداراتها لترسيخ مشروعها الإمبريالي العولمي وتعزيزه، أحلّت الشرق الأوسط، أحياناً، في مقدمة اهتماماتها. وهي صاغت للسيطرة على مصيره ومقدراته مشاريع محددة، بدور محوري للكيان الصهيوني، وبتناغم مع تطلّعات بعض قادته (ومنهم بيريز): «الشرق الأوسط الكبير» (بوش الابن)، و«صفقة القرن» (ترامب)...

في الاختبار الغزاوي الفلسطيني الراهن، تواكبُ واشنطن، منذ البدء، وبحضور طاغٍ، عملية الإبادة، موجّهة وشريكة: في الميدان بحراً وبراً وجواً، وفي السياسة والدبلوماسية والإعلام والمنابر الدولية، كما في قاعات المفاوضات وكواليسها. هي تدير حملاتها باستخدام «شركاء» معلنين أو محجوبين، هم، عموماً، تابعون وأدوات لها. هذا ينطبق على «رباعية» باريس أو القاهرة حالياً. قد تفرض وقائع ومجريات الحرب، عجز العدوّ واستخدامه للتدمير والتجويع والإبادة ضد المدنيين، أن تتمايز واشنطن حرصاً على بعض المظاهر أو لتقليل الخسائر وترشيد الأداء. إلا أنها لا تتخلّى أو «تخطئ» في الأساسيات: إذ هي تسارع إلى التأكيد على أنها، مهما تعاظم الارتكاب والإجرام الإسرائيليان، لن تتخلّى أبداً عن الدعم الشامل لمعركة العدوّ. ويحدث الآن، وبعد تفاقم فشل إسرائيل وخسائرها، رغم المجازر المروّعة، وبسبب الحملة العالمية الهائلة شجباً لهمجيّته ولداعميه، أن واشنطن لجأت إلى التضليل والتهريج عبر المساعدات الممجوقلة: تغطية للحصار الصهيوني القاتل بالمجازر والتجويع، ولتهدئة نقمة انتخابية، ضدّ المرشح بايدن المتعثر في السباق الرئاسي إلى البيت الأبيض.

وفّرت واشنطن، بمواقفها وعلاقاتها وضغوطها، وبتنكّرها بدور «الوسيط» خصوصاً، أن يكون الصهاينة حاضرين على طرفي الحدود والجبهات: سياسياً، وحتى عسكرياً أحياناً! في السياق، وصل إلى لبنان قبل أسبوع وفد وزارة الخزانة الأميركية الذي هدّد وأنّب لأن رواتب «حماس» و«حزب الله» تأتي وتوزع من لبنان، ما يمكّن هؤلاء «الإرهابيين»، حسب التوصيف والتصنيف الأميركيين، من استمرار القتال! لم يعترض أحد على هذه المهمة القذرة، بل إن الوفد التقى جهات رسمية، سياسية ومالية، وجهات غير رسمية («القوات»، و«مدنيّة» متعاونة مع السفارة الأميركية: «كلّنا إرادة»...)، لمواكبة مهمته وتعزيزها بحملة سياسية وإعلامية ضد «حماس»، وضد طرف لبناني هو جزء من السلطة الشرعية في البلد! أمّا الوسيط و«ملك لبنان» كما وصف نفسه، عاموس هوكشتين، فقد كرّر زياراته مستنداً إلى نجاح أحرزه في ملف الترسيم البحري الذي حقق للعدوّ مكاسب مهمة، كانت، اكبر بكثير لولا تدخل المقاومة مهدّدة مجمل المفاوضات آنذاك. الرجل إسرائيلي خدم في أثناء غزوه للبنان. وهو جاء لهدف محدّد: التهديد بحرب شاملة ما لم تهدأ جبهة لبنان، ويتمكن المستوطنون (يكلّف إيواؤهم الدولة الصهيونية 30 مليون دولار يومياً)، وفق ترتيبات أمنية وآمنة لمصلحة العدوّ! لكن «الوسيط» المزعوم اصطدم بصلابة موقف المقاومة في ربط وقف النار في لبنان، أولاً، بوقف الحرب على غزة.

يطرح كل ما تقدم، بين أمور أخرى، أحد أكبر الأسئلة: هل يجوز الاستمرار في التعامي عن حقيقة الدور العدواني الأميركي المتعاظم بالوقح والخطير، والتعامل مع واشنطن، في لبنان والمنطقة، على أنها وسيط فريد ومتفرّد، ونزيه، أيضاً؟!

* كاتب وسياسي لبناني

تقرير

ردّ «رفع عتب» لبناني على الورقة الفرنسية

بعدَ أكثر من شهر، ردّ لبنان رسمياً على الورقة الفرنسية التي تسلّمها من وزير الخارجية الفرنسي ستيفان سيغورنيه في شأن الوصول إلى تدابير أمنية مع العدوّ الإسرائيلي لإعادة الهدوء إلى الجنوب والتمهيد لتسوية للحدود البرية مع كيان الاحتلال. وتسلّم السفير الفرنسي في بيروت هيرفي ماغرو الردّ، أمس، من وزير الخارجية عبد الله بوحبيب الذي شكر باريس على «العاطفة والاهتمام الدائم بلبنان». وبعيداً من المجاملات البروتوكولية، علمت «الأخبار» أن الردّ أتى كـ«رفع عتب، بعد رسائل فرنسية عدة تستفسر عن سبب التأخير وشعور الفرنسيين بالتجاهل». وهو ما أكدته مصادر بارزة، أشارت إلى أنه بعد زيارة الموفد الأميركي عاموس هوكشتين لبيروت في الرابع من الشهر الجاري، «جرى إهمال الورقة لأكثر من سبب، أهمّها موقف القوى الأساسية التي اعتبرت أن الورقة تتبنّى مطالب العدو الإسرائيلي بالدرجة الأولى، ولاقتناع هذه القوى بأن باريس لا تحظى بتأييد أميركي، وأن الولايات المتحدة لن تترك هذا الملف في عهدة فرنسا». ومع زيارة هوكشتين الأخيرة حاملاً مقترحاً للهدنة بين لبنان وإسرائيل ربطاً بمفاوضات الهدنة في غزة، «استشفّ المسؤولون الذين التقوا الموفد الأميركي أن زيارة الأخير تحمل في جوهرها أهدافاً عدة، من بينها إيصال رسالة بأن ملف الهدنة وتسوية الحدود البرية هما في عهدة الأميركيين وحدهم ولا أحد غيرهم،

> **فهم المسؤولون اللبنانيون من زيارة هوكشتين ان الورقة لا تحظى بتأييد اميركي**

وأن كل المبادرات التي يحملها موفدون غربيون وعرب إما أنها منسقة مع الأميركيين أو هي لزوم ما لا يلزم، لذلك جرى التعامل مع الورقة بتجاهل بعدما حضر الأصيل للتفاوض».

وبحسب المعلومات، تضمّن الردّ إطاراً عاماً يُبدي فيه لبنان استعداده للتطبيق الفوري للقرار 1701، شرط التزام إسرائيل بتطبيق مندرجاته، وكذلك استعداده لمعاودة الاجتماعات الثلاثية في الناقورة. وركّب «بالجهود الفرنسية لإرساء الاستقرار»، مشدداً على «موقف لبنان الداعي الى وقف الحرب بكل أشكالها، وإجبار إسرائيل على وقف انتهاكاتها وعدوانها». وكشفت مصادر مطّلعة أن تحضير الردّ سبقته إشكالات متعلقة بعدم التنسيق بين رئاسة الحكومة ووزارة الخارجية نتيجة الخلاف بين رئيس الحكومة نجيب ميقاتي والوزير بوحبيب، مشيرة إلى أن «لبنان كان لديه ردّان: الأول عمل عليه فريق مستشارين لدى ميقاتي، والثاني عمل عليه فريق في وزارة الخارجية بشكل منفصل، قبل أن يتمّ التوصل الى ورقة واحدة بعد التشاور مع رئيس مجلس النواب نبيه بري». واتفق أن «يكون الردّ عاماً من دون الدخول في تفاصيل بنود الورقة الفرنسية، والاكتفاء بالتأكيد على تطبيق بنود القرار 1701».

وبعد تسليم الردّ، زار بوحبيب الرئيس بري، وصرّح بعد اللقاء بأن «الفرنسا مبادرة فيها الكثير من النقاط الجيّدة والمقبولة، وهناك نقاط تحتاج إلى المزيد من البحث»، متمنّياً أن يستكمل الفرنسيّون المبادرة «لنتوصّل إلى نوع من الاتّفاق الذي يعطي الحدود الجنوبيّة الاستقرار الكامل والدائم». وقالت مصادر في عين التينة إن الخلاف بين بوحبيب وميقاتي كان من المواضيع التي ناقشها وزير الخارجية مع رئيس المجلس.

(الأخبار)

المشهد السياسي

جولة سفراء الخماسية: دوران في حلقة مفرغة

(هيثم الموسوي)

فيما يحتلّ الوضع الأمني جنوباً رأس الأولويات، فإن كل ما عداه بات في ثلاجة الانتظار. في ظل هذه «المسلّمة»، يستأنف سفراء دول «الخماسية»، بدءاً من الإثنين، نشاطهم بجولة تبدأ من عين التينة، وتشمل رؤساء الكتل النيابية وبعض المرجعيات الروحية. ولفتت مصادر مطّلعة إلى «تناغم قطري - أميركي داخل اللجنة، مقابل إرباك فرنسي وتشدد سعودي وحياد مصري»، مشيرة إلى أن السفراء الخمسة «اتفقوا على تحييد خلافاتهم، والتحرك وفق النقاط العامة المتفق عليها»، ووضعوا خريطة طريق تتماهى مع مبادرة «تكتل الاعتدال» التي تدعو الى التشاور بين الكتل النيابية ومن ثم الذهاب إلى جلسات مفتوحة. وفي حال لم ينجح التوافق، يطرح كل فريق اسم مرشحه ويجري الانتخاب في جلسة يدعو إليها رئيس مجلس النواب نبيه بري على غرار ما حصل في جلسة أزعور – فرنجية». ووفق المصادر، فإن السفراء الخمسة «يدركون أن حراكهم سيواجه بمجموعة من العراقيل الداخلية. ورغم علمهم بعمق الخلاف بين مختلف القوى السياسية، إلا أن هناك محاولة لتحميل حزب الله المسؤولية وحده في هذا الشأن». وكشفت المصادر أنه «كانت هناك نية لإعطاء حراك السفراء طابعاً أكثر جدية من خلال زيارات يقوم بها وزراء خارجية بعض دول اللجنة إلى بيروت، إلا أن الجو الذي نقله المبعوث الأميركي عاموس هوكشتين في زيارته الأخيرة أعطى انطباعاً بأن الأفق مقفل وبصعوبة إحداث أي خرق». وفهم من ذلك أن «الولايات المتحدة لا تريد أن تضع ثقلها في الملف الرئاسي، وتعطي الأولوية للملف الأمني جنوباً». لذا تمّ الاتفاق على الاكتفاء بحراك السفراء. ودعت المصادر إلى عدم المبالغة في التفاؤل بأن يدفع الوضع القائم القوى السياسية إلى تعديل مقارباتها والاتفاق على حل ملف الانتخابات الرئاسية، استناداً إلى الحراك الداخلي - الخارجي في هذا الشأن، حاسمة بأن «كل ما يحصل ليس سوى دوران في حلقة مفرغة»، ومحاولة لـ«التهويل» على القوى السياسية للتنازل عن شروطها بحجة المخاطر المحدقة بلبنان وضرورة وجود رئيس في ظل التطورات التي قد تحصل في المنطقة وتنسحب على لبنان. وهو تهويل يتكامل مع تصعيد العدوان الإسرائيلي في العمق اللبناني.

ميدانياً، نفّذت «المقاومة الإسلامية» أمس 9 عمليات ضدّ مواقع لجيش العدو على طول الحدود، طاولت مواقع المرج والمالكية والرادار والراهب وبركة ريشا وروبيسات العلم وحدب يارين وثكنة زرعيت وجل العلام. فيما شنّ سلاح الجو الإسرائيلي غارات على أطراف بلدات الناقورة وعلما الشعب ورامية وعلى بلدات عيتا الشعب وكفركلا وحولا. وقصفت مدفعية العدو أطراف حولا وميس الجبل والجبين وسردة.

> **خريطة طريق تتماهى مع مبادرة «تكتل الاعتدال» الرئاسية**

وفي ما يتعلق بالأضرار التي ألحقتها المقاومة بالجبهة الإسرائيلية الداخلية، أشارت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية إلى أن مستوطنتي كريات شمونة وشلومي تعرّضتا لـ«أسوأ الأضرار» التي لحقت بالنشاط التجاري، مع «انخفاض الإنفاق فيهما بنسبة تزيد على 70%، من 25 شباط إلى 2 آذار». ونقلت عن رئيس بلدية كريات شمونة أن «25% من السكان الذين نزحوا لن يعودوا، ويتوقع أن يصل عدد الرافضين للعودة إلى 40%».

(الأخبار)

تقرير

انتخابات نقيب المهندسين: هل تواجه أمل مرشّح باسيل؟

لينا فخر الدين

لم تهدأ عاصفة المرحلة الأولى من انتخابات نقابة المهندسين الأسبوع الماضي. كل الأطراف مشغولة بتحليل نتائج انتخاب 10 أعضاء في الفرعَين الأوّل والسابع، باعتبارهما «بالون اختبار» لتحديد موازين القوى و«فئة دم» النقيب الجديد الذي سيُنتخب في 14 نيسان المقبل. الخلاصة المُشتركة بين الجميع هي انتهاء «عصر تحالفات المُعارضة»، وعودة أحزاب السلطة لتقبض على النقابة بيد من حديد. انتخاب «فلتة شوط» كالنقيب الحالي عارف باسين يصعب أن يتكرّر؛ فلا تحالف المُعارضة الذي ارتدى مسمّيات عدة من «النقابة تنتفض» إلى «مصمّمون»، قادر على إعادة لمّ شمل المُعارضة في إطار واحد، ولا تجربة باسين نفسها كفيلة بشدّ العصب ورفع نسبة الحماسة بين الناخبين.

وهذا يعني خروجاً مبكراً لقوى المعارضة من سباق انتخاب نقيب و5 أعضاء لمجلس النقابة بعد نحو شهر (بينهم اثنان من الفرعين الأول والسابع سبق أن فازا في المرحلة الأولى)، إضافة إلى عضو للجنة إدارة صندوق التقاعد وثلاثة أعضاء آخرين للجنة مراقبة الصندوق التقاعدي. ورغم خروج «مواطنون ومواطنات في دولة» و«تجمّع مهندسي صيدا والجوار»، و«تجمّع مهندسي لبنان» من إطار «مصمّمون»، إلا أن مسؤولي الأخيرة لا يزالون يتمسّكون بالأمل، ويُرجّح أن يرشّحوا لائحة مكتملة برأسها على الأغلب عضو مجلس النقابة السابق جوزيف مشليح، المعارضة إلى مجلس المندوبين ممّن يتمكّن من خرق «جدار الأحزاب» إلى منصب النقيب من دون تسوية من

> **امل والاشتراكي لا «يهضمان» تبنّي مرشح من الدائرة اللصيقة لرئيس التيار الوطني الحر**

تحت الطاولة مع أحد تحالفات أحزاب السلطة، تماماً كما حصل مع مرشحي المعارضة إلى مجلس المندوبين ممّن فازوا بعد تمرير أسمائهم على لوائح الأحزاب.

«لعبة» الاشتراكي

بالتالي، لا يبقى في ميدان النقابة سوى أحزاب السلطة. وهذه، كان «جسّ النبض» الأوّلي الأسبوع الماضي ناجحاً إلى حدّ ما بالنسبة إليها، وخصوصاً مع ارتفاع المشاركة إلى نسبة مشابهة لتلك التي تُشارك عادةً في انتخابات النقيب، إضافة إلى الحشد الذي تمكّنت الأحزاب المسيحيّة من إبرازه كإحدى أدوات الشغل لانتخابات النقيب. وإذا كان حزب القوات اللبنانية وحلفاؤه يصرّون على أنّ «النصر العوني» كان بفعل «عضلات» حزب الله وحركة أمل الذين صبّوا أصواتهم لمصلحة مرشحي التيار الوطني الحر، يؤكد ممثلو الأخير أنهم اقتسموا المسيحيين «فيفتي فيفتي» مع القوات، وقاموا بعملهم على أكمل وجه تحضيراً ليوم «المبارزة» لاختيار النقيب الجديد.

خسارة القوات وحلفائه، الكتائب والأحرار وتيّار المستقبل، أحرقت أسهم مرشّحهم المفترض إلى منصب النقيب بيار جعارة، وجعلت «العونيين» قاب قوسين أو أدنى من إيصال مرشحهم فادي حنّا، رغم خلوّ «غلّته» من أيّ عمل نقابي أو ثقل شعبي. إلا أن هذا يتوقف حُكماً على دعم الثنائي. ويزيدهم اطمئناناً إمكانية التفاوض مع الحزب التقدمي الاشتراكي الذي أثبت في انتخابات المرحلة الأولى أنه يقبض على كتلة ناخبة تتعدّى الـ 600 صوتاً أصواتهم لمصلحة مرشحي التيار الوطني الحر، مؤزّعاً أصواته بين القوات وحلفائهم وبين تحالف التيار والثنائي. وعليه، يعتقد المتابعون أن لعبة الاشتراكي واضحة بالبقاء على الحياد لتحديد وزن كل تحالف وقوّته، وأنه يمنّي النفس بالفوز في المعركة المقبلة عبر إعادة عضو مجلس النقابة المحسوب عليه، فراس أبو ذياب، إلى المجلس من جديد.

أزمة «حلف الثنائي»

ما يتوقّعه العونيون من «الاشتراكي» يسري أيضاً على الجماعة الإسلاميّة التي يتردّد أنها انضوت في تحالف الثنائي - التيار في انتخابات المرحلة الأولى، وستُعيد الكرّة في المرحلة الثانية لتمرير اسم مرشّحها، رغم حساسية الجماعة من وضع اسم مرشحها مع مرشح جمعية المشاريع الخيريّة الإسلامية في لائحة واحدة، ولو كانت «بمعيّة حزب الله».

غير أن هذه الأجواء الإيجابيّة التي يبديها العونيون بوصول حنا إلى منصب النقيب، ينسفها من يتابعون أجواء «الثنائي» من الداخل. فقد يكون حزب الله قادراً على القفز على بعض تحفّظاته على اسم حنّا ربطاً بالأجواء السياسيّة العامة والعلاقة الحالية بين الطرفين، وإعطاء كلمة حاسمة للتيّار» بتبنّي اسم مرشّحه، إلا أن أجواء حركة أمل عكس ذلك تماماً. إذ يجهر بعض مسؤوليها برفضهم لحنّا باعتباره من الدائرة اللصيقة برئيس التيار جبران باسيل، ما «يُشكّل عقبة تشكيل لائحة موحّدة». والأمر نفسه يشيعه مقرّبون من الاشتراكي يقولون إنّ مسؤوليه يعتبرون تسليم زمام النقابة لحنا بمثابة تقديمها هدية لباسيل نفسه.

وعليه، تكثر التكهنات بين من يرجّح وقوع الطلاق بين حزب الله وحركة أمل وتشكيل الحركة لائحة مواجهة لن يكون الاشتراكي بعيداً عنها، وبين من يعتقدون بأن تنازل التيار عن بعض المناصب الأساسيّة داخل مجلس النقابة وقبوله بتقييد حركة نقيبه قبل وصوله، سيكون كفيلاً ببقاء أمل في حضن التحالف ورفع أسهم حنّا بالوصول إلى المنصب، وبالتالي إقناع الاشتراكي بالالتحاق بهم.

(هيثم الموسوي)

قضية اليوم

اتفاقات عسكريان «يقوننان» الابتزاز الأميركي

أبرمت الحكومة اتفاقيتين مع الولايات المتحدة لتنظيم تلقّي المساعدات العسكرية. وبموجبهما ألزم لبنان نفسه بمزيد من الضوابط والشروط التي تخضعه لمزيد من الابتزاز الأميركي

(هيثم الموسوي)

ندى أيوب

في 22 شباط الماضي، نُشرت في الجريدة الرسمية اتفاقية أبرمتها الحكومة اللبنانية، في 12 كانون الثاني 2024، مع حكومة الولايات المتحدة حلّت مكان اتفاق موقّع بين الطرفين عام 1994، وهي عبارة عن وضع إطار جديد يحكم تلقّي لبنان للمساعدات الأميركية، وبلزمه بأحكام إضافية عن تلك التي لحظها اتفاق 1994، مقابل حصوله على مواد دفاعية وتدريبات ذات صلة وخدمات دفاعية أخرى على شكل منح.

وكان مجلس الوزراء وافق في 20 أيار 2022، بناءً على اقتراح وزير الدفاع موريس سليم على الاتفاقية، بشأن المساعدة المقدّمة من الولايات المتحدة للبنان على أساس منحة، «بموجب قانون المساعدات الخارجية لعام 1961 أو التشريعات اللاحقة، وقانون الرقابة على تصدير الأسلحة بصيغته المعدّلة، والقسم 333 من قانون الولايات المتحدة الرقم 10، والصلاحيات الأخرى لوزارة الدفاع الأميركية».

وتنص الاتفاقية على أنّ «لبنان، ما لم يحصل على موافقة خطية من الحكومة الأميركية، يُمنع عليه: السماح لأي شخص ليس ضابطاً أو موظفاً أو وكيلاً عن الحكومة اللبنانية باستخدام المواد والخدمات المقدّمة (أسلحة وذخائر... غير محددة)». ويحظر نقل حيازة هذه المساعدات من خلال الإهداء أو البيع، كما يُحظر على لبنان استخدامها لأغراض غير تلك المقدّمة من أجلها. وينبغي في حال أراد بيع هذه المساعدات لاحقاً على شكل خُردة، الاستحصال على موافقة خطية من الحكومة الأميركية ودفع حصيلة البيع لها. وتجيز الاتفاقية للأميركيين القيام بجولات مراقبة وتفتيش مستمرة وجرد مادي للمساعدات، والحصول على ما يريدون من معلومات ساعة يطلبونها حول المساعدات وطريقة استخدامها. وتستطيع الولايات المتحدة، متى تشاء، أن تجعل عملية توفير المساعدات المقدّمة بموجب سلطات أخرى خاضعة لشروط وأحكام هذه الاتفاقية. وفيما يجوز إنهاء الاتفاقية من قبل أيّ من الطرفين، عبر إشعار خطي يرسله الراغب بفسخها ضمن مهلة 90 يوماً، تبقى المساعدات المقدّمة بموجبها قبل تاريخ إنهائها خاضعة لشروط الاتفاقية.

وتبيّن أنّ الحكومة اللبنانية، بناء لاقتراح وزير الخارجية عبدالله بوحبيب، أبرمت اتفاقية أخرى مع الولايات المتحدة، في 5 أيار 2022، بخصوص المساعدات الأمنية والوحدات غير المؤهلة بموجب «قانون ليهي»، اتفقت بموجبها الحكومتان على أنّه، ما لم يتم الحصول على الموافقة الأميركية أولاً، لا تقدّم الحكومة اللبنانية أيّ مساعدة مقدّمة من أميركا إلى أي وحدة من وحدات قوات الأمن اللبنانية التي تحدد الولايات المتحدة أنّه محظور عليها تلقّي هذه المساعدات، بموجب هذا القانون.

ويتيح «قانون ليهي» للولايات المتحدة قطع مساعداتها عن وحدة أو وحدات عسكرية معيّنة في دولة ما، إذا توفّرت لوزير الخارجية الأميركي معلومات بأنّ هذه الوحدة انتهكت حقوق الإنسان. وعليه، يحقّ للولايات المتحدة فحص الوحدة العسكرية التي وقع عليها الاختيار لتلقّي المساعدة (الجيش اللبناني في حالة لبنان)، وتقود السفارة الأميركية في البلد المعني عملية تقديم المعلومات إلى وزارة الخارجية التي يمكنها أيضاً تجميع معلوماتها من تقارير الـ«NGOS» ووسائل الإعلام. وتندرج تحت شعار انتهاك حقوق الإنسان ممارسات كالتعذيب، قمع التظاهرات، الاعتقال السياسي، تقييد حرية التعبير، الإخفاء القسري...

ويكشف تطبيق هذا قانون عن النفاق

> **يخضع التقدير الاميركي لمنح المساعدات في جزء منه لتقارير وسائل الإعلام ومنظمات الـ NGOs**

الأميركي، إذ أن معظم الدول التي تدعمها وتُشطن بالسلاح لا تعتبر دولاً ديمقراطية، وبعضها يغالي في البطش وفي انتهاك حقوق الإنسان وصولاً الى ارتكاب إبادة جماعية من دون أن يؤثر ذلك على تزويدها بالسلاح كما هي الحال مع إسرائيل في العدوان الذي تشنه على قطاع غزة منذ خمسة أشهر.

الاتفاقيتان تتمحوران حول كل ما يتعلّق بوجهة استخدام السلاح، وحق الجانب الأميركي بالمراقبة، والتحذير من تسرّب السلاح إلى جهات غير رسمية. وتلفت مصادر قانونية مطّلعة إلى أنّ «الاتفاقيتين تنطويان على شيء من التهديد الضمني، ونقلتا تلقّي لبنان للمساعدات العسكرية والأمنية الأميركية من إطار إلى آخر أشد صرامة، ستترتب عليه تبعات. وفي الوقت نفسه خطورته أنه فضفاض وعام لا يتعلق بمساعدات بعينها تم قبولها بمرسوم هبات، إنما يمكن تطبيقه على أي مساعدة سيتلقّاها لبنان. فقد بات ممكناً للأميركيين، وبشكل مقونن، ليّ عنق الحكومة اللبنانية وابتزازها بقطع المساعدات إنّ قرروا أنها خرقت قانون «ليهي»، بمعزل عن حقيقة الأمر، مقابل إخضاع السلطات اللبنانية لمجموعة طلبات وشروط تتعلق بالحريات العامة، وهي شؤون داخلية صرف، كإطلاق سراح معتقلين أو غيره». كما تستطيع الولايات المتحدة في أي لحظة، الادّعاء بأنّ سلاحها استُخدم في لبنان لانتهاك حقوق مواطنين أو استفادت منه جهات غير رسمية (المقاومة مثلاً) لزيادة الضغط على المؤسسة العسكرية انطلاقاً من أنّ الجيش هو الجهة الرئيسية المستفيدة من المساعدات الأميركية.

ويحيل ذلك، إلى تحريض بعض أعضاء في الكونغرس أخيراً على الجيش اللبناني، مطالبين بوقف تمويله لعدم اتخاذه أي إجراءات ضد حزب الله، وكذلك، إلى ضغوطات مارستها الإدارة الأميركية سابقاً على قيادة المؤسسة العسكرية، بذريعة أن عناصر من حزب الله يتغلغلون في الجيش، مطالبة باستبعاد بعض العناصر من تشكيلات معينة مدّعية بأنّهم مقرّبون من الحزب.

كذلك توقفت مصادر قانونية، عند عبارات «التشريعات اللاحقة» و«الصيغة المعدّلة» و«الخدمات الدفاعية الأخرى» الواردة في الاتفاقية، مشيرة إلى أنها «تلزم لبنان بالقبول بأي تشريعات ستطرأ على القوانين الأميركية المذكورة في الاتفاقية». وفيما استند مجلس الوزراء في إبرام الاتفاقيتين على المادتين 52 و65 من الدستور، وعلى رأي هيئة الاستشارات والتشريع الذي لم يرد فيه ضرورة إحالتهما الى مجلس النواب لإبرامها، تؤكد أوساط متابعة أن «المادة 52 تنص على أنّ المعاهدات التي لا يمكن فسخها سنة فسنة لا تبرم الا بعد عرضها على البرلمان»، مشيرة إلى أن «اتفاقيات مشابهة حصلت في عهود سابقة وأرسلت الى مجلس النواب لإبرامها».

(هيثم الموسوي)

ملف

لبنان والصندوق: تعدّد الخطابات والدَّين واحد

ماهر سلامة

يتربّع لبنان اليوم على عتبة الولوج في حلقة الاتفاقيات مع صندوق النقد الدولي وبرامجه. وكما في معظم الدول التي عانت من أزمات اقتصادية في التاريخ الحديث، أصبح «المسار الطبيعي» المُنتظر من لبنان أن يقدم على توقيع الاتفاق حول برنامج الصندوق، كملاذ أخير للخروج من الأزمة المركّبة الواقع فيها. وفي مواجهة هذا الخيار «الواضح»، راجت خطابات محلية عدة تتحدث عن وظيفة الصندوق، وكلّها تعبّر عن مواقف هي نتاج خلفيات مختلفة.

من هذه الخطابات ما يتعاطى مع الصندوق على أنه طرف يملك الخبرات الاقتصادية، أو الطرف التقني، الذي يتعامل مع البلدان التي لا تمتلك الخبرات التقنية الكافية لمواجهة الأزمات الاقتصادية. البعض الآخر يتعامل معه كوسيلة تفرض على السلطة السياسية والنقدية في البلد إصلاحات يؤكد أنها لازمة لمواجهة الأزمة، بمعنى أنه القوة الخارجية التي ستجبر صانعي السياسات المالية والنقدية في البلد على اتخاذ التدابير التي يرفضون المضيّ بها من دون أمر خارجي. وهناك أطراف تتحدث عن الصندوق كوسيلة للعودة إلى الأسواق العالمية، أي أنها تنظر إليه على أنه المفتاح الذي يشرّع أبواب البلد للتدفقات المالية الأجنبية إلى أسواقه. وهناك تيار يتحدث عن الصندوق المدمّر للمجتمعات والاقتصادات، الذي ينتج من برامجه وشروطه مسافات اجتماعية، تفصل بين الطبقات، ويوقع الدول في فخّ الدين، ومن ثم العجز ونتائج أخرى خطيرة على المجتمعات.

إلا أن كل هذه الخطابات السائدة لا تتطرّق إلى الحديث عن نتائج الصندوق على الاقتصاد السياسي في البلد. في الواقع، ادّت الأزمة في لبنان إلى تفكّك نظام الاقتصاد السياسي الذي كان قائماً في العقود الأخيرة. مع انهيار القطاع المصرفي، الذي كان يمثّل وسيلة لتدفقات رؤوس الأموال من الخارج، التي استُخدمت، منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي لتثبيت سعر الصرف، وهو كان أحد العوامل الأساسية لهدر تلك الأموال.

انهار هيكل الاقتصاد السياسي الذي بُني عليه لبنان منذ قيامه، تجدّد وتمّ ترميمه في مطلع التسعينيات. وتجدر الإشارة هنا إلى أن النسخة التي شهدها البلد من الاقتصاد السياسي اللبناني المرمّم، منذ التسعينيات، هي امتداد للنسخ السابقة، التي كانت تعتمد على القطاعات الخدماتية، وبشكل أساسي القطاع المصرفي أيضاً، إلا أن هذه النسخة الأخيرة اختلفت من خلال السياسات النقدية التي تسبّبت في هدر العملات الأجنبية وما نجم عنه من الخسائر المتراكمة في القطاع المصرفي.

الفكرة هنا هي أن نموذج الاقتصاد الخدماتي، الذي اعتمد بشكل كبير على تدفقات رؤوس الأموال الخارجية إلى البلد، انتهى. لذا، فإن أهم اعتبار تروّج له النخب لتدفع نحو الاتفاق مع الصندوق والخضوع لشروطه، أنه السبيل الوحيد لعودة التدفقات إلى البلد. وبالفعل، قد يكون هذا إحدى نتائج وضع «ختم» وتوقيع الصندوق. فعلى سبيل المثال، شهدت مصر تدفقات رأسمالية كبيرة في السنوات الأولى بعد الاتفاق مع الصندوق. إلا أن هذه التدفقات كان مصيرها أن تدخل إلى القطاع المالي والقطاعات الريعية الأخرى في السوق المصرية، حيث يتوفر الربح السريع، وعند أوّل مفترق طرق، تخرج رؤوس الأموال هذه بسهولة تامّة، تاركة البلد في حالة لا يحسد عليها... بشكل عام، نتائج الصندوق لا تقتصر فقط على الإجراءات التقشفية ونتائجها على المجتمع، فهذه الإجراءات تحمل نقاشاً اقتصادياً على جدواها من عدمه. النتائج المهمّة هي تلك المتعلّقة بشكل الاقتصاد السياسي، وهو ما يطرح سؤالاً مهماً: كم من البلدان التي دخلت في اتفاقيات مع الصندوق استطاعت أن تحوّل اقتصادها نحو الإنتاج مثلاً، أو استطاعت أن تعالج المشكلات الجذرية في بنية اقتصاداتها السياسية؟

> تروّج النخب ان الاتفاق مع الصندوق والخضوع لشروطه هو السبيل الوحيد لعودة التدفقات

عقد تونس الضائع مع صندوق النقد الدولي
تقشّف وتضخّم وتبعيّة

فاضل علي رضا

في عام 2013، حصلت تونس على قرض من صندوق النقد آتى بعد عقدين على آخر قرض منه. كل هذه القروض، بالإضافة إلى «قروض التقشف الأخرى»، المتزامنة من البنك الدولي، كانت مشروطة بإعادة هيكلة الاقتصاد التونسي. وعلى مدى العقد الماضي، أدّت إعادة الهيكلة هذه إلى تغيّرات مدمّرة.

شروط الصندوق

ما هي بعض تلك الشروط والتغيّرات التي ألحقت بالقروض؟ كان استقلال المصرف المركزي إحدى أهم هذه الأفكار. في السابق، كانت فكرة استقلالية المصرف المركزي هامشية في النظريات الاقتصادية، إلى أن جعلها الأيديولوجي النيوليبرالي ميلتون فريدمان سائدة. وعندما أصدرت تونس قانون استقلال المصرف المركزي، في عام 2016، من أجل الحصول على أول قرض من صندوق النقد الدولي، جعلت المصرف فعلياً مستقلاً عن السيطرة السيادية والديموقراطية للشعب التونسي. هذه الخطوة أدّت إلى تفاقم اعتماد المصرف المركزي على المؤسّسات والأسواق المالية الدولية. حضر قانون استقلالية المصرف، الدور الاستراتيجي له في السيطرة على الأسعار والاستقرار المالي، ولم تكن من مهامه معالجة معدّلات البطالة كما يفعل العديد من المصارف المركزية الأخرى. كما حدّ القانون من قدرة المصرف على إقراض خزينة الدولة، ما يعني أنه يتعيّن على الحكومة السعي إلى الحصول على المزيد من القروض من المؤسّسات الخاصة الأجنبية والمحلية بدلاً من ذلك. سهّل هذا التغيير أيضاً تنفيذ شرط آخر هو: انخفاض قيمة العملة. وكان الهدف المفترض من وراء ذلك تحسين القدرة التنافسية للصادرات التونسية، لكنه بدلاً من تحقيق ذلك أدت هذه السياسة إلى واقع فاقم العجز التجاري التونسي، وقضى على مدخرات الأسر وعجّل في تضخم الاستيراد المدمّر.

في الوقت نفسه، شهدت تونس زيادة مديونيتها لحساب صندوق النقد والبنك الدوليين. الآن، تشكل مديونية المؤسستين 40% من الدين الخارجي التونسي، ما يعني أن البلاد بحاجة إلى إنفاق المزيد من ميزانيتها السنوية كل عام، على سداد الديون للمؤسّستين الدوليتين بدلاً من الإنفاق على الصحة والتعليم أو حتى البنى التحتية. ومن شروط التقشف الأخرى، برز شرط تجميد أجور القطاع العام، وهذا ما يعني عملياً انخفاض الأجور بحسب القيمة الحقيقية، لأن التضخم قلّص قيمة الأجور. كما تم تنفيذ شرط تجميد التوظيف في القطاع العام، بما يتماشى مع توصيات صندوق النقد الدولي. وقد أدى تنفيذ ذلك إلى خسارة تونس الأطباء والمهندسين والمعلمين المؤهلين - المتعلمين على حساب الحكومة - الذين غادروا البلاد. هذا الأمر يُمثّل خسارة صافية مالية لتونس. ويمثل أيضاً

تشهد هجرة عقول كانت أساسية في تحفيز عملية النمو، فكانت النتيجة تعطيل هذه العملية، وتركت الملايين من دون خدمات كافية، بينما سلبت تونس أيضاً رأس مالها البشري الذي تحتاج إليه للقيام باستثمارات مستقبلية في الخدمات. والآن، نجد أن تونس محمّلة بالديون، ومحرومة من الحصول على قرض من صندوق النقد الدولي منذ عام 2020. لقد تراجعت التصنيفات الائتمانية لتونس، ما جعل استيراد السلع التي تشتدّ الحاجة إليها، مثل الطعام، أكثر تكلفة وفي بعض الأحيان مستحيلاً، حتى صارت رفوف المحال فارغة في بعض الأحيان.

> تشكّل مديونيّة تونس لكلّ من صندوق النقد والبنك الدوليين 40% من الدّين الخارجي

اجندة «الطالب الجيد»

لكن لماذا حصلت تونس على قرض صندوق النقد الدولي في عام 2013؟ قبل انتفاضة 2011، كان صندوق النقد الدولي يروّج لصورة وردية لأداء تونس الاقتصادي. في الواقع، كانت تونس تُلقّب في كثير من الأحيان بـ«الطالب الجيد» عند صندوق النقد الدولي. ولكن بعدما انتفض التونسيون ضد الحكومة التي كانت تلميذاً جيداً، تحوّل خطاب صندوق النقد الدولي إلى خطاب ينذر بالخطر: تونس بحاجة إلى صندوق النقد الدولي لمنع السيناريو المخيف للتضخم وإهمال الشباب وتزايد نسب البطالة. وقالت مديرة صندوق النقد الدولي آنذاك كريستين لاغارد «يحزنني أن خريجي الجامعات عاطلون من العمل في تونس». ومع ذلك، نرى الآن، بعد برامج قروض عدة من صندوق النقد الدولي، أنه لم يتراجع معدل البطالة في تونس، لا بل إنه بالإضافة إلى البطالة، أصبحت تونس تعاني من تحدّيات اقتصادية أكثر تدميراً، ناجمة عن شروط قروض صندوق النقد الدولي.

في زيارتها لتونس، عام 2012، بدت لاغارد أكثر «حرصاً» من العديد من التونسيين على اقتراض البلاد. تحدثت إلى الصحافة في تونس، وكان إلى جانبها مصطفى كامل النبلي، وهو وزير سابق لبن علي، ثم مسؤول رفيع المستوى في البنك الدولي، وقد تولى منصب محافظ البنك المركزي بمجرد هروب بن علي في عام 2011. وفي هذا المنصب، أدى دوراً محورياً في القضاء على الدعوات لمراجعة الديون من قبل مجموعات ناشطة مثل Raid-Attac وACET وCADTM. هذه الدعوات، لو كانت مستجابة ربما كانت قد أدّت إلى مزيد من الزخم لإلغاء ديون تونس البغيضة، وهي ديون غير شرعية تستخدم لإثراء نخبة صغيرة على حساب الشعب. لكن التآزر بين النخب التونسية والمؤسسات المالية الدولية، بعد انتفاضة 2011، كان فعالاً في تشكيل اتجاه الاقتصاد التونسي بعيداً من إنجاح مثل هذه الجهود، التي تحمّل الناس وحدهم عبء القيام بها.

بالطبع، أدّت المؤسسات المالية الدولية والحكومات الغربية دوراً في تهيئة الظروف لأزمة عام 2011، وكان أبرزها: عقود من برامج التحرير الاقتصادي والمالي والخصخصة وإلغاء القيود التي تم سنّها بشكل أساسي من خلال شروط إقراض البنك الدولي، ولكن أيضاً من خلال الحوافز المرتبطة بالمساعدات الثنائية والمتعددة الأطراف من أوروبا. كل هذه السياسات قوّضت، ببطء، دور الدولة، بينما أعادت إنتاج وتفاقم اعتماد تونس الشديد على أوروبا في التجارة. ذهب التمويل الأجنبي أيضاً إلى دعم عائلة بن علي وحلفائه السياسيين، مع إلقاء كلفة سداد هذا الدين البغيض على كاهل الشعب التونسي. لذا، فإن الجهود المحلية التي تبذلها النخب التونسية للقضاء على نشاط إلغاء الديون تتماشى تماماً مع ما وعدت به المؤسسات المالية الدولية ومجموعة الثماني تونس، آنذاك بعد عام 2011. فمثلاً شراكة دوفيل، وهي مبادرة عالمية طويلة الأمد لتزويد البلدان العربية التي تمرّ بمرحلة انتقالية في إطار عمل قائم على الدعم الفني، تتذر بمزيد من القروض بدلاً من إلغاء القروض الموجودة. وبدلاً من تشخيص دورهم في بناء النظام النيوليبرالي الذي كان يديره بن علي، أصبح هناك جولة جديدة من «مساعدات التنمية» الخانقة للاقتصاد التونسي.

في تموز 2013، أصدرت الحكومة التونسية بقيادة رئيس الوزراء علي العريض مرسوماً يسمح للمصرف المركزي، بقيادة الشاذلي العياري، بإبرام قرض مع صندوق النقد الدولي مباشرة، متجاوزة رأي البرلمان التونسي. تم التوقيع على هذا القرض على الرغم من مطالبة أكثر من 70 نائباً من أعضاء البرلمان بطرح القرض على التصويت في البرلمان. ورغم أن هيئة الحقيقة والكرامة التونسية أرسلت مذكرة إلى صندوق النقد والبنك الدوليين في عام 2019 تدعوهما إلى الاعتذار عن دورهما في أعمال الشغب التي سمّيت بثورة الخبز المميتة في شهر نيسان من عام 1983، وطالبتهما بدفع تعويضات عن نتائجها وبإلغاء الديون، إلا أن الحكومات المتعاقبة تعاملت في العقد الماضي، على قدم وساق، مع الأجندة النيوليبرالية المدمّرة التي وضعتها المؤسسات المالية الدولية. وقد يكون هذا أحد الأسباب التي دفعت الجماهير إلى الاحتفال في الشوارع عندما أغلق الرئيس قيس سعيد البرلمان وأقال الحكومة في تموز 2021. وحتى الآن، أبدى الرئيس سعيد استعداده لمحاولة إيجاد بديل لصندوق النقد الدولي، لكنه أيضاً نفّذ سياسات التقشف الجديدة التي سعى إليها صندوق النقد الدولي، وهناك ضغوط متزايدة عليه، وخاصة من أوروبا، لتوقيع صفقة قرض جديد.

فخّ المشروطية

المشروطية هي القروض مقابل «الإصلاحات». يستخدمها صندوق النقد لسببين: أولاً لتجنب المخاطر الأخلاقية، أي لتجنب اعتماد البلدان المقترضة سياسات غير مستدامة لاعتقادها بأن صندوق النقد يمكن أن يقدم خطة إنقاذ أخرى مرفقة بشروط محدودة. أما السبب الثاني، وهو الأهم، فهو لضمان سداد الأموال للصندوق. بحسب كتاب «ألف جرح: الحماية الاجتماعية في زمن التقشّف» هذه الأسباب مثيرة للجدل، خاصة عندما تسمع أن صندوق النقد عقد 21 اتفاقاً مع الأرجنتين، و18 اتفاقاً مع غانا، و12 مع مصر، و27 مع كولومبيا، و22 مع الإكوادور، و10 مع الأردن، وغيرها الكثير. يبدو أن المشروطية هي فخ أكثر من كونها حلاً، وبكل بساطة تعني تطبيق «الإصلاحات» التي ستجبر الدول عاجلاً أو آجلاً على العودة من جديد، بمعنى آخر «سدّد ديونك وخذ غيرها». يبدو الأمر كأن صندوق النقد هو مُراب في الحي، يقرضك المال من جهة وينصحك بعدم الاقتراض من جهة أخرى. ولكن لماذا تعود الدول كل مرة إلى الصندوق؟ ألم تلتزم بالشروط؟ بالعكس هي التزمت بالشروط على أكمل وجه، لكنّ المشروطية منحت صندوق النقد الدولي تأثيراً كبيراً على السياسات المحلية، مع ما يترتب على ذلك من آثار كبيرة على السياسة الاجتماعية.

(هيثم الموسوي)

علاج الأعراض ببرامج الإقراض

في الوقت الذي يهتم فيه صندوق النقد بمؤشرات الاقتصاد الكلّي والحسابات الخارجية للاقتصادات، التي يفرض فيها برامجه، تُظهر نتائج أداء عدد من الدول، أن هذه الأهداف لم تتحقّق. في الظاهر يستهدف الصندوق مؤشرات محورية مثل الحساب الجاري الذي يتضمّن صافي الأموال الداخلة إلى الاقتصاد من صادرات وواردات وتحويلات جارية، وميزان المدفوعات ومستويات الديون المستدامة وغيرها. وغالبية الوصفات المشتركة، للبلدان التي تخضع لبرامج الصندوق، تحمل إجراءات تهدف إلى «إجبار» الاقتصاد على تعديل الأرقام الواردة في تلك الأبواب. فعلى سبيل المثال، شرط تعويم سعر الصرف يهدف بشكل أساسي إلى خفض الاستهلاك الإضافي الناتج عن سعر الصرف المُضخَّم (للعملة المحلية)، بهذه الطريقة يتقلّص الاستيراد وينخفض العجز في الحساب الجاري، وبالتالي في ميزان المدفوعات، أقلّه نظرياً. إلا أن الواقع يختلف عن ذلك، فغالبية الحالات المسجلة تُظهر أن العجز في الحساب الجاري يشهد تحسّناً مرحلياً مع تطبيق هذا الشرط، تحت صدمة تعويم سعر الصرف، لكنه يعود إلى التدهور لاحقاً.

المشكلة هي أن الإجراءات التي يفرضها الصندوق تعالج الأعراض الاقتصادية، وليس المشكلة. فمصدر العجز المزمن في الميزان التجاري، سببه الاعتماد على الاستيراد وضعف التصدير. المشكلة هنا تكمن في هيكل الاقتصاد، وعدم وجود بنى تحتية لقطاعات إنتاجية... عملاجات الصندوق بعيدة عن استهداف هذه المشكلات البنيوية، لذا تعود غالبية الأعراض إلى الظهور سريعاً، ومعها تندفع الدول نحو أحضان الصندوق للحصول على برامج إنقاذ مجدّداً، وهو ما يُدخل البلدان في دورات دين متوالية.

يظهر هذا الأمر في أداء الصندوق، في بلدان عدة حيث سنعرض المؤشرات التي يستهدفها الصندوق في مصر وتونس وسريلانكا والأرجنتين، وهي عينة صغيرة من عدد كبير من البلدان التي خضعت لتطبيق برامج صندوق النقد الدولي ولم تتحسن أوضاعها التي من أجلها لجأت إلى الصندوق، فادمنت العودة إليه طلباً لقروض جديدة.

مصر: الدين الخارجي يزداد

لجأ البلد الأفريقي إلى صندوق النقد 11 مرة منذ عام 1962، آخرها كان في مطلع 2024. وكانت الحكومة المصرية وقّعت اتفاقاً في عام 2022 وقبلها في عام 2016 بعدما عانت من مشكلات اقتصادية متراكمة، وخصوصاً منذ الثورة في عام 2011. إلا أن المؤشرات الاقتصادية المصرية لم تتحسّن عمّا قبل اتفاق 2016، ولذلك اضطرت الحكومة المصرية للعودة إلى الصندوق مجدداً. فمثلاً في عام 2016 كانت قيمة خدمة الدين الخارجي نحو 6,6 مليارات دولار في حين بلغت نحو 19 مليار دولار في عام 2021. أما حجم الدين الخارجي فارتفع من 69 مليار دولار عام 2016 إلى 143 مليار دولار في عام 2021. في حين لم يشهد العجز في الحساب الجاري تحسناً كبيراً، إذ بلغ نحو 18,6 مليار دولار في عام 2021 بعدما كان 20,5 مليار دولار في عام 2016.

> يتحسّن عجز الحساب الجاري مرحلياً لكنه يعود إلى التدهور لاحقاً

تونس: الوضع أكثر سوءاً

بلغ عدد اتفاقات تونس مع صندوق النقد 11 اتفاقاً منذ عام 1964، آخرها كان عام 2013 عندما لجأت الحكومة التونسية حينها إليه لمواجهة الأزمة التي لحقت بها بعد اندلاع الثورة التونسية عام 2011. لم تتحسّن الأوضاع الاقتصادية في تونس بشكل كامل، وازداد وضع الاقتصاد التونسي سوءاً في السنوات الأخيرة، ما دفع الحكومة إلى الدخول في مفاوضات جديدة مع الصندوق انتهت برفض الحكومة التونسية برنامجه في بداية العام الجاري. ولم تُفلح الإجراءات التي فرضها صندوق النقد في عام 2013 في تحسين المؤشرات الاقتصادية، فقد انخفض حجم العجز في الحساب الجاري من 4 مليارات في عام 2013 إلى 2,8 مليار في عام 2021، في حين لم ينخفض العجز التجاري إذ بقي قريباً من 5 مليارات دولار. في حين ارتفعت خدمة الدين الخارجي من 2,5 مليار دولار إلى 4,3 مليارات في الفترة نفسها، وارتفع الدين الخارجي من 25,7 ملياراً إلى 41,6 مليار دولار.

باكستان: 23 اتفاقاً مع الصندوق

لجأت باكستان إلى صندوق النقد 23 مرة منذ عام 1950، وقد كان آخر هذه الاتفاقات في شهر حزيران الماضي. قبل ذلك اتفقَ البلد الآسيوي مع الصندوق في عام 2013، ولم تشهد مشكلاته الاقتصادية حلاً جذرياً منذ ذلك الوقت، والدليل على ذلك هو تدهور مؤشراته واضطراره للعودة إلى الصندوق مجدداً. ارتفع عجز الحساب الجاري الباكستاني من نحو 4 مليارات دولار في عام 2013 إلى نحو 12 مليار دولار في عام 2022، وقد أسهم في هذا الأمر الارتفاع في عجز الميزان التجاري الذي ارتفع من 16 مليار دولار إلى 43 مليار دولار في الفترة نفسها. أما حجم الدين الخارجي فارتفع في هذه الفترة من 60 مليار دولار إلى 130 ملياراً.

غانا: 20 مليارا الدين الخارجي

منذ عام 1958 عقدت غانا 18 اتفاقاً مع صندوق النقد، كان آخرها في عام 2022. في عام 2015 كانت الحكومة الغانية قد عقدت آخر اتفاق مع الصندوق، إلا أن هذا الاتفاق، مع شروطه التي شملت وقف زيادات الأجور في القطاع العام، وإنهاء دعم المحروقات. تدهور الوضع الغاني منذ ذلك الوقت، إذ لم يتحسّن وضع العجز في الحساب الجاري بشكل كبير، حيث بلغ 2,5 مليار دولار في عام 2021 بعد أن كان 2,8 مليار دولار في عام 2015. في المقابل ارتفع حجم الدين الخارجي من 20 مليار دولار في عام 2015 إلى 36 ملياراً في عام 2021، في حين ارتفعت قيمة خدمة الدين الخارجي في الفترة نفسها من مليار دولار إلى 3,2 مليارات دولار.

إعلانات رسمية

اعلان

من أمانة السجل العقاري في جزين
طلب المُحامي ميشال أبو جوده وكيل شربل جورج ميلان لموكلته امال نجيب أبو عتمه شهادات قيد بدل ضائع للعقارات 141 و176 مشمومة و18 و1571 بنواتي.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

اعلان

من أمانة السجل العقاري في صور
طلب أحمد عز الدين وكيل حسن دهيني لمُوكله عادل سعيد شور سند بدل ضائع للعقار 67 طورا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

اعلان

من أمانة السجل العقاري في صور
طلب نسيب مدني لمُوكله صلاح علي زمط سند بدل ضائع للعقار 724 بتوليه.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

اعلان

من أمانة السجل العقاري في صور
طلب مهدي حجازي لموكلته مريم حسين سعد سند بدل ضائع للعقار 475 طيربدبا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

الأخبار
al-akhbar
السبت 16 آذار 2024 العدد 5158

شمّ النسيم

«أهل الدار»... الجو بديع والطقس ربيع

بالنسبة إلى اللبنانيين، الربيع ليس مجرّد موسم، بل نمط حياة وإرادة وتجدّد دائم. لن تكون المرّة الأولى التي تئن فيها نسمات الربيع حزناً على تراب يُسقى دماءً من فلسطين إلى لبنان. لكنّها لن تكون الأخيرة التي تزهر فيها الأرض رغم كل شيء وتنبعث فيها الحياة مجدداً بعد طول أسى. ولأنّ الربيع في هذه البلاد ثقافة وقناعة وفكرة لا تذبل، تطلق «دار قنبز» فعالية جديدة من معرض «أهل الدار» بعنوان «شم النسيم»، تهدف إلى إظهار «قوة الطبيعة كأداة للشفاء». الحدث الذي ينطلق غداً الأحد ويستمرّ حتى 24 آذار (مارس) الحالي، يغطّي مواضيع منوّعة كتنوّع الطبيعة، ضمن «جو حميم وجلسات تفاعليّة وتشاركيّة بعيداً من الطابع الأكاديمي والجامعي الذي عادة ما تجري فيه فعاليات المعرض...»، وفقاً لما تقوله مؤسسة الدار الفنانة ندين توما لـ«الأخبار». وتلفت إلى أنّه «بسبب الظروف التي نعيشها، نحن بحاجة إلى التأمل والشفاء». شفاء وتأمل فكري تفخر الدار بأنها توفره لجمهور متعدّد جغرافياً واجتماعياً وعمرياً، «لأنّنا نهدف إلى تأمين المعرفة للجميع، ونقلها من جيل إلى جيل. وبالتالي من ليس باستطاعته شراء كتب أو أي من المعروضات المتوافرة للبيع لدينا، يمكنه أن يستمتع مجاناً بأحاديث ومعلومات غنيّة وشيقة، ومشاهدة ما يحويه المعرض من إبداعات وأعمال يدويّة وحرفية». ونظراً إلى تزامن الحدث مع شهر رمضان، توفّر الدار للراغبين فرصة تناول طعام الإفطار والسحور والتلذّذ بـ«لقمشات ونقرشات شم النسيم».

يتناول الحديث الأوّل (غداً الأحد) موضوع «الفطريات البرية بلبنان»، مع رومي عازار، المتخصّصة في هذا المجال وأوّل من نشر دراسة عن الفطريات في لبنان. وبعد غدٍ الإثنين، تتحدّث رئيسة قسم الجيولوجيا في «الجامعة الأميركية في بيروت» والمتخصّصة في مجال المياه الجوفية والينابيع، جوانا دمر، عن «الينابيع بلبنان». وفي اليوم التالي، تأخذ الدار الناس في رحلة ربيعية بامتياز مع صاحب «غاليري أجيال» صالح بركات، ضمن حديث عن «الزهور بالفن التشكيلي بلبنان من ميّة سنة لليوم». «يا ريتني نملة ـ حكاية أرض»، هو عنوان الحديث الذي ستقدّمه علياء هزيم (تعمل في مجال الطعام)، في 20 آذار، الذي سيكون عبارة عن أداء تدمج فيه بين الأكل والحكايات. وفي 21 آذار، تحتفل الدار بحلول الربيع مع عرض فيلم «حاكورة» لجورج حنا.

لكن ما رأيكم في حكاية وليدة لحظتها؟ حكاية تشاركية تولد من رحم أفكار الحضور؟ هذا ما سيحدث في 22 آذار، عبر تجربة مسليّة ومشوّقة تقدّمها ندين توما تحت عنوان «حكاية كذابيّة بكلماتكم الربيعية»، قبل أن يحين في اليوم التالي دور نسرين مشاقة حوري، الأستاذة في «الجامعة اللبنانية الأميركية» والمتخصّصة في علم الورود البريّة، للكلام عن «الزهور البريّة بلبنان».

أما في 24 آذار، فتنقلنا المتخصّصة في الفن الإسلامي والعربي، كارن مراد، في رحلة عبر التاريخ، إلى الفترة الممتدة بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر ميلادي للحديث عن «عالم النباتات بالمخطوطات العربيّة والإسلاميّة».

ومن ضمن أنشطة المعرض البارزة، تقدّم الدار بالشراكة مع «المكتبة الشرقية» في «جامعة القديس يوسف» كتاب الأب بول موتيرد اليسوعي (1892ـ 1972) عن النباتات في لبنان وسوريا، بين 17 و23 آذار (من الساعة 17:00 حتى الساعة 23:00). وفي جعبة «قنبز» أيضاً معرض «جهاز وزهور نساء البقاع» الذي يحوي قطعاً مطرّزة يعود عمرها إلى ما بين 100 إلى 200 عام، من جهاز زفاف نساء من منطقة البقاع. (بين 17 و23 آذار ـ من الساعة 17:00 حتى الساعة 23:00).

معرض «شم النسيم بـ أهل الدار»: بدءاً من غدٍ الأحد حتى الأحد 24 آذار 2024 ـ من الساعة الخامسة بعد الظهر حتى الساعة الحادية عشرة مساءً ـ «دار قنبز» (بولفار سامي الصلح ـ فرن الشباك/ الطبقة الأرضية).

مهرجان

ختام «البستان» غداً: دورة ممتازة مرّت بـ «سلام»

بشير صفير

انطلق «مهرجان البستان» السنوي الشهر الماضي، وجرت كل أمسياته كما كان مقرراً لها (باستثناء إلغاء واحدة لأسباب صحية) رغم الأجواء البركانية التي أبقت القلق ثابتاً في أوساط المنظّمين. أمسيات جيّدة وأخرى تاريخية. نجوم مكرّسون ونجوم صاعدون. أعمال جميلة وجواهر أجمل. لحظات أمل وفرح، رغم الألم في رفح. حتى الجمهور كان أكثر تنوّعاً هذه السنة، كأنّ من كان يستصعب صرف المال على حفلة موسيقية في أوضاع طبيعية، قرّر أن ليس هناك ما له قيمة في هذه الحياة إلّا «هالشويّة موسيقى». نبدأ بلمحة على آخر مشاهداتنا، ونختم بكلمة عن ختام المهرجان غداً الأحد.

بعد مرور آل بيريزوفسكي الميمون، أحيا ثلاثي عازف البيانو جوليان جوزيف موعد جاز، مقدّماً مقطوعات خاصّة وكلاسيكيات. الأمسية كانت جيّدة، رغم إمكانات عازف الدرامز المتواضعة، وتبقى الذروة فيها، لِمَن أمعَن السمع، في أداء جوزيف لـ I Fall In Love Too Easily التي وضع قلبه في ارتجالاته عليها، ليوقّع ربّما أجمل نسخة سمعناها من هذا العمل الشهير. بعد الجاز، أتت ذروة الدورة: الثنائي اليافع ألكسندر كانتوروف (بيانو ـ 26 عاماً) ودانيال لوزاكوفيتش (كمان ـ 22 عاماً) يهديان الجمهور بأناقة فائقة وإتقان عالٍ باقة من الأعمال، في أداءٍ كاد ينسينا التسجيلات المرجعية، إذ عادلها غالباً وتخطّاها أحياناً. فكانتوروف الذي يملك دقةً وملمساً «ميكيلنجيلياً» (نسبةً إلى الأسطورة أرتورو بينيدتّي ميكيلنجلي) وخبرةً شبه حصرية بالعصر الرومنطيقي، قدّم أداءً تعجيزياً من الناحيتَيْن التقنية والتعبيرية، وازناً نسبة حضور آلته إلى الكمان بميزان الذهب. أما لوزاكوفيتش الذي فوجئنا بأنّه اصطحب معه الـ «ستراديفاريوس» (نسبةً إلى صانع الآلات الوترية ستراديفاري) كما أكّد لنا خلال الاستراحة، فقد ساعدته الآلة على «قول» ما يريد كما يريد، بالأخص من الناحية الديناميكية، حيث سمعنا ما استجلب الدمع في الأصوات الشديدة الهدوء، وما هزّ القاعة في تلك الشديدة القوّة. هنا تلمُس بالأذن المجرّدة أنّ ملايين الدولارات التي يبلغها ثمن هذه الآلة مبرّرة كلّياً، وأنّ المواهب الكبيرة لا تُقدَّر بثمن.

يؤدّي فيكتور جوليان ـ لافرييز كونشرتو التشيلّو لدفورجاك

بعد كانتوروف/ لوزاكوفيتش، أمسية رمضانية شرقية وأخرى لمغنية الأوبرا جولي فوكس لم نحضرهما. الأخيرة تشارك أيضاً في الأمسية ما قبل الأخيرة (أي أمس الجمعة، ولكن بعد كتابة هذه السطور) في الليلة المخصصة لـ «القدّاس الصغير»، العمل الديني الذي وضعه روسّيني بعد نحو ثلاثة عقود من «الصوم» عن التأليف.

غداً، يُختتم «البستان» بأمسية ستكون أقرب إلى الاحتفال بمرور الدورة على خير. على البرنامج السمفونية رقم 40 (ما غيرها!) لموزار، بالإضافة إلى كونشرتو التشيلّو لدفورجاك، يؤدّيه فيكتور جوليان ـ لافرييز. الحبيبة فيروز والراحلة صباح ستغمر ملائكتهما الأمسية. من جهة، شكّلت الحركة الأولى من موزار أساس أغنية «يا أنا يا أنا» التي اكتشف البعض البارود بالتصريح أنّ لحنها مبنيّ (مستخدماً ـ ومعمِّماً! ـ عبارةً أوقح وأغبى من «مبنيّ») على موزار. علماً أنّ هناك إشارة إلى ذلك أينما وردت الأغنية (على أغلفة الأسطوانة الأصلية)، ناهيك بأنّ بناء عمل على عملٍ سابق، هو أمرٌ يُمارس منذ ما قبل باخ وفي كل الأنماط، وله قواعده وأصوله وقوانينه. أما من جهة أخرى، فالحركة الأخيرة من دفورجاك، التي بالتأكيد لم يصل إليها «مكتشفو البارود»، فاستعين بها ربما مع بعض التصرّف (وهذا لا يذكره الملحّن) في أغنية شهيرة لـ «الصبّوحة»... ما هي؟ الدنيا رمضان وهذه مساهَمة في فوازيره!

مفكرة

پاسكوا والرفاق: دعوة إلى الحلم

تحت عنوان «غياب على المسرح»، يحيي پاسكوا (الصورة)، يوم الثلاثاء المقبل، حفلة في «ملتقى السفير»، يقدّم خلالها مقطوعات من ألبومه الأوّل «الحياة حلم»، إضافة إلى ألحان لم تصدر بعد. أسلوب المغني وعازف الغيتار والملحن والصحافي والأكاديمي المتفرّد هو مزيج من الموسيقى الكلاسيكية والحديثة والمتوسطية. وفي الحمرا، من المقرّر أن يرافقه الموسيقيون: مكرم أبو الحسن (كونترباص)، ونضال أبو سمرة (بيانو، وساكسفون)، وكِفورك كيشيشيان (ناي، ودودوك)، ودانـي شكري (درامز).

حفلة «غياب على المسرح»: الثلاثاء 19 آذار (مارس) الحالي ـ الساعة الثامنة مساءً ـ «ملتقى السفير» (نزلة السارولا ـ الحمرا/ بيروت). للاستعلام: 81/857880

مي المصري: عدسة على النكبة واللجوء

بالتعاون مع «مهرجان أصوات» وفي سياق العروض المخصّصة للشهر الحالي، تتيح منصة «أفلامنا»، اعتباراً من 28 آذار (مارس) 2024، فرصة مشاهدة وثائقي «أطفال شاتيلا» (1998 ـ الصورة) للمخرجة مي المصري. يحيي الشريط الذكرى الخمسين للنكبة الفلسطينيّة، ويبحث في انتقال الذاكرة من جيل إلى آخر عبر عيون الأطفال الفلسطينيّين الذين وُلدوا في المنفى. على مدى 47 دقيقة، يتتبّع العمل الطفلَيْن «فرح» و«عيسى» اللذين يحاولان تقبّل واقعهما المرير كلاجئَين مقيمين في «مخيّم شاتيلا» البيروتي الذي تعرّض لمذابح وحصار وتجويع. تقدّم المصري للصغيرَيْن كاميرا فيديو صغيرة ليصوّرا عبرها حياتهما برؤيتهما الخاصة. هكذا، يسأل كِلا الطفلَيْن الأجيال الأكبر سنّاً عن شعورهم حيال مغادرتهم القسرية لفلسطين، وما هي رسالتهم إلى الجيل الجديد، فيُجيب رجل عجوز مثلاً أنّ فلسطين يجب ألا تُنسى أبداً، قبل أن يتوجّه إليهما بالقول: «عدوني بذلك».

وثائقي «أطفال شاتيلا»: بدءاً من الخميس 28 آذار 2024 على منصة «أفلامنا» (www.aflamuna.online).

زياد والفرقة: قدود وموشّحات

يحطّ زياد سحّاب (الصورة) وفرقته، غداً الأحد، في NOW Beirut لإحياء حفلة قدود وموشّحات مع المغنّي رفيق عبّود. إلى جانب سحّاب الذي سيعزف على عوده، يشارك في السهرة: إيلي تومية (كيبورد)، وخليل البابا (كمنجة)، وفؤاد عفرا (درامز)، وإيلي الحلو (إيقاع). يضم البرنامج موشّحات «مُنيتي عزّ اسطباري» و«يا شادي الألحان» و«يا بهجة الروح» لسيد درويش، و«لمّا بدا يتثنى» لعبد الرحيم المسلوب، و«يا من نشا» لفؤاد عبد المجيد المستكاوي، وغيرها. ومن بين القدود التي ستطرب الحاضرين: «خمرة الحب»، و«تراتيل الغرام».

حفلة «قدود وموشّحات»: غداً الأحد ـ الساعة التاسعة مساءً ـ NOW Beirut (شارع سليم بسترس ـ الأشرفية). للاستعلام: 01/211122

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 16 آذار 2024
العدد 5158 السنة الثامنة عشرة
Samedi 16 Mars 2024 nº 5158 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

غسان كنفاني الفدائي الخالد

سعيد محمد

كانت تراجيديا اغتيال غسّان كنفاني (1936 ـ 1972) بمثابة لطمة ثلاثيّة الأوجه للفلسطينيين: فهم خسروا، مبكراً، قائداً بارزاً في العمل الثوريّ المنهج لتحرير فلسطين، الأرض والإنسان، وعقلاً سياسياً ملهماً في التنظير للهوية الفلسطينية المستهدفة أبداً بالإلغاء والمهددة بالتلاشي، وأيضاً، موهبة أدبيّة رفيعة كان يمكن لها أن تسطع كما شكسبير فلسطينياً. لا نعرف، وقد لن نعرف، لأي من هذه الأدوار قرّر الموساد الإسرائيلي أن يستهدفه، لكن من هم مثل غسّان لا يموتون من الشيخوخة المفرطة في دوحة ما على الخليج، ولا تكتمل علاقتهم المعقدة بالخلود سوى برحيل مفاجئ ومؤلم وصادم. على أننا اليوم، عندما نقرأ كتاباته في الرواية والقصة القصيرة، ندرك كم كان خيال هذا الفدائيّ المدجّج بقلمه، خطراً على المشروع الصهيوني، ونقضاً تاماً لكل ما يمثله. لقد استعاد كنفاني لشعبه من فوضى الحرب، وصحراء المنافي، وعبثيّة الحياة-الموت، هويّةً مكتملة الأركان للفلسطيني المعاصر، تبهت أمامها كل هويات ساكني الشرق الأخرى التي ابتدعتها وزارة المستعمرات البريطانية سواء لقبائل العرب التائهة أو لقطعان اليهود المستجلبين.

كل نصّ لغسان كان قطبةً أخرى في نسج هذه الهويّة الموعودة أبداً بالحزن والترحال للشعب السادس في تخوم صحراء انتهت مقطّعة إلى خمس دول. لكن «ما تبقّى لكم» (1966)، مجموعة الحكايات المعلّقة في فضاء متردّد بين القصة القصيرة والرواية، تبدو أكثر أعماله قدرةً على الإيحاء بعذابات هذا الشعب المروعة عبر إيقاع غنائي أسطوري الطابع. لعلّ هذا ما يفسّر ذلك الفضول الغربيّ لقراءته مترجماً. مهما تغيّر جمهور المتلقّين عبر الأزمنة والأمكنة، فإن الحكاية الغسانيّة عن انتزاع الفلسطيني لهويته عنوةً من هذا العالم بقيت طازجةً كأنها دم الغزّاوي المسفوك بالأمس، وغائرةً في جرح الوجود الإنساني كما لو استُلّت من إلياذة هيروموس.

لـ «ما تبقّى لكم» ترجمة محكمة إلى الإنكليزية تشارك على إنجازها مي الجيوسي وجيريمي ريد منذ تسعينيات القرن الماضي، وقد أُعيد طبعها مرات عدة، قبل أن تصبح قراءةً ضروريةً هذه الأيّام لإرضاء الفضول المستشري بين الأجيال الجديدة في الغرب إلى معرفة من هو هذا الفلسطيني الذي تتداعى الأمم لحصاره وقتله وتهجيره، ومع ذلك ما زال يقاتل، ويأخذ الأسرى. الطبعة الأحدث صدرت أخيراً عن «دار أنترلينك للنشر» مع مقدّمة كتبها روجر ألان.

في قصّة «ما تبقى لكم»، التي فرضت اسمها على المجموعة واحتلّت 55 صفحة من مجمل الـ160 التي تتكون منها الترجمة، يروي كنفاني حكاية الفلسطيني حامد الذي يتحدث العربيّة فقط. يصادف جندياً إسرائيلياً يتحدث العبرية فقط، فيستحيل التفاهم بينهما وهما المحبوسان معاً، جدلاً يوميّاً. إن هذه اللّقطة العبقرية لطبيعة المأزق الرمزي ـ ذي الصدى التاريخي ـ الذي يعيشه الطرفان، لا تجد لها حلاً في النهاية إلا في الموت العنيف لأحدهما. «أكان من الضروري أن ترتطم بالعالم على هذه الصورة الفاجعة؟» يسأل غسّان، الفلسطيني نفسه، ويجيب. وهذا طبعاً فهمه المستوطن الغريب تماماً، فقتل غسان بالأمس، وقتل ثلاثين ألفاً اليوم، وسيستمر في القتل حتى ينتفي الفلسطيني، ليمكن عندئذ، حصراً، لهذا الإسرائيلي الملفّق أن يولد، بينما تجّار الشتاء والصيف ما زالوا يبحثون عن صيغة أخرى للتعايش بين القاتل والمقتول. ألا يقرأ التجّار القصص القصيرة؟

ملف

تنتمي بثينة بن حسين (1960) إلى المدرسة التونسية في استقراء تاريخ الإسلام بمنهجية علمية حديثة تضمّ أسماء مرموقة من أجيال عديدة مثل محمد الطالبي، وهشام جعيط، وعبد الحميد الفهري، والراضي دغفوس، ومحمد حسن، وحياة قطاط، وحياة عمامو، ولطيفة البكّاي، وسلوى بالحاج صالح وغيرهم. كوكبة تستكمل في جهدها المعرفي ما قام به المؤرّخون العراقيون منذ الخمسينيات إلى الثمانينيات من القرن الماضي في الحفر في التاريخ الإسلامي (ولا سيما العباسي)، وتنعتق من ربقة المنهجية الاستشراقية التي طبعت مطالع القرن العشرين. كتابها الجديد «ثورة التوّابين» (منشورات الجمل) يرصد حركة التوابين، وهي حركة استشهادية بالكامل نشأت في الكوفة بعد مقتل الحسين بن علي للقصاص من قتلته والتطهر من ذنب خذلانه وعدم نصرته في كربلاء. هنا مراجعة للكتاب مع مقابلة مع صاحبة «الفتنة الثانية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية»

كانوا سبّاقين إلى خلق رمزية شيعية جديدة
بثينة بن حسين... بحثاً عن «حركة التوّابين»

ستستمرّ بن حسين في التركيز على الجانب المدني في الحكم الأموي الذي يشاطرها الإعجاب به المفكر العراقي الراحل هادي العلوي

محمد ناصر الدين

تستكمل الكاتبة والباحثة التونسية بثينة بن حسين حفرياتها المعرفية في التراث العربي والإسلامي في كتابها الجديد «ثورة التوّابين» الصادر أخيراً عن «منشورات الجمل». الأستاذة المحاضرة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في سوسة والعضو في مخبر «إشغال الأرض والتعمير وأنماط العيش في المغرب العربي والوسيط» بدأ شغفها بالتاريخ الإسلامي، ولا سيما الأمويّ منذ مناقشتها لأطروحة الدكتوراه في التاريخ الشرقي الوسيط عام 1997 تحت إشراف المفكر الراحل هشام جعيط تحت عنوان «الدولة الأموية ومقوماتها من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك 41-125 ه/ 660 - 743 م». شغف شرحت دوافعه في مقدمة الكتاب: «وقد استهواني هذا المبحث لتأثير المذهب الشيعي في تاريخ بلادنا تونس حيث تأسست أول دولة شيعية في تاريخ الإسلام بمساهمة فعّالة من البربر (قبيلة كتامة). كما أن الصراع الشيعي-السنّي الحالي وخصوصاً في الشرق الأوسط يجعل موضوع البدايات وتأسيس الحركة الشيعية ضرورياً لنفهم واقعنا بعيداً من كل الخطابات الأيديولوجية».

> **نساء همدان حفظن ذاكرة الحسين بن عليّ وجيّشن العاطفة الشّيعيّة والقصاص للحسين بن عليّ**
> (بثينة بن حسين)

اللبنَة الثانية في البناء المعرفي عند بن حسين تمثّلت في كتابها الثاني المرجعي «الفتنة الثانية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية» (منشورات الجمل ـ 2013) الذي تناول بالبحث فترة الخليفة الأموي «المغضوب عليه» يزيد بن معاوية، فوجّهت بن حسين جهودها إلى بداية البيعة لهذا الخليفة المرتبطة بشكل مباشر بشرعية هذه الخلافة التي حوّلها أبوه معاوية من نمط الخلافة الراشدة إلى حكم «دنيوي» أورثه إيّاه بعد مماته، فقامت ثورة الحسين بن علي وجرى ما جرى في كربلاء من مصائب وأهوال على البيت النبوي ومن بعد موته ثورة عبد الله بن الزبير التي قمعت هي الأخرى بالحديد والنار، وبينهما ثورة الحرّة في المدينة التي ضربها القائد الأموي الحصين بن النمير بالمنجنيق وأباحها لجيشه بعد محق ثورتها، في مقاربة منهجية تعتمد على تحليل وتوثيق تلك الأحداث من مصادرها القديمة من أمثال تاريخ الطبري، وأنساب الأشراف للبلاذري، والطبقات الكبرى لابن سعد و«معجم البلدان» لياقوت الحموي وغيرها.

تنتمي بن حسين إلى المدرسة التونسية في استقراء تاريخ الإسلام بمنهجية علمية حديثة، مدرسة تضم بين ظهرانيها أسماء مرموقة من أجيال عديدة مثل محمد الطالبي، وهشام جعيط، وعبد الحميد الفهري، والراضي دغفوس، ومحمد حسن، وحياة قطاط، وحياة عمامو، ولطيفة البكّاي، وسلوى بالحاج صالح وغيرهم. كوكبة تستكمل في جهدها المعرفي ما قام به المؤرّخون العراقيون منذ الخمسينيات إلى الثمانينيات من القرن الماضي في الحفر في التاريخ الإسلامي (ولا سيما العباسي)، وتنعتق من ربقة المنهجية الاستشراقية التي طبعت مطالع القرن العشرين، إذ كما يقول جعيط: «كان علم التاريخ في خصوص المجال الإسلامي إلى زمن قريب حكراً على المستشرقين، لسبب بسيط هو أنّ العلم بصفته الأعمّ فتح من فتوحات العالم الغربي ابتداءً من القرن السابع عشر، العلم بمعنييه: استكشاف الطبيعة واستكشاف التاريخ الإنساني».

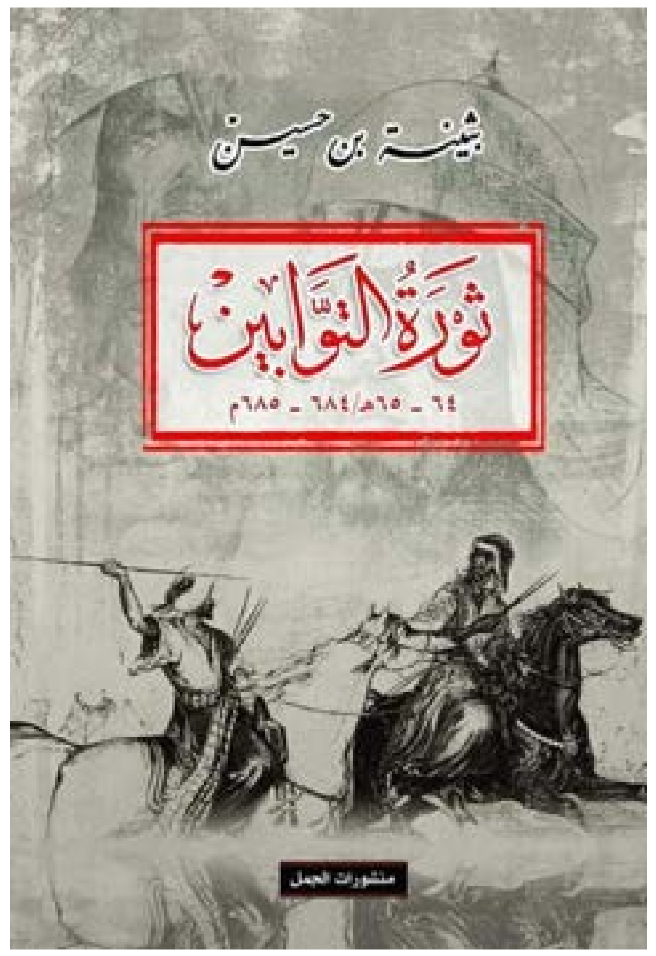

أحد وجوه الجهد المميز لبن حسين هو دراستها المعمّقة للدولة الأموية كمؤسسات أيديولوجية واجتماعية وديناميتها الخاصة المتعلّقة بآليات الدولة وردود فعلها تجاه الحركات المناهضة لسلطتها ودولتها، وهي دراسة لا تخلو من الحذر: «إن دراسة الفتنة الثانية أساسية لنحسّن فهمنا لهذه الفترة. فكيف يمكن للمؤرخ فينا أن يقوم بعمله بكل موضوعية علمية من دون تحمّس أو تعصّب أو انغلاق»، لتضع بين أيدينا أول المفاتيح لهذه الدراسة: تفكيك شيفرة الخطاب والممارسات الترميزية في قلب هذا التاريخ: «نحن نبحث في جو مفعم بالرمزية التي طبعت المخيال الإسلامي لقرون عدّة. فكيف يمكن تفكيك تلك الرمزية واستنطاقها لتدلي لنا بما وراءها وما يحرّكها؟ ففهم هذه الرمزية يمكّننا من فهم ذاتنا وهويّتنا».

وبذلك يبدو الكتاب الجديد «ثورة التوّابين» كأنه الجزء الثاني والضروري لفهم تبعات الفتنة الثانية بعد موت الخليفة يزيد بن معاوية وتولّي مروان بن الحكم الخلافة أي انتقال السلطة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني. فترة تطوّرت فيها أيضاً حركة عبد الله بن الزبير الذي بسط نفوذه على العراق وكامل المجال الشامي، ما عدا الأردن. تشرح بن حسين تعدد الشرعيات السياسية-الدينية في تلك الفترة المضطربة، وخطاب كل شرعية ومسوّغاتها المقنّعة بالفقه أو الأيديولوجيا أو الولاءات القبلية العصبية (القيسية واليمنية) أو السابقة للإسلام وصلات القرابة والنسب مع الصحابة وأهل البيت النبوي. إلا أنّ جهود بن حسين تنصبّ على حركة التوابين، وهي حركة استشهادية بالكامل نشأت في الكوفة بعد مقتل الحسين بن علي للقصاص من قتلته والتطهّر من الذنب العظيم في خذلانه وعدم نصرته في كربلاء. الحركة التي أبادها الأمويّون في معركة عين الوردة (رأس العين اليوم، 65 ه) كانت أولى الهزات الارتدادية لواقعة الطفّ وستستتبع هي الأخرى بثورات ستضرب بقوة مداميك الدولة الأموية مثل ثورة المختار بن عبيد الثقفي (66-67 ه) وثورة زيد بن علي (122 ه) وثورة عبد الله بن معاوية (127 ه)، كما تنبع أهمّيتها من قلب ذلك النظام الرمزي للجماعة وقدرتها على اختراع الرموز الهوياتية التي تميزها عن الجماعات الأخرى. رمزية تساعدنا بن حسين في تفكيكها: «كان قُوّاد هذه الحركة الشيعية في حاجة إلى التعهّد فوق قبر الحسين بمضيّهم قُدماً نحو ساحة القتال، وقد تكاثرت بذلك الأشكال الرمزية المرتبطة بالحسين بن علي ومقتله ظلماً. وكان التوّابون من السبّاقين إلى خلق رمزية شيعية جديدة، هي رمزية المكان أو المشهد. فقبر الحسين اكتسب بفضلهم أهمية رمزية لدى الشيعة حيث أصبح مزاراً لهم منذ ذلك التاريخ. إضافة إلى الصلاة والدعاء، كان يسود هذا المزار البكاء كعنصر تعبيري أساسي سيرتبط بكربلاء، ويصبح في ما بعد من الطقوس الأساسية للشيعة وهو يعبّر عن توبتهم وإقرارهم بذنبهم تجاه الحسين. كما أنّ القبر/ المزار أصبحت لديه قدسية جديدة مرتبطة بالشيعة مثلما ارتبط الحجر الأسود بطقوس الحج إلى البيت. الحركة التي بدت في مصيرها الجماعي الحزين أشبه بتراجيديا إغريقية (ولو أنها كانت حركة جماعية) وتبدّت دينية طهرانية بحتة تميّزت بطابعين اثنين في غاية الأهمية: أولهما أنها في جوهرها حركة عربية قح، والثاني أنها صارت قوة دافعة للمذهب الشيعي كمذهب مستقل لديه توجّه مستقل عن بقية المذاهب: «وضع التوّابون حجر الأساس للطقوس المرتبطة بمقتل الحسين بن علي، وهي رمزية مكان الاستشهاد (كربلاء) وزمانه (عاشوراء)، إضافة إلى تقاليد اللطم والبكاء والموكب الحسيني التي نشأت في القرن العاشر في الفترة البويهية. نتبيّن أهمية مرحلة كربلاء في مسار التوابين، فقد كان التوقف بها عبارة عن ولادة تاريخ جديد للشيعة. فقد نشأت كربلاء على يد التوابين كمحطّة للذاكرة الشيعية، ستتطور عبر التاريخ.

في مشاريعها القادمة، ستواصل بن حسين التركيز على الجانب المدني في الحكم الأموي وجهوده في بناء الدولة، وهو جانب يشاطرها الإعجاب به كثيرون، ولا سيما المفكر العراقي الراحل هادي العلوي، إذ تقول بن حسين في مقال سابق (ملحق «كلمات»، 2024/2/24): «أدخل الخليفة نفسه الحكم الأسروي متأثّراً بالتقاليد السياسيّة البيزنطيّة، فحافظ الخلفاء المروانيّون على هذه التقاليد الأسرويّة وحصر الخليفة عبد الملك بن مروان الحكم بأبنائه. وكان الهدف الأساسي للخلفاء الأمويين هو تطوير مؤسّسات الدولة التي أصبحت دولة إمبراطوريّة. فقام الخلفاء الأمويّون وولاتهم، خاصّة ولاة العراق، بمجهود ضخم في بناء الدولة كإنشاء الدواوين كديوان البريد والرّسائل والطّراز وضرب العملة وتعريبها وتركيز التّنظيمات الإداريّة والعسكريّة وخصوصاً في الأمصار في العراق وخراسان».

الباحثة التونسية تواصل الحفر في الذاكرة الأمويّة والفتنة الثانية

■ كيف راودتك فكرة إنجاز هذا الكتاب، وأين يقع هذا المؤلّف في مشروعك لنقد وتشريح آليات السياسات والسلطة، ولا سيما في الحقبة الأموية؟

ـ كان هذا الكتاب مرحلة أساسيّة بعد الفتنة الثانية. فقد قتل الحسين بن عليّ من قبل الأمويّين لأنّه خُذل من أصحاب أبيه عليّ بن أبي طالب أي فئة التوّابين من أمثال سليمان بن صرد. لكن بعد مقتل الحسين والفراغ السياسي الذي انجرّ عن الفتنة بعد موت الخليفة يزيد بن معاوية، انهار النظام السياسي والاجتماعي الأموي في الكوفة (معقل شيعة عليّ ثمّ شيعة الحسين). يتمثّل هذا النظام في سيطرة الأشراف على عشائرهم وتأطيرها لفائدة الدولة الأمويّة. فكان هذا النظام.

■ من هم التوابون باختصار؟

ـ هم صحابة عليّ بن أبي طالب منذ بدايات تواجده في الكوفة. ومثّلوا نواة التشيّع له في فترة الخليفة معاوية بن أبي سفيان. وعندما تولّى يزيد بن معاوية الخلافة، بعثوا الرسائل للحسين بن علي طالبين منه أن يلتحق بالكوفة ويتولّى الخلافة. لكنّهم خذلوا ابن عمّه ورسوله لهم مسلم بن عقيل، ثمّ تنكّروا له وتركوه يُقتل في كربلاء على يد الأمويّين. وبعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية، أحسّوا بالذنب الأعظم وهبّوا للقصاص. لكنّهم لم يوجّهوا غضبهم إلى أشراف الكوفة المتورّطين في مقتل الحسين بن عليّ، بل حمّلوا الأمويّين، وخصوصاً عبيد اللّه بن زياد (والي العراق في عهد الخليفة يزيد بن معاوية) مسؤوليّة قتل الحسين بن عليّ.

■ وهل كانت ثورتهم حركة استشهاديّة خالصة من دون أي أفق سياسي؟

- لم يكن لحركة التوّابين برنامج سياسي واضح واستراتيجيّة حربيّة وقاعدة عريضة من المناصرين، بل كانوا فئة من الشيوخ المتطلّعين للشهادة وتطهير أنفسهم من الإحساس بالذنب تجاه الحسين بن عليّ. وهذا ما حصر حركتهم في جانب استشهادي بحت.

■ في الكتاب إشارة لطيفة إلى أول حركة نسوية شيعية حول نساء همدان في نواحهن على الحسين وردت في كتب التاريخ كأنهنّ ذاكرة شيعة الكوفة، هل يمكن أن تفصلي في هذا الأمر؟

- وقفت نساء همدان سدّاً منيعاً ضدّ تعيين عمر بن سعد بن أبي وقّاص (قائد الجيش الذي قتل الحسين وأصحابه) والياً من قبل عبد اللّه بن الزّبير. وكانت همدان القلب النّابض للتشيّع في الكوفة. لكنّ المصادر كانت شحيحة في ذكر تفاصيل أخرى عن هذه الحركة. المهمّ أنّ نساء همدان حفظن ذاكرة الحسين بن عليّ وجيّشن العاطفة الشّيعيّة و القصاص للحسين بن عليّ.

■ وردت في كتب التاريخ إشارة إلى رجال من بني أسد بينهم جابر بن عبد الله الأنصاري أسّسوا لطقوس زيارة كربلاء، بينما يبدو في الكتاب أنّ التوابين لهم السبق في ذلك؟

- كان للتوّابين السّبق في طقوس البكاء على قبر الحسين في كربلاء. وهو تكريس للتّداوي من عقدة الذنب الأعظم.

■ تنازعت السياسة في تلك الفترة العصيبة من التاريخ الإسلامي كتلاً ثلاثاً. ما هي وما كانت الخطوط العريضة لبرامجها السياسية؟

- كانت الكتلة الأمويّة هي الكتلة السياسيّة بامتياز. وقد استرجع الخليفة عبد الملك بن مروان هذا الإنجاز المهمّ بعد قتل مصعب بن الزّبير مستنداً إلى شرعيّة القصاص للخليفة المظلوم عثمان وإلى مفهوم خلافة اللّه، وشرعيّة الانتماء إلى بيت الشّرف في قريش بني عبد مناف. ولم يكن الشقّ الزّبيري سياسيّاً، بل كانت شرعيّته مستمدّة من أبي بكر الصدّيق والانتماء إلى أبناء الصّحابة (الزّبير بن العوّام). لكنّ عبد اللّه بن الزّبير كان لا يتمتّع بكاريزما، إضافة إلى قسوته وبخله الشديد. وكان التوّابون يحلمون بالقصاص للحسين، واستمدّوا شرعيّتهم من الصّحبة لعليّ بن أبي طالب لكنّهم افتقدوا الحنكة السياسيّة.

■ هل ترين في حركة التوابين نوعاً من الطوطمية وشعوراً بالذنب تجاه قتل الأب بالمعنى الفرويدي؟

- نعم، يمكن أن يكون ذلك لأنّ علاقة أهل الكوفة بعليّ بن أبي طالب وآله منذ تولّيه الخلافة، كانت علاقة مرضيّة. من ناحية، كانوا يعبّرون عن شغف بأهل البيت. لكنّهم كانوا في كلّ مناسبة يثورون ضدّ عليّ بن أبي طالب (خروج الخوارج من جيشه بعد التحكيم، وقتله من قبلهم). كما أنّهم ثاروا ضدّ الحسن بن عليّ ونهبوا سرادقه، وطعنوه. وهو يعتبر من أسباب تنازله عن السلطة والخلافة لمعاوية بن أبي سفيان.

■ ترد في الكتاب شخصية محورية هي زفر بن الحارث الكلابي، من هي هذه الشخصية؟ وما هو دورها في إطار الصراعات القيسية واليمنية في تلك الفترة؟

- كانت هذه الشخصيّة محوريّة في تغذية العصبيّة القبليّة بين قيس واليمن. فقد كان مناصراً للضحّاك بن قيس الفهري (الزّبيري الهوى) ضدّ مروان بن الحكم، الخليفة الأموي. ونجا من معركة مرج راهط واحتمى بقرقيسياء في الجزيرة الفراتيّة. وعاد للتقليد الماقبل إسلاميّ بقتله لرجال كلب (القبيلة المركزيّة في الدولة الأمويّة). كما أنّه قتل قبيلة تغلب المناصرة للخلافة الأمويّة. وتمكّن الخليفة عبد الملك بن مروان من القضاء على تحرّكاته واستقطابه بمجلسه.

■ كيف تقيّمين حركة المختار؟ ظهرت شخصية المختار الثقفي كعامل مشوّش على حركة التوّابين، ما أثّر في فعاليتها ونجاحها؟

-كان المختار عاملاً مشوّشاً على التوّابين لاستقطابه للشيعة، كما كان صاحب طموحات سياسيّة كبيرة لكنّه لم يكن له بُعد نظر وبرنامج سياسي واضح.

■ أوردتِ سبباً لفشل كل الثورات الشيعية بأنّها لم تفهم نظام الأشراف الذي أرساه الأمويون كتثبيت لنظام حكمهم، إضافة إلى قوة المؤسسات الردعية من الجيش، والشرطة، والأيديولوجيا المتمثلة في حرمة الخروج عن الطاعة. هلا شرحت لنا قليلاً في هذا الثالوث؟

. بنى الخليفة معاوية بن أبي سفيان سلطته في العراق أي الكوفة والبصرة على نظام الأشراف، أي إنّه عوّل على أشراف القبائل في إطار أيديولوجيا الدولة العربيّة الأرستقراطيّة. فهو قرشيّ يؤمن بقوّة رجال القبائل وقدرتهم على تأطير عشائرهم. فكان يبذل الأموال والهدايا والقطائع لكسب الأشراف. كما أكّد زياد بن أبيه والي العراق من قبله هذه السياسة. وفي ثورة حجر بن عديّ الكندي (وهو من شيعة عليّ بن أبي طالب)، هدّد زياد الأشراف للقضاء على الثورة، فشهدوا ضدّ حجر. وكانت أكبر تهمة موجّهة إليه الخروج عن الطاعة. وهي نفس التهمة الموجّهة ضدّ الحسين بن عليّ. وهدّد عبيد اللّه بن زياد الأشراف في ثورة الحسين بن عليّ بهدم دورهم وقطع نخيلهم إن لم يقتلوا الحسين وآله وأصحابه.

■ هل توافقين على أنّ الإسلام السياسي الشيعي يظل جذّاباً طالما بقي في الجانب المعارض للسلطة ويمتلك أدبيات الثورة والشهادة؟ وماذا لو امتلك السلطة؟

- بُنيت هالة من القداسة حول الإسلام السياسي الشّيعي لأنّه بقي لمدّة قرون في باب المعارضة السياسيّة للأمويّين والعبّاسيّين. وكانت هذه الهالة أساس الشرعيّة التاريخيّة له أي الإسلام السياسي الشيعي. كما أنّها كانت حافزاً لتأسيس أوّل دولة شيعيّة في المغرب الإسلامي أي الدولة الفاطميّة. حقّقت هذه الأخيرة الحلم الشيعي وبنت مؤسّسات وأيديولوجيا طريفة في المغرب ثمّ في مصر.

■ هل يمكن الوثوق برواية أبي مخنف لأحداث ثورة التوابين؟ وماذا تقول المصادر الأخرى؟

-يبقى أبو مخنف الرّاوي الأساسي في الكوفة، وهو معروف بنزعته الشيعيّة لكنّنا لا يمكن أن نعوّضه لعدم وجود مصادر أخرى. يجب على الباحث أن ينسب أخبار أبي مخنف إلى تشيّعه وإلى عدم وجود مصادر أخرى.

■ ما هي مشاريعك القادمة؟

- سأواصل الحفر في الذاكرة الأمويّة وفي تطوّرات الفتنة الثانية.

فصل من رواية

عمتي وأنطوان تشيخوف (*)

صفاء سالم إسكندر (**)

أيمكننا أن نوغل في ظلام الأمس بمصابيح الغد؟

رأيت أسلحتهم وخوف أمي، ذلك المشهد من طفولتي، يدقّ بابَ ذاكرتي، رجل يرمي الأوراق في كل مكان، وقد عاد عمي للتو من العمل، لم ينزع عنه ثيابه بعد، تمدد على الأرض، ثمّ أسند قدميه على خزانة الملابس، قرب الباب؛ الباب الذي ساعرف حكايته فيما بعد، أغلق ولم يخلع كنوع من ردة الفعل، عندما شاهدت الأسلحة، كانت أمي ترفع غطاء التنور بيدها اليمنى، مستعدة لإخراج الخبزة الناضجة من النار. وأخي الصغير على السطح يلاعبه والدي، صار لوحده على السطح، عندما دفعوا والدي إلى الأسفل إلى الطابق الأرضي، توسّلهم أن يحمله معه، وفي النهاية هو طوع أمرهم. يُقال، إنّ أحدهم حمله من الطابق الأول إلينا فيما بعد، قبل أن يغلقوا الباب.

■■■

مضى ذلك اليوم لكن هل مضى حقاً؟

جدتي تبكي بحرقة، هذا البكاء الذي لا يصاحبه أي صراخ، كلما أخذتها الجراة ليعلو عويلها، كمّم أحدهم فمها بيده، واسرع الجميع في تنبيهها من ردة فعلهم، قد يكونوا هنا، أقرب مما نظن أو تظن أو تظنون، لا أتعجب، يفعل الخوف الكثير من الأشياء ويهب الوجوه ألواناً مغايرةً أيضاً.

ماذا عن الغد؟ كيف سنخرج؟

لم يتجرأ الجيران والأقارب على الحضور من أجل مواساتنا أو الوقوف معنا ولو بشكل عرضي عابر، ثمة شخص واحد، فتح البابَ المقفل، بقي قليلاً وغادر، يبدو أن الأمر قد تم بإذن منهم، حتى نتعرف إلى مشاعر الخوف من السجن، فما بالك بمن يسجن في منزله، لماذا لم يضرب أياً من أفراد عائلتي الباب بقوة؟ لم أفهم ذلك وقتها ولعلّي لم أفهمه الآن.

- هل حدث كل هذا يا أبي؟ (قال أخي الصغير)

- لذلك عليكم الحذر إن سألكم أي شخص في الشارع أو المدرسة إياكم، إياكم، سنموت ميتة سيئة. (قال أبي).

نظرت إلى السماء وفي رأسي صورة أخرى، كيف لهم أن يحقدوا علينا هذا الحقد كله؟ ولماذا تحدث والدي عن المظلومية، معتبراً الأمر من البديهيات. رفعت الغطاء الخفيف بواسط قدمي، غطيت وجهي، محاولاً العثور على إجابة، بتردد طفل حائر، يستمد قوته من أبطال قصص الأطفال، طفل يعرف أن والده لا ينام بشكل طبيعي مخافة تكرار الحدث نفسه.

لماذا أخبرنا بهذه الأحداث كلها؟ لماذا لم نُتْرَك هكذا، نعرف ما نتذكره فقط؟ كنا نتساءل أنا وأخي عن الأمر، كان من المستحيل تجاوز الخوف وعزله، أو لنقل أنه كان مجبراً على ذكر كل شيء حتى نشاركه الخوف على أنفسنا، ربما حلم حلماً، فخيّل له مصيرنا بين يديه، لا سبب لأن نعرف أشياء لا يعرفونها من هم بعمرنا، هذا يعني أننا سنعيش مثل من يقطع البصل ويحلق ببراءة السكين.

ومن يمسح دموعنا لم يكن يدري ما يكفينا من الحياة.

كل شيء في الحياة يسخر من وجودنا، من حرصنا على كل شيء قابل للضياع في أي لحظة، خوف، ولا مبالاة في الآن نفسه، فبعد فقدان أبواب الرزق، تبدأ نزعة الموت، للتخلّص من الهم والكدر.

■■■

دخلوا إلى الصف، وبطريقة لطيفة ومحبّبة،

قال: هل أعدمنا والدك؟

تفحص وجوهنا، وهو يرفع نظره من صديقنا.

أكمل قائلاً: عمك أو خالك

وقبل أن ينتهي من كلامه، رفع طالب يده، خفت من جرأته وعدم معرفته، قلت في سري (كيف له أن يفعل ذلك، ألم يحذره أهله)

سأله: لماذا أعدم عمك؟

أجاب: لم يكن عمي، بل أبي مات في حرب إيران.

ابتسم

قال: تقصد أنه استشهد في الحرب.

أجاب: نعم.

قال: أنت يا بطل.

وجه نظره إليّ، عرفت من نظراته، من يقصد، ليس في الصف أحد آخر حدث له ما حدث لعائلتي.

■■■

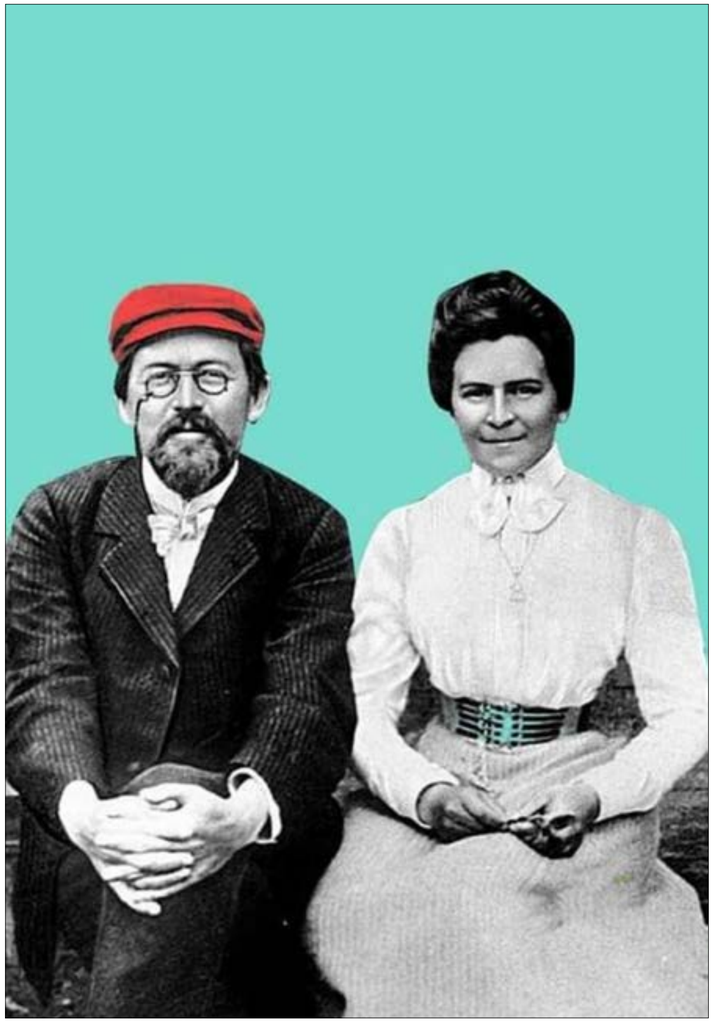

تفصيلة من غلاف الرواية

عندما غادروا، خلقت الأسباب من أجل الهرب إلى البيت، من دون أن يشعر أي شخص وبأي طريقة، خفت عودتهم، شعرت بعداوتهم لي. الدرس الأخير بدأ، تميّز وقته بالاثنانية، شعرت بالخطر أكثر مما مضى، ما إن انتهى الدرس، حتى غادرت من دون انتظار الأصدقاء الذين أغادر رفقتهم، عبرت الشارع مسرعاً، وسرت في الدرب الذي يؤدي إلى بيتنا، كنت كمن فقد بوصلته في جولة مهمة من جولات حياته التاريخية، أسأل نفسي، أين صار باب بيتنا؟ ما إن وصلت، ولأطرق الباب كنت بحاجة إلى جهد جبار، ولمساعدة نفسي على التماسك، تنفّست كما كانت تفعل معلمة العلوم، وما إن دخلت حتى شعرت بالأمان، ولا أعرف قصدي من ذلك؛ كنت أمل أني في أمان، أو تعزّز ذلك في نفسي.

انتظرت والدي، قالت أمي: سيصل بعد ساعة.

■■■

- وهل سألك أي منهم عن اسمك؟ (قال والدي)

- لا.

■■■

في ساعة متأخرة من الليل، طرق الباب بقوة، فزعنا، قالت جدتي: لن نفتح الباب.

بعد ذلك سمعنا صراخ جدتي، كانت فرصتها لتنتقم منهم، لكنها تنتقم وهي خائفة، وهي تعرف أنه ليس عليها أن تتعدى أكثر من هذا الحد. أغلق الباب بقوة.

قالت لها أمي: ماذا يريدون هذه المرة؟

ردّت جدتي: يريدون ابنك.

صرخت أمي، ولطمت وجهها بقوة، قائلة: ماذا يريدون من هذا الطفل يا الله؟

طرق الباب مرة أخرى، همّت جدتي بالخروج وهي ترفع نعلها، سحبتها أمي من يدها، وفتحت الباب، قال الرجل الواقف عند الباب: ليأت ابنك هذه الليلة إلى الفرقة الحزبية ومعه غطاء وفرأش.

قالت أمي: ألا تستحي على نفسك، لماذا لا تطلب ذلك من ابنك، ما زال ابني طفلاً، حتى إنه يخاف الدخول إلى الحمام لوحده في الليل، وتريد منه أن يؤدي واجباً في فرقتكم الحزبية؟

غادر، وهو يتوعد بحرق البيت ومن فيه، كنت أقف خلف الباب، وعمتي بجانبي، لطمت خدها، وأخذت تصرخ قائلة: ساعة السودة علينا.

خفت أكثر، شعرت أنّ كل ما حصل بسببي، كنت أتمنى الموت، كنت أريد حمل فراشي وغطائي وأن أذهب معه، كنت أريد فعل أي شيء يقلل من شعوري بالذنب، ويجعل عائلتي مطمئنة، تجسد لي الخوف ككائن مثلنا، بمواصفات شبح، وها قد جاءنا بصورة ذلك الرجل الذي قلب يومنا رأساً على عقب، تقرّبت مني أمي، أشعر برجفة جسدها، ويدها التي ضمتني، عندما فتح الباب ودخل والدي، شاهد الوجوه الكئيبة ودموع أمي، سأل ما المشكلة؟ ماذا حدث؟

قالت جدتي: كنت سأضربه بالمداس، ابن الكلب.

قال: تضربين من؟

سردت أمي ما حدث بالتفصيل، كانت ترتعش وهي تتحدث، حتى إن أنفاسها بدت متقطعة، راقبت نظرات والدي لها، وفكرت في ردة فعله، وأقول في سري (سيضربني في أي لحظة).

بعد أن هدأت الأمور، وتأكد كل شخص في البيت بأن الأمر خارج عن نطاق قدرته، انعزل كل واحد منا على جهة، من دون أي حديث، أخذ الضوء يخفت بشكل تدريجي، سمعت صوت جدتي، تنادي عمتي من أجل ملء الفانوس بالنفط، وكأنها تريد إعادة الروح إلى البيت، قالت أمي وهي تتحدث بصوت هامس: كيف سيذهب إلى المدرسة غداً؟

ليجيبها والدي: وهل سيغيب إلى الأبد؟

قالت: هل نتركه لمصيره؟

غضب والدي، وطلب من أمي السكوت. كنت تحت الغطاء أسمع حديثهما، كما سمعتهما من قبل وهما يمارسان الجنس.

في الصباح، استيقظت قبل أمي، بقيت ممدداً على الفراش، لم أكن متأكداً من قرارهما بعد، ولا هما حتى، شعرت أن لهما رغبة في ترك المدرسة ربما بشكل نهائي، كان ذلك مجرد شعور، لكن عندما استيقظ والدي، وقبل أن تطلب أمي مني النهوض، تأكد حدسي، عندما اقترحت على والدي أن أترك المدرسة، رفض رفضاً قاطعاً، بعدها، نادتني أمي، رفعت رأسي وكأني استيقظت توّاً على صوتها. غسلت وجهي بالماء البارد، وتمضمضت بالملح وبصقت في القدر الكبير الموضوع على الأرض، لم تتقزز أمي يوماً من دفع كل هذا الماء القذر.

قبل أن يهم بالخروج، قال والدي: إن تم سؤالك عن أي شيء، قل لهم: لست في المدرسة التي يريدون مني أن أنتظم مع فرقتها الحزبية. هل فهمت؟

قالت: نعم. ورددت الكلام في سري مئة مرة، وقبل أن أهمّ بالخروج.

قالت: هل تتذكر ما قاله والدك؟

أجبتها: بالطبع يا أمي.

صرخت أمي، ولطمت وجهها بقوة، قائلة: ماذا يريدون من هذا الطفل يا الله؟

طرق الباب مرة أخرى، همّتْ جدتي بالخروج وهي ترفع نعلها، سحبتها أمي من يدها، وفتحت الباب، قال الرجل الواقف عند الباب: ليأت ابنك هذه الليلة إلى الفرقة الحزبية ومعه غطاء وفرأش.

قالت أمي: ألا تستحي على نفسك، لماذا لا تطلب ذلك من ابنك، ما زال ابني طفلاً، حتى إنه يخاف الدخول إلى الحمام لوحده في الليل، وتريد

(*) فصل من رواية بالعنوان نفسه، صدرت حديثاً عن «دار خطوط وظِلال» في عمّان.

(**) بغداد

قصائد

أقسمُ بشيراز عينيكِ (*)

عباس نادري

ترجمة موسى بيدج

1- في العاشرة

كانت الساعة العاشرة
بالضبط في العاشرة
حيث أشرقتِ فجاة
حيث أزهرت فجاة
حيث فجاة...
(لا ليس هكذا
دعيني أكتبها ببساطة أكثر)

كانت في الساعة العاشرة
بالضبط في العاشرة
حيث أحرقَ لظى عينيك
كلّ هدوئي!

2- ذكراك

مزهرية ذكراك
منتشرة على السلالم
وعلى الرفوف
وعلى الشرفة
ففي داخلي منك
ألفُ ذكرى خفية...

3- امطارك

لا مطر هنا
وإنّما
أنتِ تمطرين
على ذكريات هذا الجسد الجريح!

4- ابتسامة عينيك

صوتك
حنين العيون الظامئة
ربيع وشوق غريب
ربيع وعطش تحت المطر
وقلبي روضة للأمنيات القاحلة
ينتظر جرعةً من ابتسامات عينيك!

5- ابتسامة المطر

بيد محمولة على كتف الرياح
عبرت الذكريات من جانبي
وجادت غيمة الحزن
هل سماء قلبي
لا تحمل شوقاً للهطول؟
أيا أنفاس هذه الروضة
أيا كل هذا الاضطراب
أيا حرقة المدى
احمل إلى لوحة رسم سهولنا
تخطيطاً لبسمة المطر!

6- تلعثم الرحيل

تقطعت
أوصال
لحظاتي
فتلعثمْ
رحيـ..ـلكِ
ما زال
على شفاهي!

7- قصيدة لا تنتهي

شفيفة أنتِ
كما المطر
طليقة أنتِ
كما النسيم
وقصيدة أنتِ
بلا مفردةٍ... لا تنتهي!

8- نحو بيتك

مثل لاعب الحبال
أسير على حبل الحياة
فيمتدّ ظلّي
نحو بيتك
وصولاً إلى القمر.

9- صيحة عاشق

أيها الغريب الحميم
أيا أنيس الأسرار
أيا كلّ العبرات العديمة الاصطبار
كيف أناديك
كي يتسنى لي
أن أفتح العقدة
من كل هذا الصمت
وأن أطلق
صيحة عاشقٍ منكسر
على مدى سماء الليل.

10- بحر الدموع

حان الوقت
كي تستحيلي بحراً
فأنا قد رفقت جفني
يا دموعي!

11- يداك... صوتك

- أنا أحبّ قصائدك
- وأنا أحبّ يديكِ
صوتكِ
وحتى آثار خُفَيْكِ!

12- شيراز عينيك

وأقسم بشيراز عينيك
عيناي نهر كارون...

13- سيقان القمر

وليلة بلا قمر
حصدوا سيقان القمر
أواه!

14- شاكلة القلب

أنقش
على مسلة الزمن
أجنحة معقودةً
وبداً مرهقة
وأرسم السلام
على شاكلة قلب
والحرب عفريتاً

■■■

يا رب الشمس والقمر
يا رب كل الطرق
يا ملاذ السلام
خذ المنجل من يد البشر
وإن تأخّر الزمن.

عباس نادري: شاعر وكاتب ومترجم. ولد عام 1973 في محافظة كرمان (جنوب إيران). يحمل شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية. يعمل في مجال الإعلام منذ عقدين. كاتباً و محرراً في الصحافة الثقافية ومسؤولاً عن صفحات الأدب والفن. كما تعاون مع الإذاعة والتلفزيون جمعة. فاز بـ «جائزة كتاب الراشدين» لعام 2016 عن كتابه «صورة تذكارية مع فرعون». من أعماله: «ضائقة دون مجال» (شعر)، «حبلٌ» (شعر)، «المقصد ذاهب معك» (شعر)، «كتاب الكتاب» (ترجمة قصائد للشاعر العراقي جمال جمعة)، «صورة تذكارية مع فرعون» (رحلة إلى مصر).

(*) مقتطفات من كتاب شعري يصدر قريباً عن «منشورات ميزوبوتاميا» في لاهاي

غدرتلله اغلي ــ «فينوس على أرض الشغف» (برونز ـ 2018)

وجهٌ آخر... للعزلة

آية القاضي *

سحرُ الأشياءِ البعيدة
هذا ما يلمس رائحة الأغنيات في ذاكرتي
وجهٌ آخر... للعزلة
.
أكتب
كمنْ يحشد الكلمة مواسمَ قطاف
عن أكثر الأفكار سواداً
كاستبدال أقدامنا بغوارغ فودكا
ورؤوسنا بسراديب الغبار المدجّن
.
عن القلق
خوف الأيائل من زهد الثلوج
وفراغ الكلمة من ظلّها
.
عن التّعب
في دوائر الماء
وفي انسحاب الضوء من صوت الغابة
.
عن اللا جدوى
في لغةٍ تبيع الوهمَ في بواكير الغيوم
.
عن الفقد في يدك
حين تغفر للفراغ نهاياته.
.
وأكتب أيضاً
عن الجهة الأقصى من سلامك
في ما يؤالف تلويحة قمر لأشجار الحور
وفي ما يقشّر جلد السماء بالسؤال الطفولي
وفي ما يستبقي آخر البحر في أحجية الغروب
وما يسمّينا في أوّل اللمس
فراشات أغنيتك الوحيدة

* سوريا

شذرات

موسيقى نايات متصدّعة

ليودميلا آرخ ــ «عازف الناي» (طلاء على سيراميك ــ 2022)

أوس حاتم *

يُحاول الصَمتُ أن يصير لُغةً؛ فيصبحُ صمتاً آخر.

■■■

ماذا لو تخلّى الأفقُ عن فكرة التخوم؟

■■■

الماضي طموحُ الزمن.

■■■

الأمواجُ تساؤلات البحر.

■■■

الظلّ ما يتبقّى من ليلٍ في ذاكرة الضوء.

■■■

القطرةُ الآيلةُ إلى السقوط؛ وحدها تعرفُ معنى الأبعاد.

■■■

سالتُ الفراشةَ: ممَّ تغارُ الكلمة؛ أجابت: من الفكرة.

■■■

سالتُ الليلَ: كيف أصبحتَ ليلاً؛ قال: فزتُ في سباقٍ مع الرّيح.

■■■

شاعرٌ يقرأ قصيدةً؛ بحرٌ ينوسُ على بحرٍ.

■■■

كان يُصغي إلى موسيقى تتسلّلُ من نايات متصدعة.

■■■

كم أفقاً يلهو فوق كأسٍ مُترعةٍ بالنبيذ.

■■■

من حافة الكأس؛ يشربُ المدى بحثاً عن ظلالٍ ضائعة.

■■■

تحتَ وسادةِ اللّيل وجدتُ قصيدةً.

■■■

رحلةٌ إلى المجهول بلا عودة؛ هي الموسيقى.

■■■

من ثقب إبرةٍ وحده السرابُ يعبرُ بلا ذكرى.

■■■

لماذا يقتحمُ الأزلُ الذهنَ حينَ يفكّرُ بالأبد؟

■■■

من يعرفُ الكأسَ أكثر؛ الفراغُ أم الماءُ؟

■■■

اختلفَ الشعراءُ في كل شيء؛ إلّا في الليل.

■■■

إذا أردتَ أن تدركَ معنى الألم؛ أعطِ الرّماد ذاكرةً.

■■■

لا ذنبَ للذّاي في أنينه.

■■■

بصمةٌ من خيالٍ ضاع قبل أن يوجد؛ مدادٌ يُهسهِسُ في صمت ورقة.

■■■

القصائدُ التي كُتبت في النّهار؛ مخاضُ ليلٍ كامل.

■■■

اقتفِ أثرَ الفكرة؛ تَلِجْ غيهبَ اللّيل.

■■■

هل يدركُ الليلُ كُنهَ الأبد!

■■■

بين ثُكل الليل ويُتْم النّهار؛ يولدُ الفجرُ.

■■■

تظنّ الورقةُ أن المدادَ ذكرى يراع.

■■■

كلّ موجةٍ قصيدةٌ؛ قالها الرّملُ وغفا.

■■■

لولا الليل، لكانت القصائد حكراً على الشعراء.

* اللّاذقيّة

بحث

أحمد عبد الحليم: الجسد مسرحاً لتمظهرات السياسة

مصطفى علي

يأتي كتاب «الجسد في مصر: من السياسة إلى الاستهلاك» (دار جسور للترجمة والنشر) للكاتب والباحث المصري أحمد عبد الحليم (1995)، ليكون شاهداً آخر على إصرار الكاتب على تتبّع الجسد في فضاءات مُختلفة. أحمد عبد الحليم، سجين سياسي سابق، أكّد في جميع مقابلاته الصحافية المكتوبة والمرئية أن تجربة السجن هي التي ألهمته الكتابة عن الجسد سواء عبر نصوص أدبية أو بحثية. في عام 2021، أصدر رواية قصيرة بعنوان «أجساد راقصة» (مؤسسة أمم للتوثيق والأبحاث)، وهو نص أدبي يتتبع فيه حركة الجسد داخل السجن. يصوّر حياة السجون بعيداً من الكلام، مكتفياً بعلاقة الجسد بالمساحة والعمران وتعليمات السلطة الخاصة وضبطها لحركات الجسد. وفي أواخر عام 2022، صدر له عن المؤسسة نفسها كتاب «من يمتلك الجسد: قراءة في الحياة السجنية»، وهو حتى الآن كتابه الأبرز من بين كتبه الأخرى، وهذا ربما، يعود إلى نوعية موضوعه، إذ تناول تمثلات الجسد وصوره داخل السجن في مصر عبر تتبّع الحياة المرئية داخل السجن، التي تحوي ممارسات عقابية، وتعذيبية، وإذلاليّة بحق السجناء، بحيث تتمكن السلطة السجنيّة عبرها من هدم ذات وجسد السجين، وبنائهما، عبر تمثلات وصور أخرى، تدل على مفاهيم الخضوع والطاعة والسلب. وفي عام 2023، أصدر كتاباً آخر بعنوان «تمثلات المجتمع المصري: في الذات والجسد والهوية» (دار رياض الريس للكتب والنشر). كان ذلك العمل بمثابة خروج الجسد ضمن كتابات أحمد عبد الحليم من داخل السجن إلى خارجه، أي إلى المُجتمع، فارتأى الاشتباك النظري والتحليلي، مع ما وراء وجود الجسد في وقتنا الحالي، أي منذ عام 2011، وفي فضاءات مُختلفة، مثل التقنية، وتطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي، والإعلام، والسينما، والشارع، والمولّ في ظل مفاهيم الاستهلاك والفردانية والإنجاز، التي ترعاها المنظومة النيوليبرالية بدقة وامتياز.

هذه المرة، انتقل اشتغال أحمد عبد الحليم وبحثه من تجربة الجسد في السجن إلى المجتمع ليشتبك الكاتب مع السلطة السياسية وعلاقتها بالجسد. في «الجسد في مصر: من السياسة إلى الاستهلاك»، يحاول عبد الحليم البحث عن سردية تحكي من «تحت»، من الأسفل، عن السلطوية وأجساد المواطنين، عبر أخذه من السياسة والفكر والثقافة والمجتمع والسجن وسائط أو نظارات تتيح الرؤية عن كثب. جاء هذا البحث عبر إطلاق العنان للأصوات التي احتكت بالسلطة، أو بمعنى أدقّ من مارست عليهم السلطوية أفعالها وأثرها على أجسادهم عبر التعذيب، السجن، المراقبة، الإخضاع، الاستبعاد، النبذ والنفي.

يضمّ العمل مقابلات مع شباب خاضوا تجارب السجن والنفي والنضال منذ عام 2011

إضافة إلى النظريات التحليلية، يضم الكتاب عشرات المقابلات مع شباب من أعمار مختلفة خاضوا تجارب السجن والنفي والعمل السياسي والحقوقي منذ عام 2011 حتى الآن. يصرّ عبد الحليم في أبحاثه على سماع صوت الآخرين، هؤلاء الذين لا يسمع صوتهم أحد في أوساط السياسة وحقوق الإنسان، فالكاتب لا يستند إلى نظريات بحثية فقط، بل يريد أن يحكي عن المهمّشين كونه واحداً منهم، يريد أن يعبّر عن هذا الصوت ويناقش مواضيع في السياسة والسجن والمجتمع بشكل بحثي وتحليلي، وأدبي في ما هو قادم. فالكاتب منشغل بالبحث عن سردية تخالف السرديات المسيطرة، سواء أكانت رسمية قادمة من السلطة أو حتى من سرديات أخرى تابعة لحركات ومنظمات تريد تهميش أصوات من وقعت عليهم ممارسات السلطة، أو بعباراته «نحاول رفض احتكار الروايات الرسمية، ونبحث ونفكر ونضع هذا النص مفتوحاً من قِبل الجميع للنقاش والنقد، حول إمكانية التفكير في الفلسفة والتاريخ بين السُلطة وأجساد المواطنين في مصر».

في «الجسد في مصر: من السياسة إلى الاستهلاك»، ينتقل أحمد عبد الحليم من محورٍ إلى آخر ومن فصل إلى آخر بسلاسة وترابط قويّين، واضعاً النقطة الأخيرة عند نهاية كل فصلٍ ومحور. متأثراً بالفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين، يناقش في الفصل الأول «السياسة في الجسد» علاقة السياسة بالجسد والاستثناء بوصفه مفهوماً أساسياً. سنراه يقطع الفصل وينظمه وفقاً لثلاثة محاور: الاستثناء في الجسد، الاستثناء في القمع، تمثلات ما بعد الاستثناء، من دون أن ننسى الاستهلال حيث قام بتمهيد يبحث عبره عن تاريخيّة العلاقة بين السلطة وأجساد مواطنيها عبر تاريخ الدولة المصرية الحديث والمعاصر. إنّ الجسد هو رقم، وسط أجساد هي بدورها أرقام أخرى، في تشابه كبير في فلسفة تعامل السُلطة السّجنيّة حيال أجساد سجنائها حيث تستفيد منهم قدر الإمكان كونهم أجساداً خاضعة لها. من هنا، ينطلق عبد الحليم من كيفية هذا التعاطي تاريخياً وفلسفياً وممارساتياً، مع التركيز على سلطة ما بعد الثالث من تموز (يوليو)، بما أنّ سياستها («سيادتها») بوصف المفكر الإيطالي جورجو أغامبين) جمعت بين إدارة الأجساد كلها، بل قسّمها إلى أربعة أنماط جسدية: معارضة، وتابعة، ومؤيدة، وفائضة. وعزلت الجسد السياسي المعارض عبر مُخاصمته من خلال قتله أو احتجازه أو ابتلاعه كلّية، وأهّلت التابع لها لاستخدامه في فرض الهيمنة، وأرغبت المؤيد لبقائه على التأييد أو على الأقل الحياد، وحذرت الفائض من زيادته. يوضح أحمد عبد الحليم ماهية التمييز في القمع كما الاستثناء، ذلك الذي فعّلته السلطة بحق فئات متباينة من المجتمع، مستندة إلى تطويع التشريع، وقمع الاحتجاج الحركي عبر القوى الإسلامية وغير الإسلامية، فيرصده ويتتبع تفصيلاته. عبر تفعيل حالة استثناء على الجسد السياسي، قامت سياسة السلطة، أي السُلطوية، بقتله وإخفائه وسجنه، ليصل إلى تمثّلات ما بعد هذا الاستثناء، تحديداً ما بعد السجن، مجيباً عن أسئلة على شاكلة: كيف أصبح خروج الأجساد المصرية «المعارضة» من السجن أصعب من دخولها؟ وعن المُعتقَلين منه، كيف دخلوا في فلك «الأمننة» التي وظّفتها السلطة وعرعتها بدقّة بهدف إخضاع الأجساد وتأميم أي فكر أو ممارسة قد تصدر منهما.

يغوص أحمد عبد الحليم في الفصل الثاني في علاقة السياسة بالثقافة، إذ يناقش الهوية التائهة للسلطة، فيما يبرهن أن سلطة ما بعد الثالث من تموز لا تعتني أو تمثل هوية مستقلة بحدّ ذاتها، فلا هي امتداد ناصري عروبي قومي، ولا ساداتي أو مباركاتي ولا حتى فرعوني، بل تأخذ ما يناسبها وأجساد مواطنيها عبر تاريخ الدولة المصرية الحديث والمعاصر. إنّ الجسد هو رقم، وسط أجساد هي بدورها أرقام أخرى، في تشابه كبير في فلسفة تعامل السُلطة السّجنيّة حيال أجساد سجنائها حيث تستفيد منهم قدر الإمكان كونهم أجساداً خاضعة لها. من هنا، ينطلق عبد الحليم من كيفية هذا التعاطي تاريخياً بما تشمل فضاءات عدة، فنية تخص الدراما تحديداً، كما تعليمية وتربويّة كالمدارس الحكومية وغير الحكومية. من هنا يعرج على السياسة في الاستهلاك راصداً التجلّيات المُباشرة التي أحدثتها سلطة ما بعد الثالث من تموز، التي طالت مئات الآلاف من المصريين المُعارضين، وخاصة الشباب منهم. إذ يسرد تحولات المشاعر والأفكار داخل سنوات السجن، ثم ينطلق إلى خارج السجن بل خارج مصر (المنفى)، كي يسلّط الضوء على جزء من الشباب، أي المنتمين إلى الإخوان المُسلمين، ويشرح كيف كانت تجلّيات المرحلة عليهم. ثم ننتقل من الخاص إلى العام، لنرى اتجاهات ومسارات الشباب الخارج من الاستثناء ومن السياسة كُلّية، سواء من بقيَ منهم داخل مصر أو من خرج منها. يعرّفنا الكاتب إلى حالة الاستثناء في العمل، في ما يخص فلسفة السلطة السياسي، قامت سياسة السلطة، أي السُلطوية، بقتله وإخفائه وسجنه، ليصل إلى تمثّلات ما بعد هذا الاستثناء، تحديداً ما بعد السجن، مجيباً عن أسئلة على شاكلة: كيف أصبح خروج الأجساد المصرية «المعارضة» من السجن أصعب من دخولها؟ وعن المُعتقَلين منه، كيف دخلوا في فلك «الأمننة» التي وظّفتها السلطة وعرعتها بدقّة بهدف إخضاع الأجساد وتأميم أي فكر أو ممارسة قد تصدر منهما.

يغوص أحمد عبد الحليم في الفصل الثاني في علاقة السياسة بالثقافة، إذ يناقش الهوية التائهة للسلطة، فيما يبرهن أن سلطة ما بعد الثالث من تموز لا تعتني أو تمثل هوية مستقلة بحدّ ذاتها، فلا هي امتداد ناصري عروبي قومي، ولا ساداتي أو مباركاتي ولا حتى فرعوني، بل تأخذ ما يناسبها وأجساد مواطنيها عبر تاريخ الدولة المصرية الحديث والمعاصر. إنّ الجسد هو رقم، وسط أجساد هي بدورها أرقام أخرى، في تشابه كبير في فلسفة تعامل السُلطة السّجنيّة حيال أجساد سجنائها حيث تستفيد منهم قدر الإمكان كونهم أجساداً خاضعة لها. من هنا، ينطلق عبد الحليم من كيفية هذا التعاطي تاريخياً

سياسة

كيف داست أوسلو إنجازات منظمة التحرير؟

منى سكرية

تقول المحامية الفلسطينية نورا عريقات إنّه «لا يوجد نقص في المحامين الفلسطينيين المتمكّنين، وإنما هناك افتقار إلى حركة سياسية قوية ترفد دعواهم القانونية، وترشدها، وتكون قادرة على الاستفادة من المكاسب التكتيكية التي يحققونها». يبدو قول عريقات في إحدى مذكراتها كأنه خلاصة مضمون كتابها الصادر حديثاً عن «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» بعنوان «العدالة للبعض – القانون والقضية الفلسطينية»، ولا سيما في إشارتها النقيضة المتمثّلة في «أنّ العمل القانوني كان محورياً في مشروع إسرائيل التوسعي. لقد فهم القضاء الإسرائيلي والسلك الدبلوماسي والمستشارون القانونيون المدنيون والعسكريون تداخل القانون مع السياسة، واستفادوا» (ص260)، ولعلّ ما ذكرته عن المستشار القانوني للجيش الإسرائيلي يوئيل سينغر الذي أرسله إسحاق رابين إلى فريق التفاوض لتعزيز قناة أوسلو خير مثال، إذ كان سينغر عدوانياً جداً، و«أمطر ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية بما لا يقل عن 200 سؤال» (ص195). نستنتج تباعاً من سياق الصفحات كيف كانت مؤسسات المنظمة والقانون في خدمة مرض «الأنوية».

عريقات التي عالجت في كتابها مسألة «النضال الفلسطيني في سبيل الحرية، بسرد العلاقة بين القانون الدولي والسياسة خلال خمسة منعطفات تاريخية حاسمة ما بين عامَي 1917-2017، وحجّتها أن القانون الدولي هو مجرد أمر سياسي»، كشفت مسار سياسة «منظمة التحرير الفلسطينية» التي حقّقت الاعتراف بها بجهود مضنية وصولاً إلى صفة مراقب في الأمم المتحدة، لكنها أيضاً أخفقت وخسرت في التنازلات التي قدمتها في محادثات أوسلو والاتفاق الذي نجم عنه. تذكر المؤلّفة أنّه «في عام 1993 وقعت «منظمة التحرير الفلسطينية» إطار الحكم الذاتي الذي رفضته طوال خمسة عشر عاماً». كما أنّه «استجابة لمطالب إسرائيل التفاوضية، وافقت المنظمة أيضاً على تعديل ميثاقها الوطني لإزالة الالتزام بالكفاح المسلح، كما أبطلت قرار سنة 1975 الذي رأى أنّ الصهيونية شكل من أشكال العنصرية. إضافة إلى هذه التنازلات، وافقت المنظمة على رغبة إسرائيل في استبعاد الإشارة إلى أي قانون أو معايير دولية، ولا يشمل ذلك القرار 242 فحسب، بل أيضاً القرارين رقم 181 و194، واتفاقية جنيف الرابعة بشأن الاحتلال، وجميع الإنجازات القانونية المميزة لمنظمة التحرير في الأمم المتحدة خلال السبعينيات». وتؤكد «كان هذا ثمن الدخول في دائرة نفوذ الولايات المتحدة» (ص202).

يتضمن الكتاب خمسة فصول (ترجمة صفاء كنج) ومقدمة وخاتمة وفهرساً. يقارب الفصل الأول «الشطب والإلغاء الاستعماري» من وعد بلفور، إلى ترسيخ الشطب والإلغاء في القانون والسياسة الدوليّين: الانتداب على فلسطين، وكيفية فرض إسرائيل نفسها بالقوة، وأحكام الطوارئ... إضافياً لإسرائيل لتزعم أنه في إمكانها إنها الضرورة العسكرية» (ص107). تستهلّ عريقات الفصل الثالث (الثوريون والبراغماتيون) بما قاله الراحل فايز صايغ عام 1965 بأنّ «شعار النظام الاستيطاني الصهيوني القائم على التفوق العرقي في فلسطين هو الإلغاء العرقي» و«هذا ما تمارسه إسرائيل اليوم بحق أهل غزة من تطهير عرقي وإبادة جماعية نظراً إلى عقيدتها الصهيونية/ التوراتية القائمة على إلغاء الآخر بالقتل والعنف». في هذا الفصل، تستعرض عريقات الجهد الإستراتيجي لمنظمة التحرير في الأمم المتحدة لإدراج الوضع القانوني للشعب الفلسطيني في المواثيق والمؤسسات الدولية، وبلوغه الذروة في السبعينيات من القرن الماضي، حين أسفر عن سلسلة إنجازات قانونية، وسلوك الدبلوماسية طريقاً لنيل الحقوق (خطاب عرفات في الأمم المتحدة في تشرين الأول/ أكتوبر 1974) والتنازلات اللاحقة التي أدّت إلى إضعاف قوة منظّمة التحرير، وخصوصاً بعد اجتياح لبنان عام 1982 وتشتيت قوة المنظمة وعرفات.

«عملية أوسلو للسلام» هو عنوان الفصل الرابع الذي تكشف فيه عريقات بالمعلومات كيف عائت «الأنوية» والجانب «الشخصاني» للرئيس عرفات، بإنجازات المنظمة وبحقوق الشعب الفلسطيني. تقول عن أوسلو: «حصلت المنظمة على اعتراف إسرائيل بوضعها القانوني من دون أي ضمانات بنيل الاستقلال». وفي هذا الفصل، تتوضّح قدرة الوفد الإسرائيلي على استخدام القانون، واستسلام الجانب الفلسطيني لأي طروحات، وسنورد هنا بعضاً منها لأن ما جرى في أوسلو أوصل القضية الفلسطينية إلى أقبح ممارسات السلطة حالياً ومنها:

نجاح إسرائيل في استخدام عملية «السلام» لإحكام سيطرتها على الضفة الغربية وقطاع غزة بخضوع فلسطيني (هذا ما أكده الأستاذ في جامعة حيفا وعضو وفد التفاوض ممثلاً رابين بائير هيرشفيلد بقوله بأنّ محادثات النروج التي سبقت أوسلو حافظت على جميع آليات السيطرة اللازمة لإسرائيل) ومخاوف عرفات من الوفد الذي ضم فيصل الحسيني وحنان عشراوي من عمله بسبب الموقف الوطني، وكأد أن يخسر بسبب تعبيره عن رأيه أثناء اجتماع الخواجات، ولأنّ هذا الموقف متحكّم فيه من دون أن يدري، لم يستغلّ معارفه الجدد ليعود إلى وظيفته. وعبر نموذج سليم وموقفه، يأتي التساؤل: ما الذي كان يمنعه من استغلال هذا الموقف، ولماذا لم يستغلّه، ولماذا بقي الوفد متحكّماً فيه، لنربط هذا التساؤل بسؤال حول الوطن، فهل مواقفنا الوطنية مبنية على الوهم أيضاً؟

تخلّت طواعية عن القانون كإحدى أدواتها السياسية في النضال

صنّف بعضهم العمل بأنه رواية سينمائية

مأخذ على الرواية هو بعض المشاهد التي تظهر فيها شخصيات مصرية اعتدنا مشاهدتها في الأفلام، القديمة والحديثة، البلطجية والفتوات وأصحاب السوابق، فقد ظهروا في الرواية بشكل مبتذل ومكرّر، ولأنّ الحوارات كانت بالمحكية المصرية، فكنت تقرأ مشهداً لا بدّ من أنك شاهدته يوماً في فيلم مصريّ من أيام السبعينيات والثمانينيات، فالاستغناء عن هذه المشاهد كان سيُبعد النصّ عن الابتذال هو بشكله العام بعيد كل البعد عنه. وبالحديث عن الحوارات باللهجة المصرية، فقد كانت نقطة قوّة لواقعية النصّ، رغم الخلاف الدائم حول دخول العامية النصوص الروائية.

«مقامرة على شرف الليدي ميتسي» رواية لروائي مجتهد، وكاتب باحث لا يرضى بالقليل من البحث ليشكّل عالم نصّه الروائي، ولأنه مجتهد، فقد اشتغل على نصّ بعد تجميع مادته. تعددت زوايا الرؤى، فشكّلت إيقاعاً سردياً تشكّل معه نصّ روائيّ يحمل جدّة وخصوصيّة، لمرحلة وحالات وشخوص سمعنا أو لم نسمع عنهم، ولكننا هنا سمعناهم بشكل مختلف.

إجبار الوفد على التشدّد وإظهار مرونته من خلف الكواليس في الاتصالات مع الأميركي والوسطاء، وفتح قناة خلفية في النروج سبقها لقاء سري جمع أحمد قريع وبائير هيرشفيلد في أوائل كانون الأول (ديسمبر) 1992 في لندن، وحضور المسؤول في المنظمة حسن عصفور مع أنه لا يجيد الإنكليزية وتراجع المنظمة، في غضون ثلاثة أشهر، عن قضايا رئيسية عدة كان الوفد الفلسطيني قد حارب بحزم من أجلها، وتبنّي وفد النروج في السرّ ما أخفاه عن وفد الوفد الفلسطيني في واشنطن. وبحسب هيرشفيلد، أجبر عرفات الوفد الفلسطيني على العودة إلى واشنطن للسماح باستمرار المحادثات عبر القناة الخلفية (وكان الوفد يرفض العودة مطالباً بعودة المبعدين الفلسطينيين من لبنان وكانوا 400 شخص من «حماس»)، وتوبيخ هارون ميلر (ممثل كلينتون في التفاوض) للوفد الفلسطيني، لكن الوفد لم يلن، لكن عرفات أنفعل من الوفد وانتقل للتفاوض سراً إلى أوسلو. تتابع عريقات في كشف المزيد من المعلومات حول أوراق التفاوض ذاك ومنها: «تفاجأ رابين بمدى استعداد منظمة التحرير الفلسطينية للتنازل» فشعر رشيد الخالدي بالاشمئزاز، واستشاط حيدر عبد الشافي غضباً، وتخلّت منظمة التحرير طواعية عن القانون كإحدى أدواتها السياسية في النضال، وبصورة عامة تخلّت عن سياسة المقاومة. في حزيران (يونيو) 1994، دخل ياسر عرفات إلى قطاع غزة، وأصدر رابين تعليماته إلى الحكومة الفلسطينية باعتقال محمد الضيف، لكن وعد فلسطين كان وما زال وفقاً لما تختم عريقات.

رواية

أحمد المرسي في متاهات الوهم

منير الحايك

يقول ر. م. البيريس في كتابه «تاريخ الرواية الحديثة» إنّ «الإيقاع الروائي هو إيقاع للمحاورات بأكملها، وللحوادث وللمشاهد الروائية، فبعض الروايات يكون انسجامها الداخلي من خلال قوة الترابط التي توحي بها وتعقدها، وبإيقاع الحركات الروائية التي تتصالب فيها». لكنّ المؤكّد أنّ ما يمنح الإيقاع قوّة خفيّة، هو زوايا الرؤى التي تمّت عبرها عمليات تشكيل عناصر النصّ وعلاقاتها، وبالتالي إيقاعه. من هنا ندخل إلى رواية «مقامرة على شرف الليدي ميتسي» (دار دوّن ـ 2023) للمصريّ أحمد المرسي، لمحاولة الكشف عن خبايا إيقاعاتها التي صنّفها بعضهم بأنها رواية سينمائية. يظهر إيقاع الرواية في بداية النصّ ونهايته، مشغولاً على طريقة الشعر الحديث، إذ يكرّر النصّ مشهداً بدأه في افتتاح الفصل الأول، وينهي به الرواية، ليحثّ القارئ على إعادة البحث عمّا قصده الكاتب في روايته، وهذا يحيلنا إلى لعبة ذكية لدى الكاتب، ليقول للمتلقّي: أعطيتك خيطاً في البداية، عُد واقرأه، فهل توقّعاتك كانت صحيحة؟

تبدأ الرواية بمشهدية لجثة فوزان الطحاوي العجوز، الذي وصفته الرواية بأنه بدا كالجنين الذي ضمّ يديه إلى صدره، رمزاً لطلبه من الموت بأن يمهله بعض الوقت. مع موته، يستطيع غالب الطحاوي التسلل إلى عزلة الرجل ليبحث عن أدلة على أنه قتل والده وسرق حجج أراضيهم، فتكون المفاجأة بعثوره على قصاصات جرائد وصورة تبدأ عبرها القصة، فنسافر إلى عام 1920. وعندما يعيد المشهد في النهاية، يختلف كلّ تحليلك بوصفك متلقّياً بدأ النصّ بما ظنّه استهلالاً، ولكنه يكون أعمق من ذلك، لأنّ غالب سيغيّر قناعةً رافقته مدة خمسين عاماً.

تحكي لنا الرواية قصة أربع شخصيات رئيسية: فوزان ومرعي المصري وسليم حقي والسيدة ميتسي، بالإضافة إلى مرور عابدة، زوجة سليم المريضة، وعلاقتها بكلّ أفعاله المحرّكة الأولى لانطلاقة جميع أحداث النصّ، وأيضاً علاقتها في ما بعد بالفتى فوزان. يلتقي سليم المطرود من الشرطة بمرعي، باحثاً عن حلّ لكسب مال سريع، بعدما فشلت محاولته خلال مراهنات قتال الديكة، ومع هذين الرجلين، وحلم، وهم بالكسب السريع للمال، تبدأ الرحلة.

يراهن الرجلان على موافقة الستّ ميتسي بأن تشتري فرساً للمشاركة في السباقات التي كانت شائعة لدى فئة من عليّة القوم في تلك المرحلة من تاريخ مصر، فيذهبان إلى الطحاوية ويشتريان الفرس، يرافقهما الفتى فوزان ليحضر قطعاً ذهبية، بعدما رفض برجس، عمّ فوزان وصاحب الفرس، قبول العملة الورقية التي لم يكن يثق بها أهل الريف بعد. تكثر الأحداث وتتشابك، تخسر الفرس سباقاً ثم آخر، وتفوز بسباق ثمّ آخر، ما يعقّد الأحداث، وتأخذنا التفاصيل إلى علاقات الشخصيات وصراعاتها. الوهم كان الأساس في تشكّل ملامح الشخصيات، وبالتالي حركتها داخل المكان والزمان، وهي: سليم بالكسب السريع، ووهم الحبّ لدى مرعي، ووهم الشفاء النفسي لدى ميتسي، أمّا فوزان، فقد كان أسير قرارات أصحاب هذه الأوهام، وعابدة المريضة، أسيرة وهم واحد، هو وهم زوجها سليم، بأنه سيجد حلاً سريعاً.

لقد قدّمت الرواية تفاصيل عن تلك المرحلة فيها من الجدّة والبراعة ما يعطي صاحبها ميزة الباحث الدقيق، الذي يتوخّى الحذر من أجل أن يُنتج نصّاً روائياً، لكن ما دام أنه لجأ إلى التاريخ، فلم يفوّت تفصيلاً إلا ووظّفه في خدمة عملية السرد والحوار، وتشكيل الشخصيات وتطوّرها، فحتى المسمّيات والألقاب، وأسماء المناطق، واللهجات المصرية المستخدمة، والكثير من التفصيلات الصغيرة، اعتنى بها كلّ العناية حتى لا تشوب نصّه هنات تاريخية أو اجتماعية.

وبالعودة إلى زوايا الرؤى، وهي ما أعطى هذا النصّ صفة النصّ السينمائي، ولكثرة تنوّع تلك الزوايا، نجد أحياناً أنفسنا داخل المكان خلال الوصف والحوار، فالحلول في المكان كان أساساً، والإشراف من على والنظر نحو الأعلى، بالإضافة إلى كثير من موقعية الواصف، وخصوصاً أثناء وصف مجريات السباقات، كلها كانت أساساً في تميّز الرواية التي جعلت المتلقّي يبني العالم في مخيّلته بكلّ تفاصيله، بشكل أعمق وأكثر وضوحاً من أيّ نصّ روائي آخر قد يقرأه.

لم يدخل المرسي في قضايا سياسية كبيرة، أو بشكل أدقّ لم يجعل تلك القضايا تسيطر على نصّه، ذلك أنّه أراد لقضايا الهمّ الإنسانيّ أن تسيطر، وترك للوهم أن يكون المحرّك الأساسي، فيشارك المتلقّي قلقه حول تعلّقنا بالوهم وما ينتج عنه، إلّا أنه لم يستطع الهروب، شأنه شأن معظم المبدعين العرب، فالسياسة وقضاياها لا يمكن الهروب منها، لأن بادناتها تعيش أزمات ملاحقة، ولكنها مرتبطة ومنشأها واحد، فسليم طُرد من عمله بسبب موقفه الوطني، وكاد أن يخسر بسبب تعبيره عن رأيه أثناء اجتماع الخواجات، ولأنّ هذا الموقف متحكّم فيه من دون أن يدري، لم يستغلّ معارفه الجدد ليعود إلى وظيفته. وعبر نموذج سليم وموقفه، يأتي التساؤل: ما الذي كان يمنعه من استغلال هذا الموقف، ولماذا لم يستغلّه، ولماذا بقي الوفد متحكّماً فيه، لنربط هذا التساؤل بسؤال حول الوطن، فهل مواقفنا الوطنية مبنية على الوهم أيضاً؟

لمحات

حسين بن حمزة

«كتبتُ قصيدةً منذ قليل/ ولأنني مقلٌّ وقصيرُ النَّفَس/ تعرفون/ فقد كانت قصيدة قصيرة/ ولكني مع ذلك وجدتُ أنها طويلةٌ بعض الشيء/ ولذلك محوتُ بعض الأسطر/ وأزلتُ بعض الشُّحوم هنا وهناك». تتميز قصائد ديوان الشاعر السوري حسين بن حمزة «كمن يريد أن يمحو» (دار راية للنشر) بأسلوب يميل إلى الاختزال والجمل القصيرة والبساطة المعجمية. يميل بن حمزة إلى الاقتصاد في الكتابة، والتكثيف، والابتعاد عن الثرثرة الزائدة والكتابة الفضفاضة في الشعر في محاولة الوصول إلى المعنى أو الاستعارة الشعرية بأقل ما يمكن من الكلمات. تتنوع موضوعات الشاعر فنقرأ عن الشعر والكتابة وتجلياتها المختلفة، وعن الآخر المختلف، وعن الحب والاغتراب والمرأة. تحضر في الديوان مفردات اللجوء، والسوريين، و«الجار الألماني» التي استلهمها الشاعر من حياة الاغتراب التي يعيشها في ألمانيا منذ بضع سنين.

حسين السكاف

«الحرب قتلت حلم العشاق إلى الأبد.. وهذه البلاد ليست لأصحاب الرايات فقط». يروي الكاتب والناقد العراقي حسين السكاف في روايته الرابعة «فيروزة لجديلة النجلاء» (دار التكوين) قصة حب كبير ابتلعته الحرب الشعواء التي مزّقت العراق. يحكي لنا الراوي قصة «موسى» الذي وُلد في ظروف صعبة. نشأ موسى في ظل الحروب والتغييرات السياسية الكبرى التي عصفت بالساحة العراقية وأجبرت العائلات على تغيير معتقداتها خوفاً من التهجير والاضطهاد الديني. تتناول الرواية أيضاً دور الموسيقى في الحياة، عبر شخصية «خضور» الموسيقي الذي يسعى إلى إيصال رسالة الحب الضائع و شخصية «سمّور» الشاب الذي يمتلك إنسانية وولعاً بالموسيقى. هكذا تُشكّل ثيمة الحب اللبنة الأساسية للرواية ولبّ فكرتها، وتدفعنا إلى التساؤل عن كيفية استمرار الشغف بكل جمالياته وأحلامه وأمنياته في بلد تنخر ثناياه الصراعات المذهبية.

إيمان حميدان

تتناول رواية «أغنيات للعتمة» للكاتبة اللبنانية إيمان حميدان (دار الساقي) قصة أربعة أجيال من نساء عائلة واحدة يعكسن صُوَر بلدٍ مُعذّب. تركز حميدان على قضايا النساء ومواجهتهن لنظام ذكوري عنيف ومُدمّر. تبدو معاناة هؤلاء النساء اختصاراً لمعاناة بلدهنّ لبنان، منذ نهايات الحقبة العثمانيّة وصولاً إلى الحرب الأهليّة اللبنانيّة وتبعاتها (1908-1982). تُقدّم رواية «أغنيات للعتمة» موقفاً نقدياً للظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في لبنان، وتُمثل الشخصيات في الرواية شرائح مختلفة من المجتمع اللبناني الطبقي. كما تتناول الرواية قضايا النفاق السياسي والنفاق الحداثي العلماني عبر شخصيّتَي يوسف ومازن. يبدو أن موضوع «الحب المفقود» هو العامل المشترك بين الشخصيات الرئيسية التي تتورّط رغماً عنها في علاقات زوجية مؤلمة ومخيّبة للآمال.

عمار نذير سنان

يحكي الكاتب السّوري عمّار نذير سنان في كتابه «من إسطنبول إلى حيفا» (دار النهضة العربية) قصّة خمسة إخوة من آل التميمي أسهموا في أهمّ الأحداث السياسيّة التي شهدتها المنطقة العربيّة بين عامَي 1890 و1948. يدمج الكاتب سرديات تاريخية مع قصص شخصيات عاشت التحوّلات السياسية والجغرافية في سوريا، فلسطين، لبنان، وغيرها، ويعيد نسج الأحداث التي شهدها المشرق، ولا سيما محاربة العثمانيين والانتداب البريطاني. يوثق سنان المعلومات التي يعرضها باستخدام الوثائق والمراجع التاريخية، ما يمنح العمل توازناً بين الموضوعية والعاطفة. يمتزج الأسلوب المرن والإيقاعي السريع مع البحث المعرفي في الكتاب، ويخلق مساحة لتداخل القصص الشخصية لآل التميمي مع الأحداث التاريخية، ما يضفي المزيد من التشويق على عملية السرد.

أحمد فضل شبلوط

يستكشف الكاتب المصري أحمد فضل شبلوط أثر الروائح وأسرارها في حياتنا اليومية عبر «كتاب الروائح» (الآن ناشرون وموزعون). يشير الكتاب إلى أن العلماء يعتقدون أن هناك سبع روائح أساسية فقط تتركّب منها كل الروائح الأخرى، لكنهم لم ينجحوا بعد في تحديد تلك الروائح الأساسية، والتجارب العلمية مستمرة في محاولة الوصول إلى ما يعرف بـ«الشم المرئي». يجيب الكتاب عن أسئلة عديدة منها: ماذا يحدث للإنسان أو الحيوان عندما يشم رائحة معينة؟ وماذا يحدث في المخ عندما تصل إلى أحد مراكزه أو خلاياه العصبية هذه الرائحة أو تلك؟ وكيف يستطيع المخ تمييز الروائح بين الزكية والخبيثة، أو بين الطيّبة والكريهة؟ ثم يستعرض الكتاب استخدامات الروائح ويطرح أسئلة مثيرة، مثل تفاوت رائحة نفس الشيء من شخص إلى آخر بسبب الاختلاف في الخلايا العصبية المسؤولة عن «عملية تفسير الرائحة».

سلمان زين الدين

يُقدّم الكاتب والشاعر اللبناني سلمان زين الدين في «على ذمة الراوي العربي» (المؤسّسة العربية للدراسات والنشر) قراءة نقدية لخمسين رواية عربية من مختلف أقطار العالم العربي ويخرج بنتائج معيّنة. لا يُسقط على النص الروائي مناهج النقد الغربية، أو يحمّله أكثر ممّا يحتمل. وبذلك، يتجنّب السقوط في التقعّر النقدي والصرامة الأكاديمية، من جهة. ولا يقع في فخّ الانطباعات العابرة، من جهة ثانية، ويبقى في منزلة بين المنزلتين، تقرّب النص من المتلقّي ولا تبعده عنه، وتصالح هذا الأخير مع النقد الروائي ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. يؤكد زين الدين أنّ الرواية العربية لا تقلّ روائيةً عن تلك العالمية. وهي تطرح أسئلة من واقعنا العربي منها: الزلزلة السورية، الحرب اللبنانية، التحوّلات الجزائرية، المقاومة الفلسطينية، الانتداب الفرنسي، الربيع العربي، الصراع السوداني، الحلم الأفريقي، الهجرة غير الشرعية، الأقليّات الدينية، والاستبداد السياسي.

أوراق

«ألف ليلة وليلة» نص مركّب يتبنى مفاهيم شديدة الحداثة، ضمن ما يطلق عليه اليوم «الميتا رواية»

عصر «تبديد» الرواية العربية!

إبراهيم فرغلي *

أتمنى حقاً ألا «يتبدّد» اسم الكاتب الصيني هان تشاو غونغ من ذاكرتي. فهذا كاتب عظيم تأخرت معرفتنا به لولا اختيار يارا المصري الشجاع، المغامر، الملهم لترجمة نصه الفاتن والفائق «قاموس ماتشياو» بوصفها الترجمة العربية الكاملة الأولى.

وأستدرك هنا للقول إنّ لا علاقة للإشارة لهذه الرواية بما أكتبه هنا، إذ لا يمكن لمقال صغير أن يتناول رواية فخمة كهذه. لكني أحبّ التوقف عند كلمة «تبدد» التي تأتي بين عناوين فصول هذا النص. منذ قرأتها وأنا أعاود تأمل معاني كلمات من مثل: التبدد، التحلل، التفكك، الاختفاء، الموت، ومعان أخرى قريبة. «يتبدّد» ليس بمعنى يذوي أو ينتهي بل بمعنى يضمحل. فكم يمكن للضحالة أن «تقتل» أشياءً إن تُبدَ لنا نظنها حية، بينما تعاني من مهانة قاتلة!

«حين حكى لي الناس قصة داي شي تشينغ استخدموا كلمة «تبدد»؟ قالوا لي إن والد تييه تشانغ لن يتسول بعد الآن، لقد تبدد. ويبدو جلياً أن تبدَّدَ يعني مات».

يقول غونغ: «التراكم والتماسك هو بالطبع عكس التبدّد، التماسك جوهر الوجود، وجوهر الحياة؛ يتجمع الدم والطاقة ليكوّن الإنسان، تتجمع السحب لتشكّل الأمطار، تتجمع الرمال لتكوّن الأحجار، تتجمع الكلمات لتنتج الأفكار، تتراكم الأيام لتخلق التاريخ (..) وبمجرد أن يضعف هذا التماسك، تأتي بداية الموت. أحياناً كلما توسعت الأشياء وازدهرت وتجاوزت حدود قدرتها على الحفاظ والاستمرار في الحياة، أصبح التماسك الداخلي أكثر صعوبة».

أتأمل حياة الرواية العربية الراهنة، فتخاتلني كلمة تبدُّد!

لا يعود ذلك إلى انحسار عدد كُتّاب الرواية، أو لانعدام الأفكار التي يحبكها كتبة وكتاب يسوّدون بها صفحات أعمالهم الأدبية، بل يأتي التبدد من منطقة أخرى تماماً: منطقة الاستخفاف، الاجتراء، الغفلة السردية، الاستسهال. وهذه تقريباً الأوصاف الجامعة لعدد كبير من كُتّاب صغار، في العمر والخبرة، بل من بعض الكتاب المستقرّين، للأسف، الذين يتجرّؤون على السرد (طبعاً سيقول البعض ومن أنت لكي توجه اتهامات كهذه لهؤلاء الكتبة، ولأصحاب السؤال أقول نعم من أنا لأقول ذلك، ولكن لتتّسع صدوركم وامنحوني صكّاً بالغفران أثابكم الله).

الاجتراء والغفلة والاستسهال تجسد وصفاً جامعاً، يتجلى في روايات خفيفة لا يمتلك كتابها معرفة باللغة، أو تاريخ السرد، ولا بالمعنى الحقيقي للرواية.

وقد يسألني البعض وما الرواية أيها المتفذلك؟ ولهم أقول إنّه أيّاً كانت تعريفاتها، فلا بد من أن تتضمّن مسألتين أساسيتين؛ أولاها أنّ الحكاية وحدها ليست رواية، وأنّ خلوّها من الفكر يقصيها من التعريف، كما أنّ الحكاية بوصفها أداةً وحيدةً ينتهجها كاتب ما، لا بد من أن تتضمّن فكرة فلسفية أو معنى عميقاً أو دلالة رمزية بعيدة كحد أدنى.

وهنا لا بد من أن أكرّر أنّ المرجعية الرئيسة لفن الرواية، غرباً وشرقاً، هي «ألف ليلة وليلة». وقد يبدو هذا النص الفاتن، كمجموعة متوالية من الحكايات التي تعتمد على خيال جامح، وهذا حقيقي، لكنّ الحكايات مجرد جزء من البناء، بينما في الجوهر هو معالجة درامية للقصة الإطارية. هي عناصر اختلقتها شهرزاد على مدى ألف ليلة لتعالج شهريار من مرضه الشيطاني ممثلاً في الغيرة المريضة التي حوّلته إلى قاتل متسلسل. وأي قراءة خاطئة لهذا النص تتسبّب في فهم قاصر للنص نفسه أولاً، ولفنّ السرد من جهة أخرى. بهذا المعنى، ينبغي أن نتبيّن أن فن

> **أكرّر أنّ المرجعية الرئيسة لفن الرواية، غرباً وشرقاً، هي «ألف ليلة وليلة»**

الرواية كما اقترحته «ألف ليلة وليلة»، حتى لو كانت تبدو في بداياتها، أو حتى وفقاً لتصنيفها الأكاديمي اليوم، كجزء من تراث الحكي الشعبي، هي نص مركّب يتبنى مفاهيم شديدة الحداثة، ما يطلق عليه اليوم «الميتا رواية» أو الرواية المركّبة، أو الرواية داخل الرواية.

هذا هو الفهم الذي وصل إليه مؤسس الرواية الغربية المعاصرة؛ ميغيل سيرفانتس وهو يبني عمله الرائد «دون كيشوت»، التي انتهجت، بشكل أو آخر، منطق بناء ألف ليلة، ببناء حكاية إطارية تعتمد على جنون قارئ أسطوري بسبب الإفراط في القراءة، وانتقاله من حال القراءة الذهنية إلى منطقة الفعل، ليتحوّل إلى مغامر يتبنّى أفكار المغامرين الأسطوريين من الفرسان لإنقاذ العالم من مستنقع الشرور.

لكنّ المفارقة التي يبنيها سيرفانتس تُبنى على دلالة تم تمثيلها بحسّ ساخر وبأدوات سردية بارعة موجزها أنّ القراءة النظرية مع أوهام الهستيريا كفيلة بتحويل دون كيشوت (وكل دون كيشوت واهم وحالم لا يمتلك أدوات تحقيق أحلامه)، من فارس وبطل إلى أضحوكة يرثى لها.

وبهذا الفهم العميق لفنّ الرواية، التقط الكتاب الغربيّون الخيط ليؤسسوا مدارس فنية أدبية متباينة تقوم على صياغات جديدة لفن الرواية تضمنت؛ إما فهماً عميقاً للنفس البشرية، أو لتغيرات المجتمع بناء على فهم أثرها في النفس البشرية.

في الأثناء، التقط بعض الكتبة المغامرين خيطاً رفيعاً يتعلق بجانب أو جزء مثل المغامرة، أو الرومانسية، أو الاكتفاء بحكاية من دون تعميق إطار هذه المغامرات أو العلاقات العاطفية أو فلسفة الحياة، فوقعوا في فخ الفهم السطحي لفن الرواية. لكن المجتمع الغربي بمستوى الثقافة التي بلغها خلال القرن الماضي، منع هذه الأعمال من أن تأخذ تقديراً يفوق حجمها أو قيمتها، واعتبرها روايات تناسب قراء مراهقين لا يهتمون بفنّ الرواية ولا بتاريخها، يحتاجون إلى قراءة أعمال سطحية تدغدغ مشاعرهم وليس أفكارهم.

واليوم نرى نسخاً مشوّهة لهذه الظواهر في الوسط الأدبي العربي، عبر وسط أدبي مزيّف مدعوم من مجتمع قرائي غارق في السطحية، وقراء لم يسبق لهم قراءة أي رواية حقيقية مترجمة أو عربية، وقراء سطحيين يقدمون قراءات ساذجة لروايات أقل من عادية بإعادة حكي قصصها، ثم قد يدعم هذا الوسط أيضاً لجان تحكيم جوائز يعاني ممثلوها من فساد الذوق الأدبي والمنهج النقدي، وغير ذلك.

وبهذا كله يتم إغراق السرد في عالم مركب من الضحالة، وبهذا المعنى بدأ عصر «تبديد الرواية العربية المعاصرة».

* كاتب مصري

Samedi 16 Mars 2024 no104
السبت 16 آذار 2024 العدد 104

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

أين يدفن اللبنانيون موتاهم بعد غلاء القبور؟ [6]

عقيدة الاحتلال قتل أكبر عدد من المدنيين

[5.2]

(من الويب)

المختبر الجنائي

تكتبها جنان الخطيب

خلال جلسة محكمة العدل الدولية في 12 كانون الثاني - يناير، اتهمت إسرائيل جنوب افريقيا بتقديم وجهة نظر «مشوّهة للغاية» للاعمال العسكرية. وقدّم محاموها خرائط ومقاطع فيديو وصوراورسوما بيانية مشروحة في دفاعهم ضد اتهامات الإبادة الجماعية. زعم المحامون «الإسرائيليون» خلال الجلسة، ان حماس هي المسؤولة، بشكل مباشر او غير مباشر، عن مقتل العديد من المدنيين الفلسطينيين والتدمير الواسع النطاق للاف المباني. وهو ما استشهدت به جنوب افريقيا لدعم طلبها. وقال المحامون إن مدنيين قُتلوا بسبب الخدم العسكرية التي زرعتها حماس في المنازل. وقيام الحركة بتلغيم الازقة. وإساءة إطلاق الصواريخ حول البنية التحتية العامة. وقد اصدرت مجموعة الابحاث والفنون FORENSIC ARCHITECTURE تحليلها الخاص للمواد المرئية التي قدمها الفريق القانوني الإسرائيلي في جلسة محكمة العدل الدولية. وفقًا للمجموعة، تشير النتائج إلى حالات متعددة من التحريف والتسميات الخاطئة والاوصاف المضللة. حيث تم تحليل وشرح ثماني حالات ضلل فيها الفريق القانوني الإسرائيلي «الادلة» التي استشهد بها. الإضاءة على التقارير العلمية التي تكشف الأكاذيب الاسرائيلية تصبح اكثر إلحاحا نظرا لتاريخ «إسرائيل» الطويل في تقديم ادعاءات كاذبة ومضللة عمدا، مدعومة بمواد بصرية يتم التلاعب بها وتحريفها.

تقرير جديد للهندسة الجنائية يدحض «الأدلة الإسرائيلية» فـــي جلسة استماع لمحكمة العدل الدولية

الهندسة الجنائية تنسف أكاذيب الاحتلال

موقع إطلاق الصواريخ

قدم الفريق القانوني «الإسرائيلي» الدليل رقم 1 الذي زعم أنه دليل على وجود موقع إطلاق صاروخي قريب من منشاة لتحلية المياه. الشكل عبارة عن صورة قمر اصطناعي مع تعليق توضيحي باللون الأحمر يسلط الضوء على موقع الإطلاق المزعوم، وادعى الفريق القانوني الإسرائيلي:
«وفي الصورة التالية، يمكن رؤية دليل على إطلاق صاروخ من مكان قريب من محطة تحلية المياه في غزة».

الدليل رقم 1: موقع إطلاق الصواريخ

وجد التحليل الجنائي أن الحفرة الأرضية التي تم تسليط الضوء عليها ناجمة على الأرجح عن قنبلة إسرائيلية. وتم استخدام صور الأقمار الصناعية والنمذجة الثلاثية الأبعاد لحساب حجم وعمق الميزة المميزة، حيث يبلغ قطر الحفرة حوالي 7 أمتار، وعمقها مترين. ووجد الخبراء أن أبعاد الحفرة تتفق مع آثار قنبلة يتراوح وزنها بين 500 رطل و1000 رطل، وقاموا بمقارنة أبعادها وشكلها بأبعاد الحفر الأخرى المرئية في جميع أنحاء غزة ووجدوا أنها متسقة مع بعضها البعض.

شبكة الحفر التي تم تحديدها في شمال غزة، والتي من المحتمل ان تكون ناجمة عن ذخائر تم إسقاطها من الجو. (رسم توضيحي للهندسة المعمارية الجنائية).

المستشفيات: مستشفى القدس

قدم الفريق القانوني «الإسرائيلي» الدليل رقم 2 للادعاء بأن مستشفى القدس تم استخدامه لأغراض عسكرية، وبالتالي كان استهدافه مع المستشفيات الأخرى مبررًا.

اللقطات التي استمدت منها الصورة، كانت تحتوي على خطوط وتعليقات تشير إلى الحدود المزعومة للمستشفى وموقع المقاتل الفلسطيني. وعند عرض هذه الصورة ادعى الفريق القانوني الإسرائيلي:

«في الصورة، أحد المسلحين يدخل إلى مستشفى القدس ومعه قذيفة آر بي جي. أطلقت حماس النار على قوات الجيش الإسرائيلي من مكان قريب، ومن داخل مستشفى القدس».

الدليل رقم 2: مستشفى القدس

هذه الصورة مستمدة من مقطع فيديو نشره جيش الاحتلال الإسرائيلي كجزء من بيان صحافي، بتاريخ 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023. والفيديو الكامل يتألف من ثلاثة مقاطع تظهر مواجهات عسكرية في محيط المستشفى.
قام الخبراء بالبحث عن صور للمستشفى وتحليلها بحثًا عن دلائل تشير إلى حدود المستشفى. ووجدوا أن المستشفى يتكون من ثلاثة مبانٍ رئيسية، يحمل كل منها ألقابًا واضحة، وأنه تم تضمين مبنيين شمال مجمع المستشفى بشكل مضلل في شرح الجيش الإسرائيلي لحدود المستشفى. أحد المبنيين هو عبارة عن مبنى تجاري وسكني متعدد الاستخدامات، وفي الطابق الأرضي من المبنى لافتة تجارية لمحل بيع الحلويات.
كما أن الصور الجوية للمستشفى التي نشرتها الجزيرة وسي إن إن تعزز النتائج التي توصل إليها الخبراء في ما يتعلق بالحدود الصحيحة لمجمع المستشفى، إذ تظهر رمز الهلال الأحمر البارز الموجود على كل من مباني المستشفى الثلاثة، فيما لا وجود للرمز على المبنيين المدرجين في المخطط العسكري الإسرائيلي لحدود المستشفى.

تعليق توضيحي على الصورة المقدمة إلى محكمة العدل الدولية من قبل الفريق الإسرائيلي مع تصحيح الحدود باللون الأحمر. (رسم توضيحي للهندسة المعمارية الجنائية).

مبنى شمال مستشفى القدس. اللافتة التي مكتوب عليها "الحلويات" هي اللافتة السوداء الموجودة في الطابق الأرضي من المبنى المنقط. (رسم توضيحي للهندسة المعمارية الجنائية).
إلى ذلك، فحص الخبراء العناصر والادعاءات الأخرى الواردة في البيان الصحفي الصادر في 13 تشرين الثاني - نوفمبر 2023 وفي الفيديو الذي تم اشتقاق الدليل رقم 2. في الفيديو، لم يتم العثور على المقاتل الفلسطيني، الذي أشار إليه الفريق القانوني الإسرائيلي، يدخل المستشفى في أي وقت.
كما ادعى الجيش الإسرائيلي أن المقذوف الذي ظهر في الفيديو، والذي شوهد مع أثر دخان في لقطات الطائرة بدون طيار، تم إطلاقه من مستشفى القدس. ولكن من خلال نموذج ثلاثي الأبعاد للمستشفى ومحيطه المباشر، ومع «مطابقة الصور» من مقطع الفيديو لإعادة بناء مسار المقذوف، تبين للخبراء أن المسار الممتد، الموضح باللون الأحمر في الصورة أدناه، لا يمكن أن يكون قد نشأ من المستشفى.

صورة القمر الاصطناعي للمستشفى. مسار القذيفة المعاد تشكيله مُشار إليه باللون الأحمر، وموقع الدبابة الإسرائيلية مُشار إليه بخط أبيض متقطع، وحدود المستشفى مُشار إليها بخط أبيض متصل. (رسم توضيحي للهندسة المعمارية الجنائية).

المستشفيات: مستشفى الشفاء

قدم الفريق القانوني الإسرائيلي الدليل رقم 3 لدعم حجته بأن مستشفى الشفاء كان هدفًا عسكريًا مشروعًا. هذا الشكل مركب من صورة قمر صناعي (مع تعليق توضيحي على شكل دائرة يدعي أنه موقع عمود النفق) وصورة ملتقطة بطائرة بدون طيار تظهر عمود النفق. وأثناء عرض هذه الصورة، أوضح الفريق القانوني الإسرائيلي ما يلي:
«وفي مستشفى الشفاء، أدارت حماس العمليات من منطقة مغلقة. هنا يمكن رؤية فتحة للنفق الذي يمتد لمئات الأمتار مباشرة تحت المستشفى».

الدليل رقم 3: مستشفى الشفاء

زعم الفريق القانوني الإسرائيلي أن النفق يمتد لمسافة «مئات الأمتار مباشرة تحت المستشفى» وأن طوله يبلغ 55 مترًا. حدّد الخبراء موقع عمود النفق، ووجدوا أن لا تطابق بين أي من المناطق المستهدفة في الضربات المباشرة الـ 11 على مستشفى الشفاء مع موقع فتحة النفق أو أقسام المستشفى التي ادعى الجيش الإسرائيلي أن هناك نفقًا يمتد تحتها. كما وجدوا أن الحجم الفعلي للنفق ومداه لا يتوافقان مع الرسوم التوضيحية التي نشرها الجيش الإسرائيلي وتم إنشاؤها بواسطة الكمبيوتر.

المدارس: مدرسة بيت حانون التابعة للاونروا

قدم الفريق القانوني الإسرائيلي الدليل رقم 4 لدعم ادعائه بأن المقاتلين الفلسطينيين شاركوا في إطلاق النار الحي من مدرسة تابعة للأمم المتحدة. وكتبوا: «هنا يمكن رؤية المسلحين يطلقون النار من مدرسة تابعة للأمم المتحدة. يمكنك رؤية الحروف "UN" على السطح والنار، محاطة بدائرة حمراء.

الدليل رقم 4: مدرسة بيت حانون التابعة للاونروا

استخدم الفريق القانوني الإسرائيلي الدليل رقم 4 ليجادل بأن الملاجئ والمدارس الأخرى التي استهدفتها فقدت وضعها المحمي، وبالتالي فهي أهداف عسكرية مشروعة. وكما فعلوا مع المستشفيات، استخدم الفريق القانوني الإسرائيلي حالات فردية، هي نفسها غير مثبتة ومشكوك فيها، لتفادي المسؤولية عن كل استهدافات المدارس والملاجئ في غزة.
وجد الخبراء أن مستوى الدمار حول المدرسة قبل ثلاثة أسابيع من التقاط الفيديو يشير إلى مستوى عال من النشاط العسكري الإسرائيلي، مما يجعل من غير المرجح أن يكون المبنى قد تم استخدامه كمدرسة أو ملجأ خلال تلك الفترة.
خريطة القمر الاصطناعي لمحيط المدرسة في 30 نوفمبر 2023

مع الصورة التي قدمها الفريق الإسرائيلي أمام محكمة العدل الدولية (أعلى اليسار). (رسم توضيحي للهندسة المعمارية الجنائية).

المباني السكنية المدنية

قدم الفريق القانوني «الإسرائيلي» الدليل رقم 5 للادعاء بأن المقاتلين الفلسطينيين كانوا يستخدمون المباني السكنية لأغراض عسكرية:
«يتم إساءة استخدام المنازل والمدارس والمساجد ومرافق الأمم المتحدة والملاجئ كلها لأغراض عسكرية من قبل حماس، بما في ذلك استخدامها كمواقع لإطلاق الصواريخ [...] في الصور المعروضة، يمكنك رؤية أحد المسلحين وهو يقوم بإعداد المقذوفات لإطلاقها على قوات جيش الدفاع الإسرائيلي في غزة. يمكنك رؤية الثقوب الموجودة في المنزل السكني لإخفائها وإطلاقها».

الدليل رقم 5: مبنى سكني مدني

في التحليل الجنائي تبين أن المنطقة التي تم التقاطها هي منطقة ريفية ذات كثافة سكانية منخفضة، وتتكون بشكل أساسي من أراضي زراعية. وفي وقت تسجيل الفيديو، كان الجيش «الإسرائيلي» يسيطر على الأرض في المنطقة التي تم التقاطها في الفيديو.
ووجد الخبراء أنه من غير المرجح أن يكون المبنى الموجود في الصورة التي عرضها الفريق القانوني «الإسرائيلي» قيد الاستخدام من قبل المدنيين أو كان ملجأ مدنيًا.
تحديد الموقع الجغرافي لأحد المقاطع (أعلى اليمين) من الفيديو الذي يشتق منه الدليل رقم 5. (رسم توضيحي للهندسة المعمارية الجنائية)

استهداف منشآت الامم المتحدة

قدم الفريق القانوني «الإسرائيلي» الدليل رقم 6 للادعاء بأن الفلسطينيين أطلقوا صاروخًا من منطقة قريبة من منطقة إنسانية ومنشأة تابعة للأمم المتحدة في رفح. وعند عرض هذه الصورة ادعى الفريق:
«يمكنك رؤية مثال واحد لموقع إطلاق مجاور للمنطقة الإنسانية».

الدليل 6: المنطقة الإنسانية في رفح

الدليل 6 مستخرج من مقطع فيديو نشره الجيش الإسرائيلي في 7 كانون الأول/ديسمبر 2023، ويعرض الموقع قبل وبعد الإطلاق. لكن الفيديو لا يظهر لحظة الإطلاق الفعلي. يقع الموقع أيضًا خارج حدود «المنطقة الإنسانية» المشروحة، في منطقة غير مأهولة بالسكان على بعد 210 أمتار من منشاة الأمم المتحدة و85 مترًا من المخيم.
وجد الخبراء أن حدود «المنطقة الإنسانية» البيضاء في الدليل رقم 6 لا تتسق مع البيانات الواردة من أي مصادر أخرى. علاوة على ذلك، فإن الخط الأبيض الذي يحدد «المنطقة الإنسانية» لا يتوافق مع أي من الكتل الـ 600 التي قسّم الجيش الإسرائيلي إليها قطاع غزة لتسهيل إجلاء المدنيين. ووجد الخبراء أن شكل ومعايير هذه الحدود مضللة ومخادعة في سياق تجاهل إسرائيل الموثق لـ«المناطق الإنسانية» التي حددتها.

اوامر الإخلاء والمناطق الآمنة

قدم الفريق القانوني «الإسرائيلي» الدليل رقم 7 والدليل رقم 8 في محاولة لدحض الادعاء الذي قدمه الفريق القانوني لجنوب أفريقيا بأن الطريقة التي أمرت بها إسرائيل بعمليات الإخلاء كانت تهدف إلى إحداث تدمير جسدي للفلسطينيين. وإلى جانب الدليل رقم 7، أدلى الفريق القانوني الإسرائيلي بالبيان التالي:
«ويحتفظ جيش الدفاع الإسرائيلي بوحدة لتخفيف الأضرار

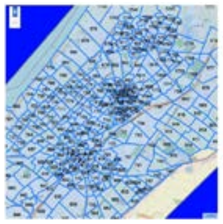

المدنية للقيام بهذه المهمة. وهي تعمل بدوام كامل لتوفير إشعار مسبق بالمناطق التي ينوي الجيش الإسرائيلي تكثيف أنشطته فيها، وتنسيق طرق السفر للمدنيين وتأمين هذه الطرق. وقد قامت هذه الوحدة بوضع خريطة تفصيلية بحيث يمكن إخلاء مناطق محددة بشكل مؤقت، بدلاً من إخلاء مناطق بأكملها. في الصورة التي أمامك، يمكنك رؤية تلك الخريطة، مقسمة إلى مناطق، بالإضافة إلى لقطة شاشة لمقطع فيديو يشرح النظام باللغة العربية حتى يتمكن المدنيون من فهمه. ويفرض الجيش الإسرائيلي أيضًا فترات توقف محلية في عملياته للسماح للمدنيين بالتحرك. وهو يفعل ذلك على الرغم من أن حماس لا توافق على فعل الشيء نفسه، بل إنها هاجمت قوات الجيش الإسرائيلي التي تؤمن الممرات الإنسانية».
بالنسبة للدليل رقم 8، ادعى الفريق القانوني الإسرائيلي:
«هنا يمكنك رؤية حساب تويتر باللغة العربية التابع للجيش الإسرائيلي، والذي يوفر معلومات للمدنيين لإخلاء مناطق محددة، بما في ذلك موقع الملاجئ القريبة».

الدليل 7: خريطة شبكة غزة التي نشرها الجيش الإسرائيلي

وجد التحليل الجنائي أن هذه الخريطة كانت قيد الاستخدام بالفعل من قبل الجيش الإسرائيلي في وقت مبكر من 7 أكتوبر 2023 للتخطيط العسكري والإنشائي قبل سنوات.

الدليل 8: امر الإخلاء على تويتر

يقدم الدليل رقم 8، الذي نُشر لأول مرة في 13 كانون الأول/ ديسمبر 2023، مثالاً للتعليمات غير الكاملة والخاطئة والمضللة التي نشرها الجيش الإسرائيلي. وفي هذه الصورة وجدنا التناقضات التالية:
تم إدراج الكتلة 55 ولكنها غير ممثلة في الخريطة.
تم إدراج الكتلة 99 ولكنها غير مغطاة بالكامل في الخريطة.
كلا المربعين 100 و63 مغطيان جزئيا، على الرغم من عدم إدراجهما في تعليمات الإخلاء المكتوبة.

فلسطين

عقيدة جيش العدو الإسرائيلي

قتل أكبر عدد ممكن من المدنيين

منير شحادة *

لماذا تعتمد «إسرائيل» في حروبها، منذ تكوينها، على المجازر والتدمير الممنهج؟ ولماذا تتقصّد قتل اكبر عدد ممكن من المدنيين؟ سؤال توضح الإجابة عنه حقيقة ومنهجية تفكير هذا الكيان الذي أصبح، بعد عدوانه على المدنيين في غزة ولبنان، منبوذا عالمياً من ملايين البشر حتى في اوروبا والولايات المتحدة.

البداية من نشأة هذا الكيان الذي بُني على احتلال أرض الغير وطرد شعب بكامله منها بناء لعقيدة دينية عمرها الاف السنين، واستناداً إلى وعد من «لورد» بريطاني (آرثر بلفور) يقطن على بعد الاف الكيلومترات من أرض وعدهم بها ولا يملكها.

العقيدة القتالية العسكرية

تتمحور عقيدة اسرائيل العسكرية حول الحاجة إلى قتال مستمر. في خمسينيات القرن الماضي بدأ دافيد بن غوريون، رئيس أوّل حكومة لدولة الاحتلال ووزير دفاعها، العمل على بلورة العقيدة الأمنيّة الإسرائيلية وفقاً للظروف الجيوسياسية المتعلقة بتلك المرحلة. وارتكزت تلك العقيدة

> **الدعم اللا محدود لاسرائيل من اميركا والغرب يجعل ضباط وجنود جيشها لا يحسبون حساباً لمصروف الذخيرة ويفرطون في استعمالها**

على عدد من الأمور أهمها:

- تعزيز قوّة الردع.
- استخدام الحرب الوقائيّة.
- حسم المعركة بسرعة كبيرة.

وهي ركائز وضعت نصب عينيها استحالة قيام إسرائيل بالدفاع عن حدودها نظراً لافتقارها إلى العمق الإستراتيجي، ما يعني نقل المعركة إلى أرض «العدو» واحتلال أماكن فيها لتحقيق مكاسب سياسية لاحقاً. ومنذ نشأتها عام 1948 واحتلالها لأرض فلسطين، باشرت اسرائيل بارتكاب مجازر في حق سكان القرى والبلدات (صدر مؤخراً وثائقي يعرض مقابلات مع عسكريين اسرائيليين يتحدثون بوقاحة عن كيفية ارتكابهم تلك المجازر)، لترويعهم وإجبارهم على النزوح ونشر أخبار هذه المجازر أينما حلوا كخطة لتهجير أكبر عدد ممكن من السكان الأصليين.

حَدَث تهجير الفلسطينيين سنة 1948 عندما نُزِح أو طُرِد أكثر من 700,000 فلسطيني - قُرابة نصف سكان فلسطين - من بيوتهم. كان التهجير عاملاً مركزيًا في تشتيت المجتمع الفلسطيني، وإلاستيلاء على مُمتَلَكاته، وإبعاده عن ارضه، وهو ما يُعرَف باسم النكبة التي شملت تدمير ما يراوح بين 400 و600 قرية فلسطينية، إضافة إلى تَهْويد التاريخ الفلسطيني. ويشير مصطلح النكبة أيضًا إلى الفترة التي تزيد مدتها عن مدة الحرب نفسها والاضطهاد الذي جاء بعد الحرب والمستمرّ حتى يومنا. وقد كانت مجزرة دير ياسين نقطة تحول في تدمير الساحة السياسية العربية حسب ما يرى عالم السياسة الأسرائيلي ميرون بنفنستي.

«جيش لا يُقهر ولا يُحاسب»؟

هناك قناعة راسخة لدى القادة الاسرائيليين وصولاً إلى أصغر جندي بأن الجيش الاسرائيلي لا يُقهر ولا يُحاسب. إذ لم يحاسب على أي من المجازر الموصوفة التي ارتكبها في كل الحروب التي خاضها، رغم الاستعمال المفرط للأسلحة بشكل غير متناسب. وهناك دائماً دعم دولي بواسطة جسور جوية وبحرية يأتي انواع الأسلحة، وبمواقف معلنة تتحدث عن حق اسرائيل في الدفاع عن نفسها، وبالاقيها دعم إعلامي عالمي تسيطر الصهيونية العالمية على معظمه، ما جعل الجيش الإسرائيلي يُمعن في ارتكاب المجازر والتدمير والإستمرار في الإستعمال المفرط للأسلحة.

الجدير ذكره أن هذا الكيان يقف اليوم، للمرة الاولى في تاريخه، أمام العدالة الدولية في محكمة العدل الدولية، ليحاكم في ارتكاب جرائم ابادة جماعية في حربه على غزة، بموجب دعوى تقدمت بها جنوب أفريقيا، وقد أصدرت المحكمة قرارات احترازية فيها شبه إدانة لهذا الكيان. لكن تصريح رئيس الوزراء الاسرائيلي بأن اسرائيل غير معنية بما يجري في هذه المحكمة، يؤكد استعلاء اسرائيل المستمر واظهار نفسها فوق القانون وفوق اي قرارات دولية، من دون أن نغفل الدعم اللامحدود الذي تتلقاه من الولايات المتحدة (تحصل اسرائيل على 55% من موازنة مساعدات التسليح الأميركية للدول الحليفة) والغرب في كل المجالات، تسليحياً ومادياً واقتصادياً، ما يجعل من ضباطها وجنودها لا يحسبون اي حساب لمصروف الذخيرة ويفرطون في استعمالها، وهو ما يؤدي إلى مجازر.

أما التدمير الممنهج الذي تتبعه اسرائيل في كل حروبها منذ النكبة، في فلسطين المحتلة وفي الحروب التي شنتها على لبنان وفي الجولان المحتل وإلى يومنا هذا، فيهدف إلى فرض امر واقع بصعوبة العودة، لتصل الى هدفها الأساسي وهو اللاعودة.

حالة حرب دائمة

العامل الأساسي الذي يجعل من الجيش الاسرائيلي أداة قتل وارتكاب جرائم، بكمن في مقولة تُتداول على نطاق واسع في إسرائيل، بخاصة في الأوساط السياسية والعسكرية، وهي أن الجيش الإسرائيلي هو دائماً في حالة حرب: إما أنه يقاتل فعلياً على الجبهة او يستعدّ للحرب المقبلة. وتنسب هذه المقولة للجنرال والمفكر العسكري الألماني البروسي كارل فون كلاوزفيتش (1780-1831)، لكن إسرائيل تبنّتها حرفياً وطبّقتها عملياً، وهي تلخّص مجموعة من الحقائق. إذ تؤكّد أن هذه الدولة المزروعة في قلب الوطن العربي محاطة ببيئة معادية من دول وتنظيمات وشعوب، وتعكس كذلك النزعة العدوانية العسكرية لدولة إسرائيل التي إن لم تجد عدواً فعلياً، تبادر إلى اختراعه، كما تكشف الدور الوظيفي الموكل لهذه الدولة من المراكز الغربية الرأسمالية، وهو دور عسكري وأمني بامتياز، ما يعطي الجيش الإسرائيلي دوراً محورياً في تسيير شؤون الدولة ورسم ملامحها والتأثير على سماتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

صناعة الأسلحة و تسويقها

توجد في إسرائيل نحو 1000شركة متخصّصة في إنتاج الأسلحة وتسويقها وبيعها، تستقطب ضباط الجيش وخبراءه المُسرّحين. وتمثل الصناعات العسكرية الإسرائيلية المرتبطة بالتكنولوجيا الحديثة رافعةً للاقتصاد الإسرائيلي، وتوفّر أيضاً مدخلاً لتعزيز النفوذ الإقليمي والدولي لإسرائيل. وهذا يعد دافعاً إضافياً لدى اسرائيل لاختراع حروب تكون حقول تجارب لهذه الأسلحة. ويتم التسويق للصناعات الإسرائيلية، عند بيعها للشركات والحكومات العالمية، باستخدام عبارة «تم اختبارها في المعركة». وذكر تقرير لـ«بوليتزر سنتر»، نُشر عام 2016، ان اسرائيل تقوم بتجربة الأسلحة في الضفة الغربية وغزة قبل عرضها في السوق الدولية على انها أسلحة ثبتت فعاليتها في المعركة. وفي عام 2022، انفقت اسرائيل 23,4 مليار دولار على جيشها وفقاً لمعهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام، ما يجعلها ثاني اكبر منفق في العالم في ما يتعلق بنصيب الفرد. وصدّرت اسرائيل منتجات دفاعية بقيمة قياسية بلغت 12,556 مليار دولار عام 2022 ما يمثل زيادة 55% عن الأعوام السابقة، علماً أنها تملك عدداً من مصانع الأسلحة في عدد من الدول كالهند.

عنصرية التعاليم الدينية

نصل هنا الى الدليل الواضح والقاطع على أن العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية، هي وراء تقصّد الجيش الإسرائيلي في ارتكاب المجازر والتدمير الممنهج في كل حروبه. يدخل ذلك في تكوين عقيدة الشعب الاسرائيلي منذ الولادة، والتي تجعل من كل فرد كائناً مليئاً بالحقد والكراهية والإستعلاء واحتقار كل ما هو غير يهودي.

* منسّق الحكومة اللبنانية السابق لدى قوات الطوارئ الدولية والرئيس السابق للحكمة العسكرية

ملخص دراسة تأصيلية عن العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية

تتناول هذه الدراسة «العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية»، وهي اعتمدت الدراسة على تأصيل هذه الظاهرة من خلال تعاليم العهد القديم التي جعلت اليهودي مقدساً عند الله واليهود شعب الله المختار الذين اختصهم الله له دون غيرهم. وقد تربت أجيال من اليهود على كراهية الغير استناداً إلى تعاليم عنصرية تطفح بها كتبهم المقدسة، حول التعالي اليهودي وكراهية الاغيار وإباحة ممارسة الإرهاب والعنف تجاه غير اليهود والدعوة إلى القضاء عليهم وإبادتهم.

من بعد هذه الدراسة الملخصة عن العنصرية اليهودية يصبح من الواضح سبب جنوح الجيش الاسرائيلي إلى ارتكاب المجازر وتقصده تدمير البشر والحجر.

(من الويب)

محاكم بلجيكية وإسبانية وبريطانية ونيوزيلندية وهولندية تلاحق إسرائيليين

ضغطٌ قضائيّ دولي غير مسبوق على كيان الاحتلال

لونا فرحات

يعدّ مبدأ الاختصاص القضائي العالمي إحدى الأدوات الأساسية لضمان منع وقوع انتهاكات للقانون الدولي الإنساني ومعاقبة مرتكبيها عبر فرض عقوبات جنائية عليهم. وملاحقة هؤلاء تتم على مستويين: المستوى الدولي ويتمثل بالمحكمة الجنائية الدولية أو المحاكم الجنائية الخاصة، والمستوى الثاني تتولاه المحاكم الوطنية، وكلاهما يكملان بعضهما بعضاً. فالمحكمة الجنائية الدولية لن تقوم بمهامها إلّا على نحو تكميلي، أي عندما تتعذّر إقامة العدل على الصعيد الوطني. إذ سيظلّ العبء الأساسي لمقاضاة الأشخاص الذين يُنسب إليهم ارتكاب تلك الجرائم، ملقى على عاتق النظم القانونية الوطنية عبر ممارستها لما يُعرف باسم الولاية القضائية العالمية التي تستند حصراً إلى طبيعة الجريمة. وبناء عليها، تستطيع المحاكم الوطنية أن تمارس الولاية القضائية العالمية لملاحقة الجرائم الخطيرة المقررة بموجب القانون الدولي والمعاقبة عليها، وبالتالي ردعها، دفاعاً عن المصالح والقيم الأساسية للمجتمع الدولي ككل. ويعترف القانون الدولي بالدور الحاسم الذي تلعبه النظم القانونية الوطنية في وضع حدّ لحالات الإفلات من العقاب ويعتبرها وسيلة حاسمة لتحقيق العدالة.

يُعرّف مبدأ الاختصاص العالمي للمحاكم الوطنية بأنه مبدأ قانوني يسمح لدولة أو يطالبها بإقامة دعوى قانونية جنائية في ما يختص بجرائم معينة، بصرف النظر عن مكان ارتكاب الجريمة وجنسية مرتكبيها أو الضحية، وبموجبه تستطيع الدول ملاحقة أي شخص ارتكب جريمة دولية خارج حدودها ومحاكمته أمام محاكمها الوطنية، سواء أكان من مواطنيها أم من الأجانب، وتشير منظمة العفو الدولية إلى أن 163 دولة من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة البالغ عددها 193 «يمكنها ممارسة الولاية القضائية العالمية على جريمة واحدة أو أكثر بموجب القانون الدولي أو بموجب القانون الوطني» (منظمة العفو الدولية، الولاية القضائية العالمية: مسح أولي للتشريعات حول العالم – تحديث 2012).

ففي سبيل المثال، يعرف قانون الجرائم الدولية لعام 2000 في نيوزيلندا جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية وفقاً لاتفاقيات جنيف ونظام روما الأساسي، وينص القسم 8 (1) (ج) منه على جواز محاكمة الأفراد في نيوزيلندا عن هذه الجرائم بغض النظر عن «(1) جنسية الشخص المتهم؛ أو (2) ما إذا كان أي فعل يشكل جزءاً من الجريمة قد وقع في نيوزيلندا أم لا؛ أو (3) ما إذا كان الشخص المتهم موجوداً في نيوزيلندا أم لا وقت وقوع الفعل الذي يشكل الجريمة أو في وقت اتخاذ قرار لاتهام الشخص بارتكاب جريمة. وتعدّ كندا مثالاً آخر على الدولة التي توفر ممارسة محلية للولاية القضائية العالمية. وفي قانون الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب لعام 2000 بالنسبة إلى الإبادة الجماعية أو الجرائم ضد الإنسانية أو جرائم الحرب على النحو المحدد في القانون، تنص المادة 9 (1) منه على ما يلي: يجوز بدء الإجراءات في أيّ قسم إقليمي في كندا في ما يتعلق بتلك الجرائم «التي يُزعم أنها ارتكبت خارج كندا والتي يمكن محاكمة الشخص عليها بموجب هذا القانون (...) سواء أكان الشخص موجوداً في كندا أم لا».

الصلاحية العالمية للمحاكم الوطنية

القانون الدولي الجنائي جعل الصلاحية القضائية العالمية إلزامية في عدد من الجرائم، كما قرّر عدم سقوطها بالتقادم وضرورة ملاحقتها من قبل الدول. وهذه الجرائم هي:

1- جرائم الحرب: حدّدت اتفاقيات جنيف لعام 1949 المتعلقة بالنزاعات المسلحة الدولية، في موادها (49، 50، 129، 146 المشتركة)، والمادة (85) من البروتوكول الأول لعام 1977 ما جاء في المادة الثامنة من نظام روما للمحكمة الجنائية الدولية التي نصّت على عدد من الانتهاكات التي تقع زمن النزاعات المسلحة غير الدولية، والتي تعد جميعها جرائم حرب.

فقد نصت المادة 146 من اتفاقية جنيف الرابعة لحماية المدنيين على «تعهد الأطراف السامية المتعاقدة بأن تتخذ أي إجراء تشريعي يلزم لفرض عقوبات جزائية فعّالة على الأشخاص الذين يقترفون أو يأمرون باقتراف إحدى المخالفات الجسيمة لهذه الاتفاقية، المبينة في المادة التالية. ويلتزم كل طرف متعاقد بملاحقة المتهمين باقتراف مثل هذه المخالفات الجسيمة أو بالأمر باقترافها، وبتقديمهم إلى محاكمة، أيا كانت جنسيتهم. وله أيضاً، إذا فضّل ذلك، وطبقاً لأحكام تشريعه، أن يسلمهم إلى طرف متعاقد معني آخر لمحاكمتهم ما دامت تتوافر لدى الطرف المذكور أدلة اتهام كافية ضد هؤلاء الأشخاص.

وحددت المادة 147 من ذات الاتفاقية المخالفات الجسيمة، وهي التي تتضمن احد الأفعال التالية إذا اقترفت ضد أشخاص محميين أو ممتلكات محمية بالاتفاقية: القتل العمد، والتعذيب أو المعاملة اللاإنسانية، بما في ذلك التجارب الخاصة بعلم الحياة، وتعمد إحداث آلام شديدة أو الإضرار الخطير بالسلامة البدنية او بالصحة، والنفي أو النقل غير المشروع، والحجز غير المشروع، وإكراه الشخص المحمي على الخدمة في القوات المسلحة في الدولة المعادية، أو حرمانه من حقه في أن يحاكم بصورة قانونية وغير متحيزة وفقاً للتعليمات الواردة في هذه الاتفاقية، وأخذ الرهائن، وتدمير الممتلكات واغتصابها على نحو لا تبرّره ضرورات حربية وعلى نطاق كبير بطريقة غير مشروعة وتعسفية.

2- الجرائم ضد الإنسانية: وفقاً لما جاء في المادة السادسة من نظام المحكمة الجنائية الدولية.

3- جريمة إبادة الجنس: وفقاً لما جاء في المادة الخامسة من نظام المحكمة الجنائية.

وثمة مواثيق دولية أخرى تنص على التزام مماثل على الدول الأطراف بفرض شكل من أشكال الولاية القضائية العالمية في محاكمها في ما يتعلق بالانتهاكات الخطيرة للقواعد المنصوص عليها في هذه المواثيق. منها، على سبيل المثال، اتفاقية لاهاي لعام 1954 لحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح وبروتوكولها الثاني لعام 1999، واتفاقية عام 1984 لمناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة او العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، والاتفاقية الدولية لعام 2006 بشأن حماية جميع الأشخاص من الاختفاء القسري.

> **منذ 2005 عمدت وزارات القضاء والخارجية والامن الإسرائيلية إلى القيام بتحركات قانونية وسياسية للتصدّي للدعاوى التي ترفع في اوروبا ضدّ مسؤولين إسرائيليين**

ملاحقة «إسرائيليين» في المحاكم الوطنية

في كانون الثاني/يناير 2024، أعلن مكتب المدعي العام السويسري الفدرالي عن تلقيه شكاوى ضد رئيس الكيان الإسرائيلي إسحاق هرتسوغ أثناء تواجده في مؤتمر دافوس في سويسرا، تقدمت بها مجموعة تسمي نفسها «الإجراءات القانونية ضد الجرائم ضد الإنسانية». وصرّحت هذه المجموعة بانها تأمل في فتح تحقيق جنائي بالتوازي مع الإجراءات المتخذة أمام محكمة العدل الدولية، وانها «على قناعة بأن سويسرا ملزمة بإجراء تحقيق». وقدّمت المجموعة شكاوى أمام مدعين فدراليين وسلطات سانتونات بازل وبرن وزيوريخ. وأعلن الادّعاء العام أنه سيتم النظر في الشكاوى من دون إعطاء مزيد من التفاصيل. وتعتبر سويسرا من بين أولى الدول التي ضمّت تشريعاتها الداخلية مواد قانونية تتيح ملاحقة مرتكبي جرائم الحرب، وقد تبنّت قانوناً عام 2009 يهدف إلى تعزيز ممارسة الولاية القضائية العالمية، وبجعل نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية بمنزلة قانون وطني، والهدف هو مكافحة الإفلات من العقاب لكلّ من مرتكبي جرائم الحرب والإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية. ويعتبر قانونها من بين القوانين المرنة في هذا المجال، إذ لا يتطلّب توافر ارتباط وثيق بين المشتبه به والدولة لتقوم بأعمال التحقيق، بل يكفي أن يكون الشخص قد خالف القواعد القانونية الواردة في نظام روما الأساسي لتتم ملاحقته. ويتيح القانون توقيف المشتبه به بمجرد دخوله الأراضي السويسرية من دون اشتراط أن يكون مقيماً أو له أيّ عقار داخل الدولة.

الشكوى المقدمة ضد رئيس الكيان الصهيوني لم تكن الأولى أمام القضاء السويسري. فقد نُظر سابقاً في دعاوى تقدمت بها منظمات حقوقية معنية بحقوق الفلسطينيين في سويسرا ضد رئيس الوزراء السابق إيهود أولمرت بتهمة ارتكاب جرائم حرب خلال عملية «الرصاص المصبوب» في قطاع غزة عام 2008. وفي تموز 2019، وحرصاً على تجنّب الاعتقال بتهمة ارتكاب جرائم حرب، ألغى أولمرت زيارة له إلى سويسرا بعدما تلقّت وزارتا الخارجية والعدل الإسرائيليتان بياناً من السلطات السويسرية يفيد بأنه سيتم استجوابه للاشتباه في ارتكابه جرائم حرب. ومن بين السوابق القضائية ضد مسؤولين إسرائيليين في بعض الدول الأوروبية، الدعاوى التي رفعت أمام:

- القضاء البلجيكي ضد رئيس الوزراء السابق أرييل شارون في حزيران 2001.
- القضاء البريطاني ضد اللواء المتقاعد دورون ألموغ في أيلول / سبتمبر 2005. واضطر دورون إلى قضاء بعض الوقت في الطائرة التي كانت تقلّه من تل أبيب إلى لندن قبل أن يعود أدراجه من حيث أتى، لأن محكمة بريطانية أصدرت أمراً باعتقاله بتهمة ارتكاب مخالفات جسيمة لاتفاقيات جنيف لسنة 1949.
- القضاء النيوزلندي ضد رئيس هيئة الأركان موشيه يعلون في تشرين الثاني/ نوفمبر 2006.
- القضاء الإسباني ضد بنيامين بن أليعيزر ودان حالوتس في شباط/ فبراير 2009.
- في 2009/9/29 كاد أن يصدر أمر باعتقال رئيس الوزراء السابق إيهود باراك أثناء زيارته لبريطانيا بدعوة من حزب العمل. إذ أرسلت محكمة بريطانية كتاباً إلى الحكومة تطالب بتوضيح طبيعة الزيارة وفي ما إذا كانت رسمية أم شخصية، فجاء التوضيح أنها رسمية، ما يعني تمتّع الزائر بحصانة دبلوماسية.
- في 2008/12/14، أصدرت محكمة بريطانية أمراً باعتقال وزيرة الخارجية السابقة تسيبي ليفني بتهمة ارتكابها جرائم حرب فألغت زيارتها للندن.
- في أيار 2008، قُدّم طلب إلى محكمة هولندية لإصدار أمر باعتقال رئيس الشاباك السابق عامي أيالون بتهمة تعذيب فلسطيني أثناء اعتقاله. ولم يتحرّك المدعي العام فوراً بسبب تأخّر صدور قرار مجلس المدعين العامين حول ما إذا كان إيالون يتمتع بالحصانة له أم لا. وقد قرر المجلس بأن الحصانة لا تشمله، إلا أنّ القرار جاء بعد 21 يوماً من الطلب كان إيالون قد غادر الأراضي الهولندية خلالها.
- مطلع عام 2009، قبلت محكمة إسبانية دعوى ضد سبعة قادة إسرائيليين بينهم بنيامين بن اليعازر وموشيه يعلون ودان حالوتس وغيورا إيلان. وحذر المستشار القضائي في وزارة الدفاع الإسرائيلية مسؤولين من احتمال تعرّضهم للاعتقال إذا زاروا إسبانيا، بعد دعوى قضائية قدمها مركز حقوقي فلسطيني طالباً بمحاكمتهم بتهمة ارتكاب مجزرة في غزة عام 2002. وعُلم أن المدّعي العام طلب من المحكمة الاستفسار من تل أبيب عن حيثيات القضية.

وتعود فصول المجزرة إلى تموز 2002 في غزة، عندما كان سكان حي الدرج المكتظ على موعد مع قنبلة تزن أكثر من نصف طن أطلقتها طائرة إف 16 إسرائيلية فوق بيوتهم. قتلت الغارة قائد كتائب عز الدين القسام صلاح شحادة إضافة إلى 18مدنياً بينهم ثمانية أطفال أحدهم بعمر الشهرين، فضلاً عن تدمير 11 منزلاً بشكل كلي.

(من الويب)

على الموقع الإلكتروني

تخوّف إسرائيلي من صلاحية المحاكم الاوروبية

سين جيم

التنظيم القانوني للمقابر... أين الأحياء؟

أين يدفن اللبنانيون موتاهم بعد غلاء القبور؟

صادق علوية

في ظل ارتفاع أسعار كل شيء، إلا الإنسان، والزيادة الهائلة في كلفة المعيشة، شهدت أسعار القبور ارتفاعاً هائلاً. فهل للقبور والمدافن تنظيمات قانونية تقتضي مراعاتها؟ وهل يطال هذا الإهمال كله الذي نحيا به ونعيش معه في هذه الدولة القبور أيضاً؟ من المؤكد وجود تنظيمات قانونية ترعى شؤون المقابر والمدافن وإن كانت قديمة أو ربما بالية جداً، ولكنها تنظيمات تناولت أدقّ التفاصيل ومنها عمق الحفر في المقابر، عسى أن تحدد القوانين عمق الحفر التي يعيش فيها الأحياء بلا خدمات عامة في لبنان

يعود المرسوم الاشتراعي الرقم 1932/16 الذي ينظم الشؤون الصحية العامة إلى عهد الانتداب، إذ وقّعه رئيس الجمهورية شارل دباس «مدير الصحة والإسعاف العام» كامل غرغور قبل أن يصدّقه المفوض السامي الفرنسي. أكثر من 91 عاماً وثمانية أشهر مرّت على صدور هذا القانون من دون أن «يتقاعد» أو يُعدّل رغم غرابة أحكامه وتعابيره في أيامنا هذه.

مرجعية القائمقام والبلدية

نصت المادة 35 من المرسوم الاشتراعي الرقم 59/116 المتعلّق بالتنظيم الإداري على صلاحية القائمقام لإعطاء الرخص التي تنص عليها القوانين والأنظمة الصحية النافذة، بما فيها إنشاء المدافن والمقابر، مع استثناء رخص إنشاء المستشفيات والمستوصفات واستثمارها. ونصّت المادة الـ84 من مرسوم تنظيم وزارة الصحة العامة 8377 /1961 على أن لطبيب القضاء صلاحية «الكشف وإبداء الرأي للقائمقام بطلبات الترخيص بإنشاء المدافن والمقابر»، كما أعطى قانون البلديات رئيس البلدية، بصفته رئيس السلطة التنفيذية في البلدية، مسؤولية وصلاحية «نقل الموتى وتنظيم سير الجنازات وتنظيم الدفن ونبش الجثث والمحافظة على النظام في المدافن وعلى حرمتها». ويحدد قانون التنظيم المدني (المرسوم الاشتراعي رقم 83/69) تصاميم تنظيم المدن والقرى وأنظمته، بما يمكن من تحديد شروط اختيار الأراضي التي تخصص كمدافن، وهو أمر يرد في التصميم التوجيهي للمناطق التي تحدد بمرسوم أيضاً. وبالنتيجة، فإن صلاحية القائمقام تكون بالنسبة إلى موضوع المدافن في مكان جامع، أي المدافن العامة، في حين يكون المدير العام لوزارة الصحة مختصاً بالنسبة إلى المدافن الخاصة. وتم عام 2004 تفويض صلاحيات المدير إلى رؤساء مصالح الصحة في المحافظات بالترخيص بالدفن خارج المقابر العمومية بموجب القرار الرقم 769 تاريخ 2004/08/07.

(أرشيف ـ الأخبار)

شروط الارتفاع والعمق

نظّم الباب الثامن من المرسوم الاشتراعي المذكور المقابر ودفن الموتى. ونصت المادة الـ29 منه على وجوب أن تنشأ المقابر والمدافن في مواضع جافة مرتفعة على وجه لا يحمل معه الهواء روائح إلى المكان الجامع، وأن تكون على مسافة 200 متر من أقرب مسكن، وأن تحاط بسور علوّه متر وثمانون سنتيمتراً على الأقل وأن تكون لها أبواب أو حواجز تحفظ على الدوام في حالة جيدة. وحدد القانون أن المساحة التي تخصص لمقبرة «مكان جامع» (أي مدافن عامة) تحدد بحسب متوسط وفياته في السنوات الخمس الأخيرة، ويجب أن تكون المساحة المنصوص عليها ثلاثة أضعاف المساحة اللازمة لاحتواء جثث الذين توفوا في السنوات الخمس الأخيرة.

> **لا يجوز قانونياً منح ترخيص لإقامة مدافن ومقابر على عقار يبعد أقل من 200 متر عن أقرب مسكن**

العمق بحسب السن

أما عمق الحفر في المقابر، فهو متران على الأقل للأشخاص البالغين، ومتر وخمسون سنتيمتراً لمن هم دون الثانية عشرة من العمر، وخمسون سنتيمتراً لمن هم دون الثانية عشرة. ويمكن إنقاص عمق الحفرة لاعتبارات مختصة بطبيعة الأرض بناءً على قرار من مدير الصحة والإسعاف العام. ويجب أن تبعد كلّ حفرة عن الأخرى 50 سم. على الأقلّ من جميع جهاتها.

مكان الدفن والإجازة الخاصة

لا يجوز الدفن في مباني العبادة ولا في المباني العامة ولا في أيّ مكان خاص إلا بإجازة خاصة من وزارة الصحة. ويستثنى من هذا المنع الأشخاص الذين استحقوا التكريم بعد وفاتهم والمحسنون أو الواهبون، الذين جعلوا دفنهم داخل أبنية كالتي تقدّم ذكرها شرطاً صريحاً لما وهبوه. وإنما يشترط أن يتأكد مدير الصحة توافر جميع الشروط الصحية اللازمة في تلك المدافن الاستثنائية وأن يوافق عليها. يجب أن ينشأ في كل مدينة يتجاوز عدد سكانها عشرين ألفاً أقبية يقال لها أقبية انتظار أو مستودعات تودع فيها الجثث التي أُجّل دفنها النهائي.

الإزاحية تشجير المدافن

عام 1961، أصدر وزير الصحة العامة، آنذاك، الدكتور إلياس خوري قراراً بوجوب تشجير كل المدافن العامة والخاصة في لبنان خصوصاً محيطها.

دور وزارة البيئة

إثر صدور قانون تحديد مهمات وزارة البيئة وتنظيمها بموجب القانون الرقم 2005/690، تم النص على أن من صلاحيّة هذه الوزارة تحديد الشروط البيئية لإنشاء حدائق ومنتزهات ومسابح عامة ومدافن واستثمارها، فأضيف إلى تنظيم المدافن والمقابر توقيع إضافي لوزارة البيئة.

منع الإعلانات

منعت المادة الـ4 من مرسوم تنظيم الإعلانات وضع الإعلانات واللوحات الإعلانية على دور العبادة وتوابعها وعلى المدافن وأسوارها وحتى ضمن شعاع 50 متراً منها.

مخالفة الشروط تعني إبطال قرار إنشاء المدافن

نتيجة نظره في طعون بقرارات صادرة عن أكثر من بلدية بالترخيص لإنشاء مدافن جديدة، سبق لمجلس شورى الدولة أن قرر أن قرار البلدية لا يقع في محلّه القانوني الصحيح وهو مخالف لأحكام المادة الـ29 من المرسوم الاشتراعي رقم 1932/16 الواجب التطبيق. إذ يتبين، مثلاً، عبر تقرير الخبير عدم مراعاة قرار الترخيص لشرط المسافة بالابتعاد عن الأماكن السكنية وشرط عدم وجود مياه جوفية، ما يشكّل مخالفة للشروط الصحية والبيئية المنصوص عنها في المادة الـ29 من المرسوم الاشتراعي المذكور أعلاه، لذا يقوم مجلس شورى الدولة بإبطال قرار البلدية المطعون فيه.

قانون يختص بالقواعد الصحية العامة - مرسوم اشتراعي -رقم 16 تاريخ: 1932/06/30

في العمق

مشكلة البيانات الناقصة في جوازات السفر اللبنانية

حلّ قانوني لملء الفراغات؟

هادي الضيقة

يواجه عدد من اللبنانيين مشكلة عدم اكتمال البيانات الشخصية في هوياتهم وجوازات سفرهم، خصوصاً في الخانة المتعلقة بيوم الولادة وشهرها. وهذا أمر يمكن تصحيحه عبر القضاء، غير أنه مكلف ومرهق، إذ يصعب أحياناً الحصول على إثبات حقيقي وجدّي على تاريخ الميلاد الصحيح، لا سيّما إذا كان الأمر يتعلق، مثلاً، بالحصول على مستند يزيد عمره على 50 عاماً من مستشفى أو من قابلة قانونية. لذلك، من الضروري إصدار تشريع قانوني يطبق المبدأ الوارد في قانون الموظفين على جميع المواطنين، إذ يعطي الحق لمأمور النفوس بذكر تاريخ 1/ تموز على خانة اليوم والشهر، في حال غيابهما، أو يمكن اعتبارهم مولودين في 1/1 من العام الوارد على وثيقة الولادة أو إخراج القيد.

مع التطور التكنولوجي، زادت أهميّة تحديد البيانات الشخصية على جوازات السفر. وبدأ عدد من الدول أخيراً وضع سياسات لتحقيق درجة عالية من الأمن السيبراني الإلكتروني. وبرزت هذه القضية بعد قرار دولة الإمارات العربية المتحدة رفض إعطاء تأشيرات دخول أو تجديد إقامات من لا يرد يوم الولادة وشهرها على جوازات سفرهم. ويرجح أن تزيد أزمة البيانات الناقصة مع الإجراءات والقوانين التي قد تصدرها شركات الطيران لضمان تشغيل نظام الطيران الدولي بطريقة آمنة وفعالة.

تحدّيات يواجهها مواطنون

قد يتعرّض المواطنون أحياناً إلى تسجيل بيانات خاطئة أو ناقصة في هوياتهم أو جوازات السفر، نتيجة خطأ طباعي أو أسباب أخرى.

يتركز الخلل الواقع في البيانات في خانة تاريخ الميلاد، إذ يقتصر لدى البعض على تحديد سنة الميلاد من دون ذكر اليوم والشهر. علماً أنه لا توجد إحصائية واضحة وحديثة حول عدد اللبنانيين الذين يعانون من بيانات ناقصة في سجلّات النفوس. لكن غالبية من يواجهون هذه المشكلة هم ممن تفوق أعمارهم الـ 60 سنة. ويعود ذلك أحياناً إلى عدم قيام المختار بتحديد يوم الولادة وشهرها عند تنظيم وثيقة الولادة، ظنّاً منه بأنّ هذه البيانات تفصيلية وغير مهمّة، أو بسبب تقصير أو إهمال، أو لأسباب أخرى.

سابقاً، لم تكن البيانات الناقصة تشكّل أيّ مشكلة جديّة، وكان الموظف العام الذي لم يدوّن يوم ولادته وشهرها على هويته، تنهى خدماته بناءً على قرار من مجلس الخدمة المدنية في الأول من تموز.

وحدد نظام الموظفين في المادة الثانية منه الآلية المعتمدة لمعالجة مشكلة البيانات الناقصة لدى موظفي القطاع العام عبر ذكر سن الموظف الجديد في النص القاضي بتعيينه، بالاستناد إلى صورة طبق الأصل عن قيده في سجلات الأحوال الشخصية. وإذا كان تاريخ يوم الولادة غير معروف، يعتبر الموظف من مواليد اليوم الأول من شهر تموز من سنة ولادته. أما إذا عرف شهر الولادة دون اليوم، فيعتبر الموظف من مواليد اليوم الخامس عشر من شهر ولادته. ولا يؤخذ في الحسبان في تحديد سن الموظف أيّ تصحيح يطرأ عليها بعد الإعلان عن المباراة، أو بعد صدور نص التعيين في ما يتعلّق بالموظفين الذين يجيز القانون تعيينهم من دون مباراة. كما لا يؤخذ في الحسبان أيّ تصحيح طرأ على سنّ الموظفين بعد أول آذار من سنة 1943، مهما كان نوع التصحيح أو سببه.

إلى ذلك، كان قانون منظمة الطيران الدولي (International Civil Aviation Organization) يجيز الاستعاضة عن البيانات الناقصة في جواز السفر بإشارة x.

لكن في المدة الحالية، يظهر تأثير البيانات الناقصة بشكل واضح على حركة السفر الدولية. ويتعرّض حاملو الجوازات اللبنانية التي تفتقر إلى البيانات الكاملة إلى تأثيرات سلبية، خاصة بعد قرار الإمارات العربية المتحدة رفض إعطاء تأشيرات دخول أو إقامات لمن لا يذكر يوم الولادة وشهرها في جوازات سفرهم.

وهذا النوع من القرارات يعيق حرية تنقّل عدد كبير من اللبنانيين، ويحرمهم من حقّهم الطبيعي في السفر إلى الخارج. ويظهر هذا الواقع الحاجة الملحة إلى حلّ مشكلة البيانات الناقصة بما يتناسب مع متطلبات التكنولوجيا والأمن السيبراني في هذا العالم.

> **يتعرّض المواطنون أحياناً إلى تسجيل بيانات خاطئة أو ناقصة في هوياتهم أو جوازات السفر نتيجة خطأ طباعي أو أسباب أخرى**

تقاذف المسؤوليات

في بلد يعاني من تقاذف المسؤوليات، يعدّ تصحيح بيانات الهوية من القضايا الأساسية التي تحتاج إلى اهتمام خاص نظراً إلى تأثيرها على حياة المواطن. إذ تزيد التعقيدات في تحديد الجهة المختصة للمعالجة. في ظل غياب الرسائل التوعوية والإرشادية لتوجيه المواطنين وتمكينهم من تصحيح بياناتهم. وفي هذا الإطار، نلقي الضوء على موقف بعض المراجع التي يمكن للمواطنين مراجعتها في هذه القضية:

الأمن العام: يعتبر الأمن العام اللبناني جهازاً تنفيذياً لا يدخل ضمن صلاحياته إجراء أي تعديل على بيانات المواطنين أثناء قيامه بإجراءات جواز السفر.

يقتصر دور الأمن العام على نقل البيانات المدوّنة في سجلات المواطن (هوية، بيان قيد...) من دون التدخل في تصحيحها أو تعديلها.

مديرية الأحوال الشخصية: تتولى المديرية العامة للأحوال الشخصية شؤون النفوس وما يطرأ على الوضع العائلي من تغييرات من حيث الولادة والزواج والطلاق والوفاة. كما تتولى الإشراف على تطبيق القوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية للمواطنين اللبنانيين والأجانب المقيمين على الأراضي اللبنانية (اكتساب الجنسية وفقدانها). إلا أنه لا يدخل ضمن صلاحياتها تصحيح القيد.

المديرية العامة للطيران المدني: تُعدّ المديرية العامة للطيران المدني إحدى المديريات التابعة لوزارة الأشغال العامة والنقل، وتنسق مع منظمة الطيران المدني الدولي وهيئات الطيران المدني وإداراته والمطارات الخارجية، لتطوير قطاع الطيران المدني والنهوض به. وبالتالي يدخل ضمن صلاحياتها التواصل مع إدارات الطيران المدني وهيئاته لشرح أسباب النقص في البيانات إلى حين معالجة القضية.

(هيثم الموسوي)

حلّ قانوني لتصحيح البيانات

أصدرت المحاكم اللبنانية قرارات قضائية أجازت تصحيح تاريخ الولادة وإضافة البيانات الناقصة عن طريق إقامة دعوى قضائية أمام القاضي المنفرد المدني المختص بدعاوى النفوس، إلا أنّه اشترط احترام بعض الضوابط القانونية، وتحديداً المتعلقة بقواعد الاختصاص المكاني، تحت طائلة رد الدعوى. كما اشترط أن يقتصر موضوع الدعوى المقامة على تصحيح القيد وليس تبديل البيانات أو تحويرها خلافاً للقانون.

وفي هذا السياق، لا بدّ من الإشارة إلى صدور قرارات قضائية عن القاضي المنفرد المدني الناظر في دعاوى النفوس تفتح أفقاً لتصحيح البيانات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

● اعتبر القاضي المنفرد المدني في جب جنين عبر قراره الرقم (207/57)، أنّ المقصود بالتصحيح للقيد هو جعل القيود مطابقة للواقع الذي كان سائداً وقت القيد وأنّ عناصره لا تُستمدّ حصراً من السجلات الرسميّة، إذ يمكن وقوع الخطأ إبّان مرحلة ضبط الوقائع المؤدية إلى عملية القيد في تلك السجلات، واقعة الولادة في تاريخ حصولها ومكانها وهوية المولود تتكيف ضمن إطار الواقعة المادية التي يمكن إثباتها بوسائل الإثبات الحر المقبولة قانوناً.

ولا يجوز أن ينقلب التصحيح إلى تبديل وتحوير للقيد خلافاً للقانون من قيد يعتريه الخطأ أصلاً إلى قيد مغلوط ويشوبه الخطأ، ولا يعتدّ بالتأييد والقبول بالخطأ من قبل صاحب القيد لتعلّق الأمر بالنظام العام.

● رأى القاضي المنفرد المدني في صيدا بتاريخ 2017/09/19 أنّ دعاوى النفوس من صلاحية القاضي المنفرد المدني، ولكن يجب التقيّد بالاختصاص المكاني في دعاوى النفوس الرامية إلى إجراء تعديلات على سجلّ الأحوال الشخصية وإلّا ردت الدعوى.

● اعتبر القاضي المنفرد المدني في صفبين بتاريخ 2014/02/28 أنّ تصحيح القيود في سجلّات النفوس غير مقتصر على الأخطاء المادية، بل يتعلق بكل مطابقة للقيد المراد تصحيحه مع الحقيقة والواقع، وبالتالي لزوم تصحيح تاريخ ولادة الولد في سجلات النفوس ووثيقة الولادة لجعله متوافقاً مع الواقع المتمثّل بتاريخ الولادة الصحيح المبين في جواز السفر.

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ دور المواطن لا يقتصر على إقامة الدعوى، إذ لا بدّ من تسليم نسخة عن الحكم الصادر إلى المديرية العامة للأحوال الشخصية التي تتولّى تثبيت التصحيح الوارد على قيده في سجلات النفوس. ثم يتوجب عليه القيام بالإجراءات اللازمة لإصدار هوية جديدة وبيان قيد إفرادي، والمستندات الشخصية الأخرى تحمل جميع البيانات الصحيحة. وبعدها يسمح له بإصدار جواز سفر يتطابق مع المتطلبات القانونية الحديثة.

القوس
السبت 16 آذار 2024 العدد 104

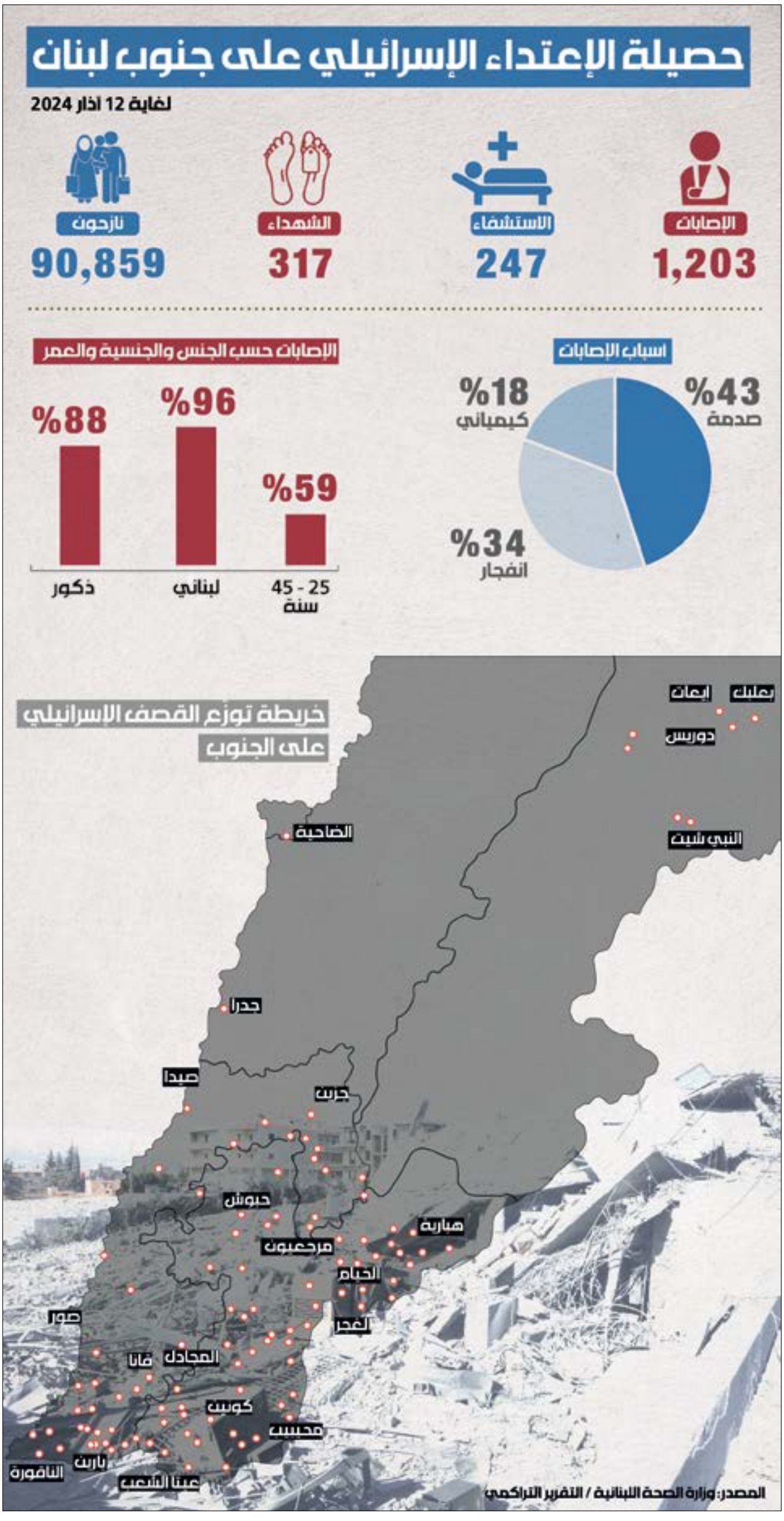

تحت القوس

إجابات ظرفية على أسئلة مبدئية

عمر نشابة

ان تصنيف جبهة المواجهة مع العدو الإسرائيلي كجبهة اسناد لغزّة من لبنان يمكن اعتباره جواباً ظرفياً على أسئلة مبدئية بشأن القضية المركزية. وكان الأمين العام لحزب الله السيّد حسن نصرالله قد وجّه رسالة إلى المؤسسات الإعلامية في الحزب في أواخر تشرين الأول من العام الفائت، طلب من خلالها اعتماد تسمية "شهداء على طريق القدس" للذين يستشهدون في لبنان وعلى الحدود مع فلسطين المحتلة في هذه الحرب.

قد يكون تعبير البعض عن امتعاضهم من جبهة اسناد غزّة الظرفية في جنوب لبنان ظرفياً كذلك وفي هذه الحالة ان توسيع النقاش مفيد خصوصاً النقاش السياسي الداخلي اللبناني المعقّد. أما اذا كان الموقف من جبهة الاسناد الظرفية مبدئي فلا بد من التوضيح أن حزب الله لا يمكن ان يترك الشعب الفلسطيني المحاصر في غزّة وحده لأن ذلك يتناقض مع مبادئه. فكيف يمكن للحزب ان يتنازل عن شعار "يا قدس اننا قادمون" الذي عرّفنا في بيروت عنه في بداية الثمانينات؟ وهل أن همّ الحزب وتوجهاته الأساسية يمكن ان تتحوّل من تحرير فلسطين والصلاة في أولى القبلتين الى تأمين مصالح داخلية ضيقة ومكاسب محدودة؟ صحيح ان قيادة الحزب تسعى بجدية للتوافق مع كل الجهات في لبنان لكنها لن تتنازل عن مبادئ الحزب ولن تبدّل مركزية القضية.

ان جبهة اسناد غزّة من لبنان تشكل تحرّكاً مفصلياً في الحروب العربية الإسرائيلية وهجوماً دفاعياً غير مسبوق يعيدنا بالذاكرة الى آلاف الاعتداءات الصهيونية على اللبنانيين في بلداتهم وقراهم وصولاً الى العاصمة بيروت. فجيش العدو الإسرائيلي اجتاح لبنان واحتل العاصمة وارتكب المجازر بحق عشرات آلاف البشر ولم يحاسَب ولم يحاكَم المسؤولين فيه على جرائم القتل والتعذيب والاحتلال والتهجير التي ارتكبوها. فهل توقفت الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان منذ صدور القرار 1701؟ وهل يعفى المجرم على ما اقترفه من جرائم بحق بعض الدول العربية بسبب قرار دول عربية أخرى التطبيع مع المجرم؟ هل عفى الله عمّا مضى بينما افلت المجرم من العقاب؟

أسئلة مبدئية اجابت عليها المقاومة بفتح جبهة في الجنوب لإسناد غزة.

اسناد غزّة تحرّك أخلاقي وإنساني مبني على منطلق ديني يفترض ان يجمع بين المسيحيين والمسلمين. ففلسطين هي الأرض المقدّسة حيث ولد السيد المسيح وحيث صُلب كما يُصلب اليوم شعب فلسطين في جلجلة غزّة الأليمة؛ وهي مكان أولى القبلتين حيث سجد الرسول الاكرم وحيث مسرى الاسراء والمعراج. فهل يتركها المسيحيون قبل المسلمين وحيدة دون اسناد؟ هل ينكرون روابطهم الروحية بأحفاد المسيح ثلاث مرّات كما يعلّمنا الانجيل المقدّس؟ وهل يمكن لمن يستذكر موقعة كربلاء في كل مناسبة ان يترك ابناء غزّة هاشم يذبحون دون مساندة؟

ان جبهة اسناد غزة من لبنان مشروطة بوقف العدو الإسرائيلي الإبادة الجماعية وبالتالي يعد فتح هذه الجبهة وجه من وجوه التزام لبنان بمبدأ منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها. ولطالما أعلنت قيادات الجبهات المساندة لغزة في اليمن وفي لبنان استعدادها لوقف كل الاعمال الحربية لحظة رضوخ الكيان الإسرائيلي لوقف اطلاق النار.

اما بشأن وحدة الساحات فقد اثبتت الأشهر الخمسة الأخيرة انها تجربة ناجحة في توحيد القوى المساندة للشعب العربي الفلسطيني الذي يتعرض للإبادة الجماعية في غزة. ولا بد من الإشارة هنا الى كل المساعي التي بذلت منذ ما قبل 1948 لتوحيد الساحات في مواجهة الغزو الصهيوني الذي لم يقتصر على ارض فلسطين بل شمل سوريا والأردن ويعبر بعض الصهاينة بوضوح عن نواياهم التوسعية ويتحدثون عن إسرائيل من النيل الى الفرات.

صحيح ان الاتكال الأساسي يقع على المقاومة الفلسطينية الباسلة وشبابها الذين يخرجون من بطن الأرض ليصنعوا الاساطير في تصميم أصحاب الأرض والحق على مكافحة الظلم والاحتلال والابادة، لكن جبهات الاسناد تشكل ضغطاً لا يمكن تجاهله دولياً وتقول للفلسطينيين انهم ليسوا وحدهم وتقول للبنانيين ان جبهات الاسناد ستفتح اذا قرّر الإسرائيلي توسيع هجومه على لبنان.

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous alqaous22 alqaous al_qaous 01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com